

بأحد الأحياء الشعبية القديمة حيث تسكن تلك العائلة الوحيدة البسيطة
استيقظ بكسل وضجر مستغفرا ربه يستعد ليوم جديد بلا أى تجديد!
خرج من غرفته متجها للمرحاض الصغير توضأ وأدى فريضته داعيا الله
بالصلاح

أنهى صلاته فاتجه لغرفته يرتدى ملابسه البسيطة
استعد للخروج ولكن وكالعادة أوقفته بكلماتها السامة المتكررة:
_ رايح فين يا ساجد

تنهد عدة مرات محاولا الهدوء ... ابتسمت شفتاه دون عينية:
- رايح شغلى

اتسعت شفتاها بأمل تردف :

- يا حبيبى ما أنا قولتلك حلها إيه إنت اللى مش راضى تسمع كلامى

حاول الهدوء لكن لم يستطع ... ضغط تلك الحياة ووالدته التى لا تمل من طلبها لا بل
قهرها له ... أردف بنبرة خرجت حادة دون إرادته:

- أسمع كلامك فى إيه إنتى عايزة تدمرى آخر جزء فىا

لاح الحزن بعينيها وتطلعت إليه بعتاب:

- بقى كدة يا ساجد أنا عايزة أدمرك

قال غاضبا:

- أيوة طول عمرك كدة طول عمرك ضعيفة ومستسلمة

انكشيت ملامحها ضيقا من كلماته الجارحة:

- عشان عايزة مصلحتكم أبقى ضعيفة

ارتفعت ضحكات القهر لتفوها بتلك الكلمات المثيرة للسخرية برأيه:

- ههههه مصلحتنا قصدك مصلحة بناتك عمرى ما هنسى إنك خلتينى
أتنازل عن ورثى كله لأخواتى ورثى اللى كنت هفتح بيه مشروع يعيشنا فى
عيشة أحلى مشروعى اللى بحلم بيه من وأنا صغير

جحظت عيناها غير مصدقة أنانيته برأيها:

- إنت عايز تعيش على حساب أخواتك قولتلك إجوازهم هيطلقوهم لو مجابوش
فلوس

كاد يصرخ غاضبا فضغط على أسنانه حتى لا يفقد أعصابه أكثر:

- عشان مش رجالة ... مفيش راجل يعمل اللى بيعملوه ... لأ وبعد ده كله عايزانى
أبيعلمهم الشقة ... أبيعلمهم الحاجة الوحيدة اللى حيلتى وأعيش أنا وإنتى فى الشارع

انقلبت نبرته من الغضب لقلّة الحيلة والعجز:

- ولا أنا وإنتى ليه ... ما إنتى أكيد هيعيشوكى معاهم ... مش إنتى برضو اللى
بتجيبلمهم الفلوس من العيلة ولا إيه

أردفت متهمة إياه:

- إنت راجل تقدر تتصرف لكن هم بنات

ارتفعت شفته العليا بقرف واشمنزاز من كلماتها القاسية:

- قولتلك هم فى عصمة رجالة طلقهم وأنا هراعى كل واحدة منهم

تحدثت بلهفة محاولة إقناعه على يفعل:

- طب ما تبعلهم البيت واجوازاتهم يراعوهم

هنا وكفى ... صاح بها غاضبا وعروقه تكاد تنفلت مع أعصابه المدمرة:

- إنتى مسمية دى بيعة ... عايزين يشتروا بيت بعشرين ألف وتقولى بيعة ... دى سرقة ... إنتى عارفة إن بيتنا ما يتباعش بأقل من ١٠٠ ألف وعايزانى أبيعه بعشرين بس

نهضت تقترب منه بهدوء تربت على كتفه متحدثة بنبرة حانية تستعطفه:

- يا حبيبى هم مش معاهم غير عشرين وبعدين افتح بالعشرين دول محل ولا سوبر ماركت تكسب منه

خرجت ضحكة صغيرة غير مصدقة والذهول بعينيه:

- إنتى إزاي كدة إزاي بالضعف ده عايزة إبنك خريج الهندسة يفتح سوبر ماركت

ابتعدت مردفة بتهكم غير عابئة بكلماتها التى أصابته بمقتل:

- وهو خدنا إيه من التعليم ياخويا وبعدين ما إنت بتقف فى المطعم بقالك سنين وبتشتغل باليومية جت على دى يعنى

تطلع إليها بخذلان وخزى وقد امتلأت عيناه بالدموع سرعان ما تمسك بها

استطاع أخيرا اقناعها بالبقاء بعينيه

تلك حالته دائما ... لا حنان ... لا حب ... جمود فقط بحياته بأكملها ما ذنبه ليولد بعائلة ضعيفة الأم حقودة الأخوة وبالطبع جفاء الحبيبة !

استغفر ربه سريعا وخرج كأن شيطان يلاحقه فيتهرب منه

تركت غرفتها مسرعة ما إن استمعت لصوت ضحكاته العالية
هرعت للخارج لتتشبع عيناها برويته وهو يضحك ولو لثانية واحدة
تنهدت بعشق ما إن رأت وسامته بتلك العيون السوداء الفريدة يجلس على
الأريكة يشاهد إحدى المسرحيات ويأكل من طبق المقرمشات محتضناً إياه بقوة وكأن
أحدا سيختطفه !

تقدمت بمرح مصطنع كي لا يكشف نظراتها الهائمة
جلست بغف على الأريكة مما أفزعه فسقط الوعاء بما يحتويه
لكزها بخفة وإمارات الغيظ على وجهه:
- فلوس أهلك هي عشان تبعتها على الأرض

ابتسمت بسماجة تعشق أن تغيظه:
- أيوون فلوس أهلى وبعدين هيببيح براحتشى
تطلع إليها بقرف مصطنع متقرزا:
- براحتشك؟! وأنا اللى قولت البت دخلت تجارة عشان تشتغل فى شركة ... أتاريكى
دخلتها عشان تبيعى فى السوق ... ما هو ده أصلك يا ..
نظرت إليه بتهديد وتحذير ولكنه لم يهتم ليكمل قائلا:
- يا مايصين

ارتفع صراخها المزعج وانقضت تبرحه ضربا قدر المستطاع:
- آااه يا حيوان يا متخلف يا

وضع يده على شفثيها لتسكن بمكانها كقطة وديعة وتتطلع إليه بتيه حتى أفاقت على تنهيدته:

- يخربيتك فرهدتيني إيه برطمان شتايم اتفتح فى وشى
- حولت ملامحها ببراعة للحزن والبراءة:
- إيه ده إنت زعلت متزعلش يا تميمة النحاس

قالتها وفرت هربًا لغرفتها لينطلق خلفها بسرعة يسبها وسط صراخها الفرع

- خرجت والدتهم من الغرفة وكادت تصرخ على ابنتها حتى خرج زوجها بضجر:
- بقولك إيه يا زينب فكك أنا زهقت براحة شوية وريحيني
- تطلعت بضيق تارة إليه وتارة لمن صرختاهما الممزوجة بالضحك مرتفعة:

- يعنى يرضيك قلة الأدب اللى بنتك بتعملها ... ينفع تصرخ كدة والجيران يتكلموا
- قلب عينيه بملل زافرا بضيق:
- كل أما نزعلها نلاقى البيه أخوها يشخط وينطر

تضايقت من كلماته لتتحدث:

- ما تتكلمش على الواد كدة

تنهد زوجها وهو يذلف لغرفته:

- أنا مش ناقص عايزة تعملى مشاكل معاها روى بس متدخلونيش بينكم ... أنا داخل
- أنام وصحيني كمان ساعة

تأففت بضجر وهى تستمع لأصواتهما العالى

جالسة أعلى فراشها الضخم بغرفتها الواسعة والفخمة تنظم كتبها وأقلامها
حتى انتهت فضربت كفى يديها ببعضهما ضاحكة بفرحة طفولية:
_ وأخيرا حلمى اتحقق ومن بكرة هروح الكلية

قاطع كلماتها الفرحة دقائق الباب لتأذن بالدخول
دلف رجل أربعينى وأغلق الباب خلفه متقدما من ابنته يتحدث بحنان:
- حبيبة بابا بتعمل إيه

اتسعت ابتسامتها تتحدث بسعادة واضحة للعيان:
- بجهز حاجتى عشان أروح الكلية بكرة يا بابى

جلس بجانبها وقبل أعلى رأسها قائلا:
- عايزك تتجدىنى يا روح بابى هندسة مش سهلة

أومأت له تطمئنه برقة:
- متقلقش بإذن الله خير

كاد ينهض حتى التفت لها مجددا يتسائل:
- ها يا حبيبتى جهزتى نفسك للحفلة

تهدت قبل أن تجيبه بأسف:

- أيوة بس إيه لازمتهما ما إحنا نتبرع بفلوسها للغلابة أحسن

ضحك فى نفسه بسخرية على براءتها وسذاجتها آاه لو تعلم ما يحدث !!

لاحظت شروده لتتحدث منبهة إياه:

- بابى روح فى

أفاق ليصمت لثوان قبل أن يجيب:

- معاكى بس لازم الكل يعرف إن بنت نادر الصقر بقت مهندسة ومتقلقيش أكيد هتبرع بفلوس للغلابة برضو

أنهى عبارته مبتسمًا بتهكم

تنفست عدة مرات بعمق حتى أردفت مستسلمة:

- أوكى يا بابى اللى تشوفه

- أيوة صح أنا كلمت مدير المطعم اللى بتحبى تاكل فى فيه وطلبت منه يجيبلى اللى شغالين عنده عشان الحفلة

دق قلبها بعنف وأحست بوجهها يتوهج احمرارًا ممزوجًا ببعض العرق من حرارة مشاعرها

تتمنى وجوده تمتع عينيها برويته وبنفس الوقت تتمنى ألا يكون من ضمنهم حتى لا يشعر بالمدلة فنظرة الحزن بعينه تقتلها قبل أن تقتله

توترت قليلا حتى أردفت بحذر:

- كلكلهم هيجوا الحفلة

همهم لها مجيبا على سؤالها الغريب:

- أيوة المدير قالى هيبعتهم كلهم المهم أنا رايح الشركة

- أوكى لا إله إلا الله

- محمد رسول الله

خرج وهى تنظر لأثره حتى تمددت أعلى فراشها مبتسمة بدلال وعشق جارف لا يناسب أنثى سواها هى ... سديم الصقر

بإحدى المنازل الراقية

لاحظت خروج ابنها من غرفته يرتدى كامل ملابسه المنمقة:

- إنت رايح فين يا حبيبى

التفت لوالدته يجيب:

- رايح لمياسين يا أمى

تنهدت قبل أن تضيف معاتبة إياه:

- بص يا صلاح يابنى ... مياسين زى بنتى يعنى بلاش تجرحها ... على الأقل اعمل حساب إنها بنت عمك

ابتسم ولم تصل لعينيه مختصرا النقاش:

- يا ماما أكيد يعنى مش هأذيها

هنا وتدخل الوالد بقساوته وجموده المعتاد:

- ولا تأذيها براحتك يا واد إنت راجل تعمل اللي عايزه

تطلعت لزوجها عاقدة الحاجبين بضيق:

- دى بنت أخوك إزاي تقول عليها كدة

صرخ بها يضرب الطاولة بقبضة يده:

- جرا إيه يا ولية ومن إمتى وأنا بحب أخويا ولا هو بيحبنى وبعدين تلاقيه متكاد مننا
عشان أبويا كتبلى الورث وإداله شوية فكه

تنهدت بحزن بينما خرج صلاح بلا مبالاة

دقائق بسيطة وخرج عاصم هو الآخر متجها لعمله

لتتحدث تلك الجميلة أخيرا:

- متقلقيش يا ماما مهما عملوا هتلاقى تميم واقف قصادهم ... مش هيسمح لهم
يضرروا أخته أبدا

تنهدت ثريا متمنية ذلك حقا:

- يارب يا شريفة

هبط مما يسمى ب (ميكروباص) وكاد يدخل المطعم ليعمل حتى رن هاتفه
ما إن رأى اسم محبوبته وابنة خالته حتى أجاب فوراً مبتسماً بحب:
- إزيك يا حبيبتي

وصله صوت أنثوى لتجيب نيرة بخفوت:
- كويسة يا حبيبي ... مش هنخرج بقى ولا إيه

ابتسم لها وتحدث بسعادة:
- أكيد يا روى أوامرني

ظهرت ابتسامتها أخيراً تجيب بلهفة:
- عايزة أروح مطعم ----- زميلتي منزلة صورها مع خطيبها هناك

وضع يده خلف رقبتة بحرج شديد ناظرًا لأسفل كأنها تراه حتى حمحم خاجلاً:
: احم إنتى عارفة يا روى إنى ... إنى يعنى ...

احتل التهجم معالم وجهها:
- مكسوف ليه ... ما تقول علطول إنك مفلس ومعكش فلوس

ابتلع غصته حتى أردف باحراج من كلماتها:

- يا حبي ...

لم تستطع التحكم بأعصابها ليحل الغضب محل الهدوء:

- بص يا ساجد من الآخر كدة أنا بقيت ولا طايكاك ولا أمى طايكاك إنت حتى
الدبلة مش معاك تمنها لإنك خيبة وضعيف ومش راجل وعمرك ما هتكون راجل طول
ما إنت تحت طوع أمك وإخوانك إنت أكثر واحد متخلف مفيش حد بيتنازل
عن أملاكه لأخواته العقارب وأنا ياخويا مش حمل غم وقرف بقالنا ثلاث شهور
مخطوبين وقلت بكرة تتعدل وتجييب قرش بس إنت زى خيبتها أنا اتقدملى
عريس ظابط ملو هدومه حاجة تشرف وأنا وافقت ها ابقى تعالى خد دبلتك اللى
مجبتهاش

أغلقت دون سماع رده غير عابئة بأثر كلماتها عليه

تطلع للهاتف بصدمة قبل أن ينظر لأسفل وقد سقطت دمة من قسوة الزمن ومن يحيا
به

لما يعتبرون كرمه ونخوته وبره بوالدته ضعف؟! ... إذا كانت الرجولة أن تتخلى عن
أهلك وذويك ... أن تسحق والدتك تحت قدميك فتباً للرجولة وتباً لمن يتحلى بها

أزال دمعته يقسم بداخله أن يندموا جميعا لن يرى سوى نفسه فقط سيكون
كل شيء لنفسه لن يفكر بغيره بعد الآن وذلك القلب الأحمق سيغرس به سكين
كرامته سيقطعه إرباً حتى يقضى عليه تماماً

نظر لأعلى يناجى ربه ثم اتجه للمطعم حيث يعمل ومصدر رزقه الوحيد عله ينسى
دلف بحزن مانعاً نفسه من البكاء كطفل صغير وحيد

جفل على صوت متهم من شخص خلفه:
- أهلا أهلا أصل المكان مكانك تيجى فيه وقت ما تحب

تطلع ساجد إليه بقلة حيلة ليتحدث طلعت مالك محل عمله بانتصار:
- مخصوم منك نص يوم

جحظت عيناه متحدثا بدفاع عن نفسه:
- نص يوم إيه أنا غيببت هى ساعة بس

نظر طلعت إليه باستعلاء مغرورا بنجاح مطعمه:

- إحنا مش أى مطعم ... ده أكبر مطعم فى القاهرة ... غياب الساعة عندنا بتفرق ...
يلا يا بيه على شغلك

جاء ليذهب فتراجع مرة أخرى قائلا:

- على العموم الفلوس اللى انخسمت هتعوض أضعافها
انهاردة بالليل فى حفلة فى فيلا نادر بيه الصقر عشان بنته وكلكم هتروحوا

أوما له دون أن تبدو عليه السعادة حتى فقد تجمد وجهه على العبوس والحزن فقط

يتحمل كلمات والدته السامة ... يتحمل فراق حبيبته منذ الصغر ... لكن نظرات
الاحتقار والاستعلاء التى سيراها فى الحفل كالعادة
لا لن يستطيع التحمل أبدا

ولكن وهل له الخيار ؟!

بإحدى المناطق المتوسطة الحال حيث تتحدث نيرة مع والدتها ببعض الحزن:
- خلاص يا ماما كل حاجة انتهت

أجابت عايدة متتهدة راضية:
- أيوة كدة يا حبيبتي ربنا يرضى عنك يارب
زفرت نيرة معاتبة حالها ووالدتها:
- بس صعبان عليا أوى يا أمّا

ربتت على كتفها تردف بعقلانية تقنع ابنتها أن ما فعلاه هو الصواب:
- ميصعبش عليكى غالى يا حبيبتي ... احنا صبرنا عليه كتير وهو خيبة ولا بيقدم ولا
بيأخر ... وبعدين الواد قصى ظابط وبيأخذ ماهية قد كدة وهيستتك
ياختى ده كفاية اسمه لوحده حاجة تشرح

ضحكت على كلمات حتى أدفت بتعب:
- أنا هدخل أنا أريح شوية بقى عايزة أنام

رفعت والدتها كفيها داعية لها:
- ربنا يسعدك ويجعل قصى من نصيبك قادر يا كريم ... ادخلى ارتاحى شوية يا قلب
أمك على ما أجهز الأكل

دخلت نيرة غرفتها شاردة فيما حدث تتحدث داخلها:

- تؤ مكنش ينفع تخرجيه برضو يا بت ... بس ما هو اللى بيفضل لازق ... يلا مش لازم كدة أحسن كل واحد يشوف حاله ونصيبه

فى منطقة شبه راقية

ارتفع صوت دق الباب لتصرخ زينب بالطارق:

- يوه حاضر يالى على الباب متسربع كدة ليه الدنيا هطير

فتحت الباب وسرعان ما اصطنعت الابتسامة كالمائل أمامها تمامًا تردف:

- إزيك يا صلاح يا حبيبى عامل إيه وأبوك وأمك عاملين إيه

ابتسم بسماجة يعلم جيدا أنها لا تطيقه:

- كويسين يا مرات عمى ... وحشتونى قولت أشوفكم

- طبعا يا حبيبى ادخل ادخل

دلف وهو يبحث عنها ولكن لم يجدها ليتحنج جالسًا بهدوء

جلست زينب أمامه وعم الصمت قليلا قبل أن تضيف:

- عشر دقائق يا حبيبى وهتلاقى الكل متجمع هم بيلبسوا دلوقتى

ثم أضافت بسخرية متعمدة:

- أصلك جاى بدرى أوى ... بس طبعاً المطرح مطرحك

قهقهه دون مرح يجيب عليها:

- ما أنا عارف إنه مطرحتى

همهت له تزم شفتيها بعدم رضى حتى أضافت:

- ألا أمك عاملة إيه يا واد مبنشوفهاش يعنى ولا هى ولا المحروسة أختك

رفع رأسه يردف بخيلاء:

- أكيد مش هتشوفيهم ما إنتى عارفة بقى العربية بتخلينا نروح فى أى حته من غير تعب ولا مرمطة فى المواصلات ولا حد يشوفنا ولا نشوف حد

همهت مرة أخيراً قبل أن تتحدث ملمحة له:

- اممم مش تباركلنا إحنا هنجيب عربية إحنا كمان لتميم ابنى حبيبى

اصطنعت الحزن والعجز وأضافت بطريقتها المعروفة دائماً (المسكنة)

- بس مزنوقين فى مبلغ كدة ... أنا قولت لعمك نستلف من أى حد بس بيقولى محدش هيرضى

ابتلع ريقه يتهرب مما تريده:

- طالما مش معاكوا يبقى استنوا تجمعوا المبلغ أحسن بدل ما تزندقوا نفسكم فى المصاريف

نظرت له بغل مكبوت وجاءت لتكمل

قاطع حديثهما صوت الضحكات المرححة ليلتفتا لمصدر الصوت

أنهت شريفة طعامها فنهضت تاركة مقعدها ترتب ملابسها:

- ماما أنا هروح أنا الكلية بقى

أومات والدتها بنظرة حانية:

- يا حبيبة أمك كملى أكلك متوجعش قلبى

اقتربت من ثريا مقبلة جبينها:

- والله كلت يا ست الكل يلا بقى عشان متأخرش

- طب اصبرى أرن على أخوكى ييجى بالعربية يوصلك

- لا لا لا مش لازم هركب تاكسى وخلص

صمتت ثريا قليلا تتفحص وجه ابنتها خاصة منطقة الجبين:

- شريفة أنا مش قولتلك متلبسيش بندانة مرفوعة أبدا شعرك باين من قدام

تطلعت الابنة إليها متذمرة تجيب بدفاع:

- يا ماما شعرى هو اللى قريب من قورتى فمهما لبست هيبان

عقدت ثريا حاجبها معترضة:

- أمال أنا جايبالك بندانة سورى ليه

- مش حلوة عليا ... وبعدين مش لازم دى كام شعرة يعنى مش هتفرق

ضيق عينيها تضيف:

- الكام شعرة اللى مستقلة بيهم دول بتاخذى سيئات لكل واحد يشوفهم

يعنى شهر واحد وتكونى مجمعة سيئات أكثر من حسناتك طول حياتك

يا بت بطنى أنا خايفة عليكى

وبعدين يا هبله هى إيه دى اللى مش حلوة عليكى

دى بتنور وشك وحتى لو مش كدة يا ستى كفاية إنها تحبب خلق الله فيكى لما

يشوفوكى محترمة دينك

اقتربت منها بهدوء لتقبلها على وجنتها منهية الحديث:

- حاضر وهدخل حالا غيرها

ذهبت لغرفتها مسرعة تنتظر والدتها تجاهها بابتسامة وحنان:

- ربنا يرحمك يا ماما فعلا معاكى حق الحنان والمسايسة هم اللى بيعدلوا الواحد مش

الضرب ولا الإجبار

تنتظر لنفسها بالمرآة لأكثر من ساعة حتى تختار ملابسها جيدًا

زفرت مخرجة أنفاسها بعنف تشعر بالغضب الشديد:

- يووووه ولا ده حلو ... طب أعمل إيه طيب ... أضيقة بدبوس هيبقى أحلى

سرعان ما عنفت نفسها كالأطفال قائلة:

- إنتى اتهبلتى ولا إيه هتشيلى ذنوب عشان بنى آدم إنشالله ما عنه ما انتبهلى

وهفضل ألبس واسع ومش هحط برفان

اللى خلقه قادر يزرع حبى جواه

أيوه يا سديم حتى لو مش حبك كفاية ربنا بيحبك

لاحت ذكرى جميلة بعقلها لتسقط دمة نقية عكس عيونها السوداء القائمة
فلاش باك

- مامى مامى

- أيوه يا عيون مامى مالك اتأخرتى ليه فى المدرسة

أجابت روما على ابنتها التى تحدثت متعجلة:

- مش مهم دلوقتى المهم أنا عايزة أخلع الطرحة

اتسعت عينا والدتها حتى خرجت من صدمتها لتتحدث مع ابنتها متتهدة:

- ليه يا حبيبتي تخلعيها

ظهر الحزن على وجهها الملائكى:

- صحابى فى الاسكول بيتريقوا عليا عشان أنا الوحيدة المحجبة وكلهم بشعرهم وفى
مدرسات بيقولولى عيشى سنك واقلعى القرف ده

حركت روما رأسها لأعلى وأسفل بتفهم فأجابت على ابنتها دون نفاذ صبر:

- طب يا حبيبتي ما أنا قولتلك إنتى كبرتى وعندك دلوقتى ١٣ سنة يبقى لازم نلتزم
ونلبس الحجاب وأنا شرحتك بيحصل إيه للى بشعرهم وربنا بيعاقبهم إزاي
ثم أضافت بنهاة:

- وبعدين سيبك من ده كله أنا متأكدة إن فى سبب تانى

توترت كثيرا لتبدأ تفرك يديها ببعضهما تتحدث بخجل:

- بصراحة فى ولد أنا معجبة بيه بس هو بيحب بنت بشعرها وزميلتى قالتلى لو قلعت الحجاب هيحبنى

ضغطت روما على شفيتها بأسف وتحدث معاتبة إياها:

- مينفعش يا سديم لازم قلبك يفضل نقى دايما لازم ميبقاش جواه حد لازم تحافظى على نفسك من الغلط

أنا عارفة إنك لسة صغيرة على الكلام ده بس برأى إنك لازم تفهمى كل حاجة وإنكى صغيرة عشان ميبقاش صعب عليكى تلتزمى بيه وإنكى كبيرة

وعشان كدة أنا مش هقولك غير حاجة واحدة بس

اللى قدر يخلقه من طين

قادر إنه يزرع جواه بذرة حب

وبدون انتظار يعنى متستنيش إن حد يبادللك الحب لأ استنى مواقف فى الدنيا تبينلك إن ربنا راضى عنك ووقتها هتعرفى إن كل خير ليكى هيحصل سواء عايزاه أو لأ

ها يا ستى تمام كدة

أومات بشدة تندفع بأحضان والدتها تقبل وجنتها فرحة:

- أنا بحبك أوى يا مامى وبعد كدة مش هسمع كلام حد ومش هحب حد ولا أعجب بيه

ابتسمت والدتها تجيب:

- وبمناسبة بقى الموضوع ده فيا ستى هوم وورك النهاردة هيكون إنك تبحتلى عن معنى الجملة دى

(ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل)

وبكرة نبقى نكمل حفظ قرآن تمام

واقفت سديم بكل حب:

- حاضر يا مامى

احتضنتها والدتها تتحدث بحنان أمومى:

- يا روح قلب ماما

باك

أزالت دموعها مكررة جملة والدتها بصوت خافت:

الى قدر يخلقه من طين قادر يزرع جواه بذرة حب

ارتدت ثوب واسع وحجابها الطويل نسبيا ثم اتجهت للخارج بثقة غير عابئة بأى
شيء آخر

داخل المطعم

- جهز الطلبية دى يا تامر على ما أرد على مكالمة

قالها ساجد قبل أن يتحرك لأحد جوانب المطبخ ليجيب على الهاتف بقرف:

- نعم

رفعت المتصلة حاجبها تتحدث متهمكة:

- ما تيجى تاخذلك قلمين يا خويا مالك قرفان كدة ليه

تنهد عنيفا حتى أضاف غاضبا:

- سامية أنا مش ناقص ... الموضوع اللى متصلة عشانه مش هيحصل ... أنا
اتنازلتلك إنتى والهانم أختك عن ورثى لكن البيت لأ

ارتفع صوتها صارخة عليه:

- ما إنت مش راجل لو كنت راجل كنت خفت على ! ...

أغلق الهاتف سريعا وزفر بعنف

اتجه لتامر يأخذ الطلب منه ... خرج ووجه يكاد ينفجر غيظا من عالمه

يركض خلفها وسط ضحكاتهما وهو يصرخ:

- بقى تفزعينى من النوم وتقوليلى الحق إنت انفصلت من الكلية يا بهيمة مايصة

ازدادت ضحكاتهما الهستيرية عليه:

- ههههه ما إنت مش عايز تصحى وبعدين يا تميمة النحس هتفصل إزاي وانهاردة
أول يوم يا غبى

توقفا عن الركض عندما رأوا ذلك السمج المسمى صلاح

أشاحت بوجهها لا تطيق رؤية وجهه حتى بينما نظر تميم بغضب

- إزيك يا ميا عاملة إيه

ازداد تميم غضبا يستمع إليه يلقبها بما هو يخصه فقط:

- ملكش دعوة بيها ومتقولهاش ميا تانى

رفع حاجبة مستفزا إياه:

- وإنت مالك إذا كان أختك نفسها مش معترضة إنت هتعرض

تحرك للمطبخ مرة أخرى لأخذ الطلب وتقديمه لأحد الزبائن بجسد جامد لا روح فيه
شارد كعادته

لكن توقف ما إن اصطدم بشيء صغير لينظر بغضب لهذا الجسد

دلفت للمطعم بهدوء وهى تقول بهمس:

- متدوريش عليه متاخدش ذنوب سيبي ربنا يختارلك الخير

ولكن وكحال أى نفس بشرية ضعيفة رفعت نظرها قليلا تبحث عنه حتى وجدته
يتحرك

أخفضت بصرها بسرعة شاهقة بطفولية مستغفرة ربها على ما فعلت

أفاقت على اصطدام شيء صلب بوجهها

نظرت له لتجد صدر أحدهم

رفعت رأسها قليلا لتجده هو ولكنه حقا مخيف !
كان ينظر لها بغضب و عيونه حمراء بشدة

قرب وجهه من وجهها مستعدا للإنفجار غضبا
ولكن تبدل الحال لتنفجر هي بكاء!!
ظلت تبكى وتشهق كالأطفال وهو ينظر لها بذهول
أمتعوه تلك الفتاة؟!!

أفاق من صدمته ليتحدث:
- حضرتك بتعيطى ليه أنا ماعملتش حاجة يا فندم

لم تسمعه بسبب صوت بكائها العالى ... بدأ الجميع ينظر لهم متعجبين
تطلع ساجد حوله بحرج وخوف من أن يراه مديره ... أخذها للخارج مسرعا وسط
بكائها

زفر بعنف ثم نظر لها قليلا حتى تحول نفاذ صبره إلى حنان بعد مدة

لا يعلم لما شرد بوجهها الطفولى الجميل
نظر بإعجاب لملابسها المحتشمة سرعان ما استغفر ربه متحدثا بهدوء:
- طب بطلى عياط وقوليلى مالك بتعيطى ليه

بدأت تهدأ قليلا فنبرته الحنونة بمثابة دواء لها لتجيب عليه كمن تعاتبه:
- متبصليش تانى كدة ... إنت خوفتى أوى

ثانية واحدة وانفجر ضحكًا عليها حتى كاد يسقط أرضًا:

- ههههه كل ده عشان بصتك بصة أمال لو كنت رزعتك قلمين معتبرين

شهقت بصوت عالٍ ناظرة له بخوف لتظهر ابتسامة جميلة مطمئنة على وجهه:

- متخافيش مش هعمل كدة

رغمًا عنها ابتسمت لابتسامته فظهرت غمازاتها المحفورتان بوجنتيها الممتلئتين

نظر لتلك الغمازتين لتلاحظ ذلك

أخفضت رأسها بخجل فسقطت دمعة من عينيها عندما انتبهت أنها ألحقت نفسها بالذنوب للتو لتتحدث بخفوت معنفة حالها:

- إنتى غبية ... أديكى خدتى ذنوب ... مكنش ينفع أتكلم معاه ولا أبصله

تركته سريعًا متجهة لسيارتها حزينة لما حدث بينما هو نظر لطيفها وقد ازدادت ابتسامته:

- معقولة لسة فى بنات بالبراءة دى ... معقولة لسة بيهتموا بدينهم

لا يعلم لما بدأ يقارنها بحبيبته التى اعتادت على الملابس الضيقة بعض الشيء

كم من مرة حذرها سواء من ملابسها أو شعرها النصف مغطى

ولكن كانت إجابتها المعتادة

(أوف ساجد متتحكمش فى كل زمن ليه ستايل لوحده ودى الموضة دلوقتى)

زفر بعنف متذكرًا لحظاتها معًا

كانت معظمها جفاء ولكن لا ينكر بوجود لحظات جميلة لن ينساها أبداً لا ينكر
أنها كانت لفترة نِعم الحبيبة ... لا ينكر أنها ظلت بجانبه لسنوات ... لا ينكر حنانها
الذى أحبه بشده

أفاق من شروده على شيء هام:

- يا ربى على الغباء إزاي مسألتهاش عن اسمها ... بس أنا حاسس إنى شوفتها قبل
كدة

جفل فزعا عندما استمع لصراخ صديقه:

- إنت هتجربنى وراك يا بنى أستاذ طلعت هيز عقلك ويز عقلنا بسببك

- حاضر حاضر جاى أهو

- صلاح ملكش كلام ولا معاها ولا معايا

نطقها تميم بغضب لتحاول زينب تهدئته:

- اهدى يا حبيبى صلاح مش قصده

هنا وتدخلت مياسين قائلة:

- يا ماما مهو ال ...

قاطعتها زينب صارخة بقسوة:

- اخرسى يا مقصوفة الرقبة ويلا على أوضتك مفيش جامعة

نظرت لها بصدمة ممزوجة بخذلان قبل أن تتجه ببطئ لغرفتها
لحظة وتوقفت بفعل تلك اليد الحنونة
والقاسية بنفس الوقت!

التفتت ونظرت داخل عينيه المظلمة بهيام بينما نظر لها بحنان جارف:
- ميا تعمل اللي عايزاه وكلنا تحت أمرها
ثم أضاف بقسوة ناظرًا لمن حوله:
- ومش هسمح لحد يقتل منها أبدا مفهوم

خرج محمد من غرفته على صوتهم العالى:
- فى إيه صوتكم عال ... إيه ده واد يا صلاح عامل إيه

كبت غضبه يجيب على عمه:
- كويس يا عمى كويس أوووى ... عن إذنكم

وتحرك للباب بعصبية بينما محمد يتطلع لأثره متعجبا قبل أن يتحدث مسرعا:

- مياسين ... روحى وصلى ابن عمك

جاءت لتتحرك زافرة بعنف من طلب والدها الثقيل على قلبها لتمنعها نفس اليد
الحنونة وصاحبها يتحدث بتجاهل لمن حوله:
- يلا يا ميا ورانا جامعة وهنفطر هناك

خرجا من المنزل متجهين للجامعة بواسطة سيارة أجرة

بينما بالداخل جلس محمد على المقعد وهو يردف:

- يا زينب حطيلي الفطار

ضمت شفتيها للجانب متحسرة:

- أما لو الواد تميم يسيبنا نعمل اللي عايزينه كان زمانا ناسبنا أخوك ورجعنا ورتنا لكن نعمل إيه

صرخ بها غاضبا لا ينقصها صدام آخر:

- أنا مش ناقص صدام على الصبح

عقدت حاجبيها غاضبة هي الأخرى:

- حاضر ياخويا متسربع على إيه الله

اتجهت للمطبخ متممة بكلمات غير مفهومة بينما تجاهلها الآخر

فى الجامعة

لكزها بكتفها يتحدث مازحا إياها:

- يلا يا بت بيتك بيتك ... روى محاضرتك بلاش شغل الشحاتة ده

اتسعت عيناها مما تفوه به:

- يلا يا متخلف عايزنى أبقى فاشلة زيك

اقترب منها ببطئ قاتل:

- آه يا بنت ال ... والله لأضربك

- آاااه آاااه

ابتعد فزعا عنها يتطلع إليها بصدمة:

- بس يخربيتك هتفضيحننا هو أنا لمستك

انفجرت ضاحكة على تعابير وجهه وهى تركض لمحاضرتها بينما ابتسم هو:

- ربنا ما يزيل الضحكة دى من وشك أبدا يا ميا

مساءً

شجعته على الدخول مرحبة به:

- اتفضل يا بنى البيت بيتك يا حبيبى

ابتسم قصى مردفا:

- تسلمى يا أمى

بادلته الابتسامة حتى عقدت حاجبيها متسائلة:

- أومال مفيش حد معاك ولا إيه

احمر وجهه حرجا:

- حضرتك عارفة أنا يتيم ومفيش عمار أوى بينى وبين قرايبى

همهت متفهمة كلماته تتحدث بحنان:

- ولا يهكم يا حبيبى إحنا أهلك وناسك ... يا نيرة الحاجة الساقعة

دلفت الابنة للداخل بفستان جميل وقد احمرت وجنتاها خجلاً لذلك الموقف التى توضع
به لأول مرة

- اتفضل

همستها ليتطلع قصى إليها بإعجاب:

- يزيد فضلك

جلست بجانب والدتها التى بادرت بالحديث:

- بص يا حبيبى ميغركش إن مفيش راجل وسطنا .. لأ أنا كنت لنيرة الأم والأب ...
وأنا اللى هسلمها لعريسها بإيدى من غير ما اتحوج لأيتها راجل

شعر بالتعجب والإعجاب معا من تلك المرأة القوية:

- وده شىء ميعيبكىش يا أمى

- طب يا حبيبى هسيبك أنا بقى مع نيرة تتعرفوا وبعدين نبقى نتفق

أتبعت حديثها بالنهوض تاركة إياهم

تنحى وهو يعتدل بجلسته أكثر وأكثر:

- إنتى طبعا عارفة إنى ظابط والحمد لله مرتبى كويس جدا وفتح حساب فى البنك
للزمن وعندى شقة متجهزة واقفة على الفرش بس

لم تعلم بما ترد عليه لتفضل الصمت .. لاذ السكون بينهما فتابع هو:
- احم إنتى خلصتى كلية يا آنسة نيرة مش كدة

رفعت رأسها مجيبة بهدوء:

- أيوة فاضل بس أسحب ورق من الكلية
- طب تسمحيلى أبقى آجى معاكى وأهو نتعرف على بعض أكثر

ابتسمت له وأومات موافقة ليستمر بمحاولاته لخلق حديث شاق بينهما

زفر العاملون بملل من كلماته التى يكررها منذ الصباح:

- مش عايز غلط الناس دى مبتسامحش الغلطة بفورة عندهم
كل واحد هيلاقى يونيفورم جديد فى أوضة اللبس .. تدخلوا الأوضة وكل طقم عليها
اسم صاحبه ... تلبسوه وتجهزوا عشان العربيات مستنيانا برة

اتجه ساجد بكسل وتعب للداخل فقد انتهى نصف يوم شاق ليحل ما هو أشق
ارتدى الجميع ملابسه ودفقوا لسيارات صاحب الحفل متجهين لفيلته

فى بيت قديم بمنطقة فقيرة حيث سيدة أربيعينية جالسة مع ابنتها تواسيها:
- يا حبيبتي متزعليش أنا وراه لغاية أما يبيع البيت

دمعت عينا سناء باكية:

- ينفع كدة يا أما .. أخلى سامية تكلمه يبيعنا البيت يقوم يبجح ويقفل السكة فى وشها

تنهدت سعاد بقلة حيلة وعجز فالأمور ليست بيدها:

- يا حبيبتي هو بكرة بيع البيت ليكم متستعجلش

- يا أما هو بيعمل فينا كدة ليه ... هو راجل يصرف على نفسه لكن إحنا ستات وعندنا ولايا هنجيبلهم ياكلوا منين

ترددت سعاد قليلا حتى قررت التشجع والحديث:

- مهو بصراحة بقى ... الواد عنده حق برضو إنتى سايبة البيه كريم مبلطع فيها هو والمحروس صفوان جوز أختك ولا كأنهم إجواز ومسئولين عن بيوت فاتحينها

اتسعت عيناها غاضبة من كلمات والدتها:

- جرا إيه يا أما هو الواد ساجد قلبك ولا إيه ... ده كريم يا حبة عيني ببيجي من الورشة تعبان ومش قادر روى قولى الكلام ده لصفوان جوز المحروسة بنتك اللى بيشرى ويسف فى القرف بتاعه ده

تراجعت فورا ما إن استمعت لنبرتها الغاضبة الصارخة:

- اهدى يا حبيبتي مش قصدى أنا بس بقول إن كريم و صفوان مش بيشتغلوا كويس و ...

تجاهلت نبرة والدتها العجزة لتستمر بصراخها:

- خلاص يا أما شكرا على الضيافة بتاعتك ومش عايزين حاجة هو إحنا هنشحت حقنا ولا إيه بكرة يجيلنا بنفسه سلام

- يا بنتى يا حبيبتى استهدى بالله بس و ...

قاطع كلماتها انتفاض سناء تاركة إياها وتبعها صوت غلق الباب لتتهد بضعف:

- آه يانى أعمل إيه بس حلها من عندك يارب

ارتدت فستانها الفضفاض وحجابها الأنيق بعناية شديدة كأن الكون يتوقف على ذلك

... نظرت بالمرآة وقلبها يكاد يقفز فرحاً للقاء حبيبته

أفاقت على دق الباب فأردفت برقة:

- ادخل

- حبيبة بابى عاملة إيه

تركت المرآة أخيراً لأجل والدها الذى احتضنته:

- أنا كويسة أوى أوى يا بابى

- يلا يا حبيبتى المعازيم وصلوا

بدأ بالعمل محاولاً تجاهل نظرات الشفقة أو الاحتقار فى عيونهم ... بالرغم أن عقله

تعود على تلك النظرات إلا أن قلبه لم ولن يعتد أبداً

كان يتحرك بكل مكان حتى تصنم مكانه وهو يرى ملاك بثوب أبيض يهبط على درج

لامع كالزجاج يدها بيد رجل كبير السن

ظل شاردا بذلك الملاك يتطلع بكل شيء بها بداية من حجابها الأنيق والجميل المغطى شعرها تماما تبعها بوجهها البرئ المتناسق بعينيها السوداء الواسعة وأهدابها التى لم يرى مثيل لها بإغرائها

وشفتيها الصغيرتان المنتفختان قليلا كالأطفال وكوجنتيها الحمراء حمرة طبيعية لم تفسدها الألوان الصناعية

كاد يهبط يتفحص جسدها حتى توقف عندما أدرك أنها هى

تلك الفتاة أو عفوا لنقل الطفلة التى قابلها

لا يعلم لما بدأت ابتسامة خافتة تظهر على وجهه ببطئ شديد وهو يتذكر لقاءهم صباحا حتى جفل مكانه منتفضا من صراخ العجوز الأخرق:

- اتحرك يا أستاذ سايب الناس بينادوا عليك وسرحان فى سديم هانم

سديم ؟!

غريب ... نادر ... لكن له نعمة خاصة على قلبه!

أفاق على نفس الصراخ ليتحرك بسرعة وتعثر يلبي طلباتهم وكيانه شاردا مع تلك الطفلة فى جسد أنثى

هبطت مع والدها بخجل شديد وبعض من الرهبة لكثرة عدد من حولها حاولت أن تندمج مع الجميع ولكن متى استطاعت؟! تكره هذا الوسط بمن فيه سرعان ما تذكرت شيء هام لتبدأ عيناها بعملها المعتاد .. البحث عن معشوقها

تبحث عنه بكل مكان ولهفتها واضحة للعيان حتى وجدته أخيرا يتحرك من شخص
لآخر مجيبًا طلباتهم

آااه كم هو وسيم ... صاحب شخصية يملك هالة لم تراها ولن تراها أبدا في غيره
فالقلب لا يرى غيره

عقدت حاجبها بتفكير ما إن لاحظت تغير ملامحه للغضب والضيق بعدما رأى شيء
بهاتفه

جالس على الفراش وهو يرسل أحدهم حتى سمع دق على الباب ليغلق هاتفه:
- ادخل

تقدمت للداخل وهي تتمنى لو تستطيع التقدم في علاقتهم ويبادلها عشقها ولكن هيهات

جلست بجانبه بابتسامة وديعة:

- ها ... صايع العيلة بيعمل إيه

ضحك من كل قلبه ... تلك الضحكات التي لا تخرج سوى معها:

- ههههه يا بنتى صياعة إيه دا أنا محترم

رفعت حاجبها مضيقة عينيها ورأسها يهبط قليلا متهمكة من حديثه:

- والله ... طب احلف كدة

ظهرت الجدية على وجهه وليس قلبه:

- طب وحياة خالتى صفاء

- ههههه لا طالما حلفت بيها فأنا مصداك ... بس معلش لو فيها رزالة يعنى ... هى مين خالتى صفاء دى أصل على حد علمى إننا ملناش خالة اسمها صفاء

شهق بدهشة مصطنعة من جهلها:

- إنتى متعرفيهاش

- لأ

- ولا أنا

ضربته بخفة قبضة يدها على كتفه:

- أصلك بارد ... آاااه

نهضت بفزع تجرى ما إن وجدته ينهض لينقض عليها فركض خلفها هو الآخر

اقترب منها ليضع يده على بطنها وهو خلفها ويرفعها عن الأرض يدور بها فيلتصق ظهرها ب صدره العريض

علت ضحكاتهم السعيدة معا حتى توقفا على ذلك الصراخ:

- فى إيه ... ما تحترمى نفسك

توقفا عن الحركة لتلامس قدما مياسين الأرض ببطئ وحزن يماثل حزن قلبها:

- آسفة يا ماما

لم تهتم باعتذارها بل استمرت بتوبيخها:

- كان يوم اسود يوم ماخلفتك

هنا وكفى ... قرر التدخل فتحدث والتعصب باد على وجهه:

- ماما .. مينف..

توقف عندما وجد يدها الرقيقة تحتضن يده لتجعله يصمت

مرت ثوان تخلو من الكلمات لكن مشحونة بأصوات التنفس حتى ظهر صوت محمد المنزعج:

- إيه الصوت العالى ده

أجابت زينب مسرعة:

- شوف بنتك الهانم ... معطلة تميم عن المذاكرة

تطلع لابنته بنظرة ثاقبة قبل أن يصرخ:

- على أوضتك يا بت

ارتعشت مكانها خوفا قبل أن تركض لحجرتها مسرعة تبكى حزنا على حالها وحال والديها

شعر تميم بجمرات من النار غضبا فتحرك قبل أن يفتعل مشكلة مع والديه لأجل أخته الحبيبة

أوقفته كلمات والدته المتلهفة:

- رايح فين يا تميم

لم يلتفت إليها حتى وهو يجيب:

- رايح لأختي

تنفست بضيق أخفته حتى لا ينتقل إليه:

- ماشى ... ماشى يا تميم ... هاتها وتعالى نقعد برة نسمع حاجة

- حاضر

استطاع بصعوبة اقناعها للجلوس معهم

يشاهدون التلفاز بهدوء حتى تحدثت والدتهم بنبرة جافة:

- قومي يا بت اعملى شاي لأبوكى وأخوكى بدل قعدتك دى

زفر تميم بغضب ... لا يعلم لما تلك المعاملة لأخته الحنونة والمحبة للجميع !

خضعت مياسين لكلمات والدتها فنهضت تعد المشروب:

- حاضر يا ماما

بعد مدة أنت وببيدها تحمل كوبيين

جاءت تتحرك لتتعرّش دون قصد فسقطت بضعة قطرات من الشاي على زينب التى انتفضت صارخة قبل أن تنقض عليها ضربا بيدها القاسية:

- هتموتينى يا بنت الكلب ... ربنا ياخذك يا شيخة

هب تميم بسرعة محاولاً إبعاد والدته عنها وسط مشاهدة والده لما يحدث بتعثر
وصدمة جعلاه صامتا

وأخيراً استطاع إبعاد والدته عنها بعدما كادت تفتك بها ليحتضنها خلال بكائها
الهستيري وتشنج جسدها من فرط ارتعاشه الواضح

بمجرد رؤيته لحالتها حتى أصبحت الشياطين فوق رأسه فاحمرت عيناها وصاح
بغضب عارم:

- بس بقى فى إيه بتعاملوها كدة ليه ... هى مش صغيرة عشان تنضرب وبعدين
موقعتش ماية نار يعنى

ابتلع محمد ريقه بصعوبة لذلك القرار الذى اتخذه
قرر إلغاء كل شيء لسبيل مصلحته فقط ولينهى تلك الحرب الدائمة:
- مياسين

أجابت ببحة تخللتها شهقات عالية وهى تشتد على احتضان تميم:
- نعم

زفر عدة مرات مجمعا كامل قوته لذلك القرار قبل أن ينهض منفعلا:
- اطلعى برة حياتنا ... بنتنا ماتت ومعدش عندنا غير تميم وإننى اعتبرينا متنازى ما
اعتبرناكى

كأن دلوا من الماء المثلج سقط على الذين يحتضنان بعضهما
كاد يتوقف قلب مياسين مما نطقه وا... لا لا يستحق لقب الوالد أبدا

قاربت على السقوط أرضاً لذهولها فتمسك تميم الذى لا يقل صدمة عنها بها

اشتدت قبضته على يدها والأخرى تتمسك بخصرها يتطلع إليها برجاء أن تبادلها
النظرة عله يصلح ما أفسده بل دمره والده

ظهر العرق والتوتر على وجهها لترفع رأسها ببطئ تنظر له
ما إن اجتمعت عيناها حتى نفى لها مسرعا خوفاً من ابتعادها

تنفست بتوتر وقد عاودت دموعها للهبوط بعدما توقفت لصدمتها هى الأخرى

اعتدلت ببطئ شديد بوقفها قبل أن تزيل يدي تميم بعنف وعزيمة
بعد إلحاح منها تركها لتدلف لغرفتها بشرود وتيه فلحق بها رامقاً والديه بنظرات
عتاب وغضب

دلف للغرفة وما إن التفت حتى جحظت عيناه مما تفعله:

: إنتى بتعملى إيه؟!

لم تنظر لوجهه تجيب ببكاء:

- بريح نفسى وأريحكم معايا

انكمشت ملامحه حزناً يقترب منها محاولاً أن يهون عليها قليلاً:

- ميا سيبك من كلامهم أنا معرفش ليه بيعملوا كدة بس .. بس يعنى ..

ابتسم جانب فمها بسخرية مجيبة:

- مش لاقى تبرير لأفعالهم صح ... بس للأسف أنا عارفة !!

المهم مفيش حاجة هتغير قرارى

دمعت عيناه واختنقت الكلمات بحلقه حتى استطاع إخراجهم بصعوبة:

- طب خليكى هنا وأنا هخليهم يعتذرولك ... أو خدينى معاكى وخلينا نعيش لوحدنا

انفجرت الدموع منهمرة كمن تثور على الزمن وما يفعل بصاحبه لتندفع محتضنة إياه:

: بالله عليك سيبنى لوحدى ... أنا هروح الشقة القديمة بتاعت جدو الله يرحمه ... وقت ما تعوزنى هكون هناك

نفى مسرعا بشدة لكلماتها الكاوية لقلبه حتى حرقته:

- لا لا لا أنا هروح معاكى مش هسيبك

حاوطت وجنتيه ناظرة داخل عينيه وقد اكتفت بذلك

راى نظرة أول مرة يراها لا يستطيع تفسيرها أو حتى التفوه أمامها بكلمة

لا يعلم كيف مر الوقت سريعاً

أخذت متعلقاتها وتركت المنزل نهائياً وسط برود والديه الذان لم يكلفا نفسيهما عناء السؤال عن مكانها

شعر باختناق شديد لكن لم يمنعها
يعلم تمام العلم أن ذلك أفضل لها
حتى لو تألم فى بعدها لكن يكفى ابتسامتها التى ستعود لوجهها الجميل

أغلق باب غرفتها بعنف حتى كاد ينكسر واندفع لفراشها باكيا
منكمشا عليه كالطفل الذى أضاع والدته يحتضن فراشها عله يستشعر قربها ودفنها

وصل إليه إشعار ليفتحه بلهفة سرعان ما تحولت لصدمة وهو يرى صورة محبوبته
مع رجل وسيم على صفحتها بإحدى مواقع التواصل الإجتماعى

ذهل من كلمات الحب أسفل الصورة ومباركات الفتيات لها
أحبيبته أصبحت لغيره؟! لم تنتظر يوما حتى تنساه وتنسى حبهما؟!
وهل كانت تحبه أم تخدعه؟!

تحولت عينيه للون قاتم غضبا مما يحدث له رفع أنظاره فرأى تلك الملاك المتطفلة
عليه تنظر له بفضول لتتكمش ملامحه يبادلها النظرات لكن بشراسة
انتفض جسدها وركضت مسرعة كطفلة خائفة مبتعدة عنه
لو كان بظروف وأحوال أخرى ... لضحك على شكلها اللطيف!

كانت تنظر له بفضول سرعان ما ركضت خائفة بعدما رأت نظرتة المخيفة تلعن نفسها
مئة مرة على فعلتها

بالتأكيد لاحظ مراقبتها له لذلك تضايق منها

تحركت بتعثر فى كل مكان تبحث عن والدها ... أسرع لركن بعيد بعدما وجدته هناك
كان يسير مع أحد أصدقائه معطين ظهرهما لها
تحركت بخفه طفلة لترعبه حتى تصنمت مكانها بصدمة مستمعة لكلامهما:

- ها يا مصطفى بيه كله تمام

- أكيد طبعا تمام يا نادر بيه الشغل معاك بيكون بالمسطرة دايمى ودى أكثر حاجة
بتعجبني فيك

ضحك نادر فخرا لكلمات شريكه المعجبة بعمله:

- هههه يبقى هنشتغل مع بعض كثير ... المهم نص شحنة المخدرات وصلتك وكام
يوم وهيوصلك الباقي ويتبعلى معاه باقى المبلغ

ابتسم مصطفى بجشع مضيفا:

- أكيد يا نادر بيه

هل تسموع ذلك الصوت؟ إنه صوت تحطم

ليس صوت تحطم قلب ... ولا عقل ... ولا جسد

بل جميعهم

تحطمت كليا من الداخل والخارج ... صدمة لن ترى مثلها

تطلعت بدموع أمامها غير مصدقة لما سمعته ... كيف ومتى وأين

تخبط ... تعثر ... تيه ... أحاسيس بداخلها لا تعلم معناها ... لا تعلم كيف تنظر
بوجهه بعد الآن

تحركت للخلف لتصطدم بجسد ضخم
نظرت لمن أمامها لتجده حبيبها
وقد احتلت الصدمة وجهه هو الآخر !

بمشفى للأمراض النفسية
تتحدث ممرضتان بالمشفى حتى أردفت الأولى بعدما خفتت نبرة صوتها:
- هي ياختى هتفضل خارسة كدة كتير ... امتى بقى تتكلم بقالها سنين هنا

وضعت الثانية يدها على فم الأولى بخوف معنفة إياها:
- ششش اسكتى خالص إنتى مش عارفة دى تبع مين

عقدت حاجبها لخوف صديقتها فأجابت بهمس وقد انتقل الخوف لها:
- تبع مين يعنى شكلها عادية وزينا

ظهر الامتعاض على صديقتها وهى تقول:
- نبيلة علينا ... وهى لو عادية كانت هتبقى هنا ياختى
- خلصى قولى دى تبع مين

اقتربت الممرضة منها تتحدث بهمس شديد بأذنها كأنه سر خطير:
- دى تبقى تبع أسد ضرغام !!

يجلسان بعيدا عن الحفلة تماما

مازالت بصدمتها ... دموعها تنهمر كالشلالات ... صوت شهقاتها يعلو ويعلو حتى
كاد يصبح صراخا

غير مصدقة ما حدث كلتا يديها على فمها بصدمة حقيقة

شعر بالشفقة والحزن على حالها ليحاول تهدئتها قليلا:

- اهدى يا آنسة وكل حاجة هتكون تمام بإذن الله

أزالت يدها وتحولت شهقاتها لصرخات خافتة وانتقلت إحدى اليدين تقبض على قلبها
الذى يؤلمها:

- إيه اللى هيكون كويس ... بابا تاجر مخدرات ... إزاي ... إزاي قدر يعمل فيا كدة
... إزاي قبل إنه يأكلنا من فلوس حرام ... أنا مش عارفة أعمل إيه

صمت هو الآخر متطلعا للعشب بحيرة ... لا يعلم ما يفعله ... صدم ... كيف لرجل
أعمال معروف بنزاهته أن يكون مدمر أجيال وأجيال

هو الذى لا يعلمه ولا يقرب له شيء وتلك حالته فما بالك بابنته

ظلوا على حالهم لمدة طويلة والصمت يعم المكان لا يتخلله سوى موسيقى هادئة
قادمة من بعيد وشهقاتها الخافتة فى تناغم معها

يشعر بالوحدة الشديدة ... لم تمر ساعة حتى وبدأ يشعر بالنفور تجاه كل شيء
يريدها هى فقط ... أخته وابنته الحبيبة ... صديقته الوحيدة ... مأواه كما يقول دائما
داخله ... لطالما كانت مسكنه وبئر يسكب بها أوجاعه وحزنه لتتلقفه بكل سعادة
ورضا دون تذمر

يريد الصراخ ... يريد البكاء ولكن حتى هاتان لا يستطيع فعلهما
انتفض عن الفراش وقد تشنج وجهه بعدما تحول حزنه لغضب وهو متجها للخارج:
- ممكن أعرف فى إيه ... ليه بتعاملوها كدة ... ليه مش بتحبوها ... دى بنتكم

عقدت زينب حاجبيها بضيق من صراخ ابنها لينتقل الغضب إليها:
- جرا إيه يا تميم هتعلى صوتك علينا عشان خاطر المحروسة أختك

انفرجت شفتاه واتسعت عيناه يتطلع لكل اتجاه غير مصدق ما يسمعه حتى نظر لها
مرة أخرى ذاهلا من حديثها:
- إنتم إزاي كدة ... إزاي أهل

ترك محمد فنجان قهوته قبل أن ينهض صارخا لعدم احترام ابنه لهما:
- تميم احترم نفسك ... الواضح إننا دلغناك زيادة

نفى برأسه وما زالت الصدمة تحتل وجهه وعيناه تالأأت بالدموع:
- صح إنتوا دلغتونى زيادة ... أنا مشوفتش غير الدلع لكن هى ... هى مخدتش غير
القسوة وبس

تنهد محمد قليلا سرعان ما عاد لقسوته غير عابئ بشيء:
- مش عاجبك الباب يفوت جمل

ابتسم بوجع متحسرا حالهم جميعا حتى خفت صوته:

- متقلّش مكنتش هفضل هنا وأسيبها لوحدها ... أنا رايح لميا

قبل أن يخطو للخارج كانت زينب تنتفض صارخة وقد تملكها الفزع والبكاء:
- لا لا بالله عليك يا حبيبى خليك جنبى متسبنيش يا ضنايا ... أنا مليش غيرك

تعجب كثيرا من تمسكها به بينما تركت الأخرى دون دمعة عليها حتى ... أيعقل أنهم
ممن يفضلون الذكور؟!

أفاق على صوت ارتطام شيء بالأرض لينظر بذهول لجسد والدته الممد شاحبة الوجه
اتجه هو ووالده إليها سريعا وحملوها للغرفة خائفين عليها خاصة بعد استشعار
برودة جسدها

بإحدى المطاعم شبه الراقية
تجلس بهدوء ناظرة لكل شيء حولها بانبهار مما تراه لأول مرة
ابتسمت متحمسة وقد أعجبتها الحياة الجديدة التى ستنعم بها للأبد:
- الله المكان ده حلو أوى أوى وشكله غالى

ابتسم هو الآخر مجيبا عليها:
- ميغلاش عليكى يا روحى

صمتا قليلا حتى أضاف:

- إيه رأيك الخطوبة والشبكة وكتب الكتاب نعملهم مع بعض

تطلعت إليه بتردد ممزوج بنظرة ذاهلة من تعجله:

- مش عارفة بس الراى رأى ماما

- ماشى يا ستى هبقى أقولها ونشوف بإذن الله

أومأت له والتزم كل منهما الصمت لكن بداخلهما يحاولان البحث عن موضع للحديث ... بعد وقت ليس بالطويل استطاعت التوصل لتردف مبتسمة:

- صحيح إنت معرفتنيش عن نفسك أكثر يعنى سنك بتحب إيه وبتكره إيه وقرائيك وكدة يعنى

تنهد معتدلاً بجلسته ليتحدث:

- أنا عندى ٧٣ سنة وبحب.....

قاطعته بصدمة قائلة:

- إيه ٣٧ سنة؟!!

تعجب من ذهولها ليردف بتقرير:

- أيوة ٧٣ سنة

همهمت له محاولة الابتسام ... تناولت بعضاً من مشروبها حتى أكملت:

- وإزاي لسة ظابط متهيالى كان المفروش تترقى بالسن ده

رفع كتفيه وأنزلهما بلا مبالاة:

- عادى أخذت أجازة فترة كبيرة وكان فى مشاكل مع منصب أعلى منى فمكنتش بترقى لكن هو اتنقل من كام شهر واحتمال أترقى على السنة الجاية كدة

-امممم الأكل وصل يلا ناكل ونبقى نكمل

لاحظت خروج ابنها لتعدل بجلستها متسائلة:

- رايح فين يا صلاح

ابتسم لها واتجه مقبلا يدها:

- المستشفى يا ماما

تنهدت يائسة من رأسه اليباس:

- برضو ... مش عارفة إيه تعلقك إنك تروح مستشفى الأمراض النفسية

جلس بجانبها يحاوط كتفها يهزها بمرح:

- يا ماما إنتى عارفة إن جدى كان فيها وأنا كنت بحبه ولما بروح هناك بحس بيه حواليا

تنهدت مستسلمة لرغبته الغريبة:

- ماشى يا حبيبى ربنا يصلح حالك يارب

- والله يا ماما صلاح طيب وأصيل ياكشى بابا بس اللى ميوظه شوية

لاحت الحدة على وجه والدتها تغفها:

- شریفة عیب ده أبوکی

احتضنتها معذرة منها على وقاحتها:

- مش قصدي والله ... خلاص متزعزعيش يا ست الكل

دلفت للمنزل القديم والمتهاك كحالتها من الداخل لتتفاجئ بالأتربة وبعض الحشرات المقززة فخرجت تنهيدة حزينة:

- یااااااارب

وضعت حقائبها فى ركن بعيد لتبدأ حملة التنظيف محاولة طرد شحنة اليأس خارجا
بحث عن منظفات فلم تجد

زفرت بضيق وبداخلها تقول (بداية مبشرة) واتجهت لخارج البيت ... تطلعت حولها حتى قررت الاستعانة بشخص ما

خرجت من المنزل تتطلع للبيوت حولها بحيرة حتى قررت الذهاب للمنزل المجاور لها

طرقت الباب بتوتر وخوف من ذلك المكان الجديد عليها

ثوان وفتح الباب لتجد سيدة يظهر عليها الشقاء وكبر السن

تحدثت مياسين بخوف ورقة:

- إزيك حضرتك أنا ساكنة فى بيت جدو صلاح اللي جمبكم

أشرق وجه السيدة وتحدثت ببشاشة:

- يا أهلا وسهلا يا حبيبتي ... أنا فاكراكى ... مش إنتى مياسين

ابتسمت وقد شعرت ببعض الطمأنينة:

- أيوة يا طنط

- أنا سعاد يا حبيبتي والحاج صلاح ياما اتكلم مع الشارع كله عنك كان بيحبك أوى
الله يرحمه

تهدت بحنين لجدها المحبوب والحنون:

- ربنا يرحمه

عقدت سعاد حاجبيها بفضول تتطلع حولها :

- هو إنتى لوحذك ولا إيه ... وإيه جابك صحيح ده البيت مقفول من زمان ... وعيلتك
فين يا حبيبتي

احمرت وجنتاها إحراجا سرعان ما زفرت براحة بعدما تحدثت السيدة الفضولة بلهفة
وعتاب وقد نست أسئلتها السابقة:

- يوه معلش يا بنتى نسيت أقولك اتفضلى ... تعالى ادخلى البيت بيتك

- لا لا لا يا طنط مفيش داعى والله أنا بس محتاجة أنضف البيت ومفيش حاجة أنضف
بيها

أومأت سعاد بتفهم وأردفت بحبور:

- طيب يا حبيبتي هجيبلك الحاجة واستنينى أغير الهدمة اللى عليا وهاجى أساعدك

- تسلمى يا طنط والله هو مش كتير متتعيش نفسك

- يا حبيبتي مفيش تعب ولا حاجة

- لا لا والله مش محتاجة هى ساعة هخلص كل حاجة

ظهر اليأس على معالم وجه السيدة متتهدة:

- خلاص يا بنتى ماشى بس لو احتجتى حاجة عرفينى ده الحاج صلاح كان أبونا كلنا

أومات مياسين بابتسامة سعيدة

دلفت سعاد وغابت لدقائق حتى عادت ومعها كل ما تحتاجه:

- اتفضلى يا بنتى دى كل حاجة أهى ... آه صحيح والبيت افتحى محاسبه والماية هتشتغل عادى

أومات مياسين بسعادة وقد تجدد نشاطها خاصة بعدما حصلت على شخص حنون قبل أن تحصل على ما تريد:

- تمام شكرا يا طنط

- العفو يا حبيبتي

أخذت مياسين الأدوات وتحركت لبيتها تحت نظرات سعاد المتفحصة:

- ياختى إيه البت الحلوة دى

أنهيا طعامهما فتحدث بابتسامة:

- ها نروح دلوقتى نسحب ورقك من الكلية

- ياريت والله عشان بكسل

أوما بتفهم ... وضع المال على الطالة وتحركا للخارج

ركبا سيارته واتجه بها للجامعة

مرت نصف ساعة فى صمت لا أحد لديه حديث يشارك به الآخر

وصلا أخيرا للكلية فترجلا من السيارة

تحركا للداخل حتى وجدها تصيح لفتاة ما:

- شوشو إزيك عاملة إيه

احتضنت الفتاة بينما هو يناظرها بفضول وإعجاب لمنظرها المنمق

أفاق على كلمات نيرة:

- قصى أقدمك شريفة

ثم أضافت بفخر:

- شريفة ده حظايط قصى خطيبى

أومات شريفة بابتسامة وبدأت بأحاديث مختصرة مع نيرة حتى استأذنتهما

بالرحيل

تحدث قصى بفضول:

- مين شريفة دى

- زميلتى أصغر منى بسنتين اتعرفت عليها لما هى كانت لسة فى أولى وسألتنى على

كام حاجة فى الكلية

حرك رأسه بتفهم وبدأ أخيرا بالتحدث عن مواضيع شيقة بعدما كان الملل

زفر براحة يكاد يرقص فرحا ... ذلك الطلعت وافق أخيرا على عودته لمنزله

تحرك خطوات للبوابة الخارجية لكن لا يعلم لم حثه قلبه على التراجع

ابتلع ريقه مترددا ... أیذهب إليها أم لا؟!

اتخذ قراره وعاد للداخل باحثا عنها

وجدها بنفس المكان الذى تركها به وعلى نفس الحالة من الشرود

جلس بجانبها على الأرض فوجدها تبتعد بفزع بعدما أفاقت من شرودها

حمم ليخرج صوته حانيا:

- عاملة إيه دلوقتى؟

تحرك جانب شفيتها بتهكم:

- واحدة أبوها طلع تاجر مخدرات هيكون حالها إزاي برأيك
تنهد بعنف لا يعلم كيف يهون عليها:
- الحفلة قربت تخلص ... لازم تقررى هتعملى إيه

صمتت لدقائق كانت كالسنوات بالنسبة له
لا يعلم لما يهتم بها ويخاف عليها ... لكن كل ما يعلمه أنه لا يريد تركها هكذا تائهة
بتلك الدوامة ... يريد الاطمئنان أنها ستكون بخير ما إن يتركها
انتبه كل جزء به لها بعدما تحدثت برجاء:
- بالله عليك أنا عندي حل بس وافق
أوما مسرعا بلا تردد لتتطرق بما صدمه:
- خودنى معاك لأى حنة
اتسعت عيناه ذهولا ليردف بتوتر وعدم تصديق:
- نعم ... إزاي ... لا طبعا ... إنتى أكيد اتجننتى
حركت رأسها نافية بعنف وأردفت برجاء أشد مما قبله:
- لا لا بالله عليك ... بص والله أنا خايفة ومش هقدر خالص أقعد هنا تانى ولو الحفلة
خلصت يبقى اتحكم عليا أفضل هنا عشان غصب عنى هواجهه باللى بيعمله وهو
هيجبسنى ... فأبوس إيدك خودنى أى حنة بعيد عن هنا

ظهرت الحيرة على وجهه يتطلع لكل شيء عدا وجهها البرئ الراجى
زفر بيأس وقلة حيلة مردفا:
- طيب بس بسرعة
أومات بلهفة:
- اصبر هجيب حاجتى من فوق وهنزل علطول

أوما لها فنهضت مسرعة لأعلى وهو يتابعها بحيرة وقلق من موافقته لقرارها
المتهور

أوصلها للمنزل فهبطت مودعة إياه
تحرك بسيارته لخارج الحى شاردا بعلاقتهم ... يشعر بالبرود ... لكن فلينتظر قليلا
... قد يعجب بها فى فترة خطوبتهما

صعدت الدرج ودلفت للمنزل تنادى والدتها:
- ماما ... يا ماما ... عايدتى إنتى فىين
سمعت صوت والدتها بالمطبخ فذهبت إليها:
- إيه يا حبيبتى عملتوا إيه
أردفت بحماس لوالدتها:
- يلهوى يا ماما ده إحنا مش عايشين ... روحنا مطعم يلهوى عليه أبهة أوى ولا
عربيته حاجة شيك كدة بلا ميكروباصات بلا هم
ابتسمت والدتها بسعادة:
- طب الحمد لله يا حبيبتى يعنى ارتحتى خلاص
ظهر التردد على وجهها لتتكمش ملامح عايدة بتعجب:
- فى إيه يا بت
- بصراحة يا ماما طلع كبير أوى ... ده عنده ٧٣ سنة
ضربت عايدة أعلى صدرها شاهقة بعنف:
- ٧٣ سنة إزاي مش باين عليه ده أنا قولت تلاقيه ٩٢ بالكثير
- لا أهو طلع ٧٣ وبصراحة مش عارفة أعمل إيه السن مضايقتنى

تحدثت والدتها بحزم:

_ مضايقتك؟! إحنا هنرفضه قبل ما نعمل خطوبة أيوة هفرح أنا لما تتجوزى واحد أكبر منك ييجى ب ٥١ ولا ٠٢ سنة

عايزانى أرمىكى عشان يبقى حالك زى حال أمك ... لا يا عين أمك إحنا نرفضه وبكرة يجيلك ابن الحلال

ظهر التردد على وجهها:

- مش عارفة يا ماما بس ... أنا خايفة لحسن نندم بعدين

- بت بلا ندم بلا هم ... إنتى تسيبيه وحتى ميجيش تتصلى بيه كدة وتقولوله كل شيء
قسمة ونصيب

زفرت نيرة بضجر:

- طب مش كان من الأول ... ياريتنى ما سيبت ساجد ... والله صعبان عليا أهو ولا
طولته ولا طولت البيه

ربت عايدة على ظهرها بحنان:

- يا حبيبتي خلاص بقى ... وبعدين يعنى مش هيبقى فى عمار بينك وبين سعاد ...
أختى وعارفاه

ومتسش إحنا كام يوم وهننقل والحمد لله لاقينا شرا حلوة للبيت

زفرت نيرة بيأس ثم أردفت بشبه اقتناع:

- ماشى ربنا يقدم اللى فيه الخير

أفاقت لتجد نفسها على الفراش وابنها وزوجها بجانبها

تذكرت ما حدث لتدمع عيناها:

- متمشيش يا تميم ... متمشيش يا بنى
- أمسك يدها وقبلها بحنان ولكن مازالت عيناه حزينة فقد عنفه والده وأخبره أنه من
أمرض والدته فأصبح بين نارين:
- أنا هنا أهو يا ماما متقلقيش يا حبيبتي
- تسلملى يا عين أمك
- تحدث محمد بحزم:
- يلا يا تميم روح أوضتك زينب بقت كويسة آه صحيح ... أختك راحت فين
- قالها بتوتر ليتحدث تميم بسخرية:
- راحت بيت جدى صلاح القديم
- أوما والده بهدوء واطمأن قليلا على عرضه:
- طيب هديك فلوس بكرة تروحها بيها تصرف منهم وكل شهر هيوصلها مبلغ
- مميم طيب يا بابا طيب

نهض بعنف تاركا الوالدين متحجرى القلب وعيناه تدمع اشتياقا لميا

يتحرك بالطرقات بذلك المكان الذى يخرج الإنسانية منه دائما
وقف أمام تلك الغرفة ... لطالما أراد الدخول لكن يتم منعه دائما
استغل عدم وجود أحد حوله واندفع للداخل بلهفة وفضول

تحرك بهدوء رافعا رأسه محركا إياها يمينا ويسارا
فشل فى رؤية المريض الجالس على الفراش يعطيه ظهره

لحظة إنها أنثى ... ذلك الجسد الضئيل ينم على أنثى

تطلع خلفه بتوتر وخوف لا يعلم أكمل المسير أم يخرج
زفر معنفا فضوله لكن ليس باليد حيلة
اقترب أكثر وأكثر حتى أصبح خلفها مباشرة من الجهة الأخرى من الفراش
دار حول الفراش حتى وصل إليها يقف أمامها
اتسعت عيناه لامعة بروياها
يرى فتاة أقل ما يقال عنها فاتنة بملامحها القريبة للأروبيين
عيونها الخضراء بشرتها النقية اللامعة وشعرها البنى
تلقائيا انخفض جسده رويدا رويدا واضعا يديه على ركبتيه محركا رأسه تجاهها
يحدق بها بانبهار
من يراه بهيئته الضخمة وحاله هكذا يجزم أنه رجل بقلب وتصرفات طفل

استمر بتحريك رأسه تارة لأعلى وتارة يمينا وأخرى يسارا
عقد حاجبيه بانزعاج طفولى وهو يراها شاردة كأنه لم يظهر أمامها

جالسة على الفراش بشرود ... تكاد تغمض عينيها ... تتمنى لو تغلق للأبد عليها
ترتاح

دقائق مرت وإذا تستشعر بأنفاس تضرب وجهها بعنف
خرجت شهقة صامتة من شفتيها
رفعت قدميها عن الأرض تضمها لصدرها وتحيطها بيديها بحماية

تراجعت للخلف تتزحزح كالأطفال تماما حتى كادت تقع من الجهة الأخرى للفراش

ابتسم باتساع بعدما انتبهت له وأخيرا

راقب فزعها وتراجعها للخلف ... هجم محيطا إياها بذراعيه مانعا جسدها من السقوط

تطلع لوجهها الأحمر وعينيها المغلقتين خوفا

ضحك ببلاهة ومازال يميل عليها قليلا:

- هههه أهلا أنا ... أنا صلاح وإنتي

فتحت إحدى عينيها فتلتها بالأخرى ... ما إن رأت وجهه حتى ابتست براحة لعدم
انزلاقها أرضا

أفاقت على سؤاله لتبعد يديه وتبتعد بجسدها عنه

تنحج بخفوت وتراجع للخلف قليلا:

- طب إيه ... مش هتقولى اسمك

ظل متطلعا لملامحها المرتبكة حتى قررت أن تحرك يديها بدلا من مقلتي عينيها

عقد حاجبيه بتعجب يراها تحرك يديها بعشوائية حتى اتسعت عيناه بصدمة

بكماء ... أتلک الملاك لا تستطيع أن تتحدث

الآن أدرك صحة تلك المقولة فعلا (الحلو عمره ما يكمل)

توترت ملامحه ... لا يفهم شيئا من حركتها ... قلبه يدمع ألما على حال تلك المسكينة
:

- آآآ ... طب أنا اتشرفت بمعرفتك ... أنا اسمى صلاح ... هههه أنا قولتها قبل كدة ...

اممم أنا باجى هنا دائما ... وهبقى أشوفك كل مرة إن شاء الله

لم تتحرك من مكانها بل مال رأسها وعقد حاجباها بتعجب ليتحدث مسرعا:
- طب بصى عشان اتأخرت ... بإذن الله أبقي آجيلك بعدين تكونى فاضية
يلا سلام

اندفع متجها للباب بتعثر حتى اصطدم بمقعد فتشقلب جسده كالقردة متأوها بألم

جحظت عيناها مما رأيته حتى انفجرت شفتاها
ارتفعت ضحكاتهما بكل أنحاء الغرفة لزمان طويل ... لا تستطيع التوقف عن الضحك
أبدا

نهض عن الأرض مزيحا المقعد من عليه بضيق وإحراج سرعان ما تحول
لبلاهة ممزوجة بفرحة عارمة وهو يرى تبدل حالها من الحزن للسرور

اقترب منها مبتسما بفخر حتى تحول لتعجب يراها تضع كفيها الصغيرين على شفتيها
الجميلتين

تحرير مما فعلته حتى رفع حاجبيه بإدراك:
- هو مش إنتى كنتى خارسة من شوية ... بركاتك يا شيخ صلاح

فلتت ضحكة صغيرة أخرى على كلماته لتضغط بكفيها أكثر على فمها:
- لا لا متضغطيش متضغطيش هى طلعت وخلص ... إنتى مين بقى ... وعاملة نفسك
خارسة ليه

ابتلعت ريقها بتوتر وأدركت أن أمرها كشف لا مفر
أخفصت نظرها للفراش تردف بخفوت:

أخذت كل ما تحتاجه وحرصت على ترك ما جلبه والدها بجانبها جواب
تحذر والدها من البحث عنها وإلا كشفته
تنفر منه ... لا تريد البقاء معه ... ليته يخاف من تحذيرها ويتركها بحالها
ستعتمد على نفسها ولن تحتاج له أبدا
اكتفت بمشتريات والدتها لها والذي كان من مالها ليس مال زوجها
أمسكت الحقيبة الممتلئة بعدما بدلت ملابسها
تحركت على أطراف أصابعها بحذر للخارج
خرجت من باب الخدم للحديقة حيث ذلك الساجد ... اقتربت منه وقلبها الأحمق
يتجاهل كل تلك الأحداث الغريبة المدمرة ... ويدق له
مثلث أمامه لتجده شارد ... حركت يدها يمينا ويسارا عله يفيق وقد كان

تطلع إليها قليلا بحجابها البسيط الجميل ليبتسم بهدوء
أشار للطريق فتحركا بصمت وحذر يتطلعون حولهم
أخيرا خرجا من القصر ليبتسما براحة
التفتت إليه متممة:

- بجد بجد شكرا والله مش هنسى معروفك أبدا
أوما لها بصمت ولم يتحدث ... اكتفى بالابتسامة فهو يفكر ماذا يفعل
أيأخذها لمنزله هو ووالدته ... لكن مهما كان لا يصح فهو شاب
سيتدبر الأمر حتى ولو اضطر النوم بالخارج
لكن ماذا عن المال ... كيف سيوفر حاجة ثلاثة أفراد

آااه عبي جديد عليه ... لكن قد تكون معها المال ... وقد لا تكون

نفى برأسه طاردا تلك الأفكار ليصفو ذهنه قليلا

كانت تسير بصمت حتى تطلعت إليه مرة أخرى:

- هو هتوديني أعيش مع والدتك صح ... مش هتقل عليك والله أول ما ألقى بيت همشى

عقد حاجبيه بتعجب متحدثا:

- عرفتى منين إنى عايش مع والدتى

ارتبكت وتوترت ملامحها ... كيف تخبره أنها تراقبه وتحفظ تقريبا كل شيء عنه وعن حياته خاصة نيرة الشمطاء التى يحبها ذلك من يحبه قلبها الأحمق

تجاهلت سؤاله وصمتت ليزداد تعجبه لكن فضل الصمت هو الآخر

بعد حوالى خمس عشرة دقيقة من السير وصلا لموقف الحافلات

تطلعت حولها بتعجب حيث الحشد الكثير

أجميعهم ينتظرون مثلهما ... يا الله كيف سيركبان وسط كل ذلك

دقائق ووجدت من يسحبها بسرعة راكضا للأمام

شهقت بخفوت لتجد الحافلة قد وصلت

ركض معها وهو يمسك يدها جيدا يتداخل مع الحشود ليجد مكان له ولها حتى ولو بالوقوف

وأخيرا ركبا

أغمضت عينيها براحة من انتهاء تلك الحرب ... سرعان ما عقدت حاجبيها
لا مقعد شاغر ومع ذلك مازال الناس يركبون

تطلع لملامحها مبتسما رغما عنه حتى ضحك بخفوت عليها
تحدث بحنان ممزوج بضحك:
- معلش هو دائما الأتوبيس بيبقى زحمة

تطلعت إليه صامته حتى أومأت له
ظلا واقفين بمنتصف الحافلة والجميع حولهم

لاحظ ذلك الذى تقترب يده من تلك البريئة ليكزه بعنف ويمسك خصرها مديرا إياها
للاتجاه الآخر

تطلعت إليه بصدمة مبتلعة ريقها غير قادرة على الحديث
اكتفت بإزالة يده من على خصرها وهى تشعر بضربات قلبها انتقلت لكامل جسدها

أخيرا أنهت تنظيف المنزل لتجلس على الأريكة بعنف زافرة بتعب:
- يلهوى ... إيه ده كله ... كل ده تراب وعنكبوت ... بس الحمد لله خلصت ... آاه
هموووت وأنااام

نهضت متجهة لغرفة النوم حتى توقفت على رنين الهاتف
التقطته مجيبة دون النظر للمتصل:

- ألو

- وحشتينى

جحظت عيناها مبتلعة غصتها بصعوبة ... تميمة قلبها ... ابتسمت بحسرة سرعان ما
تحولت لحنان وهى تجيب:
- وإنت كمان

أغمض عينيهِ متحدثاً برجاء:

- ميا ... بالله عليكى ارجعى بقى متكبروش الموضوع أنا حاسس بالوحدة ارجعى بالله
عليكى مش عارف أعمل أى حاجة حتى مش قادر أنام وإنتى فى مكان تانى ... أطمئن
عليكى إزاي افرضى لا قدر الله جراك حاجة

ابتلعت ريقها مطمئنة إياه:

- متقلقش والله أنا كويسة وكممان اتعرفت على طنط سعاد ... ست طيبة أوى أوى لو
تفكرها

نفى متحدثاً بياس:

- مش فاكرها بس متأكدة إنها كويسة ... وبعدين كويسة ولا لا إنتى هترجعى أصلا
صح

صمتت بحزن وحسرة انتقلتا إليه ليتحدث بياس:

- طيب هجيلك بكرة بفلوس وبقية حاجاتك وهطمئن عليكى كل يوم ... الكلية صحيح

تحدثت بلامبالاة:

- مش لازم مش قادرة أروحها ممكن يوم فى الأسبوع كفاية وهخلى زميلتى تبعلى
الى خدوه

تحدث باعتراض غير قابلا لحديثها:

- بس كدة بتضيعى نفسك

أردفت بمرح عليها تخفف عنهما:

- حوش يا واد الامتياز الى مش ملاحقين عليه ... ما هى هى مش هتفرق

ارتفعت ضحكاته عليها لتبتسم بحب لاجراجها له من دوامة حزنه

تنهد متحدثا بحنان:

- طيب يا حبيبتي هجيلك بكرة إن شاء الله وخلي بالك من نفسك

ابتسمت مجيبة:

- حاضر ... أنا هنام أنا بقى عايز حاجة

- عايز سلامتكم

أغلقت الهاتف لتحتضنه بحب مغمضة عينيها بوله

دقائق وفاقت على حالها لتتهز رأسها بياس متجهة للداخل لتنام

- وإيه حكايتك يا رحمة ... وعاملة نفسك خارسة ليه

صمتت قليلا تتنهد بخفوت

تطلعت إليه لتجيب باختصار:

- عادى كدة أحسنلى

عقد حاجبيه بتعجب مردفا:

- أحسنلك إزاي

تطلعت إليه بضيق لفضوله وصمتت

ابتسم بخبث يتحدث:

- براحتك أما أروح أقولهم إنك بتتكلمى بقى

أمسكت يده بسرعة مانعة إياه ... تطلع ليدها بابتسامة هادئة لتبعدها فورا

تطلعت إليه بغیظ فرفع حاجبيه وانزلهما عدة مرات بمرح

زفرت بعنف ثوان وبدأت تتحدث بلمعة دموع وحزن بعينيها وقد وجدت بئرا تلقى به همومها:

- أختى الصغيرة ... سارة ... اللى ضحيت بحاجات كتير عشانها ... ماتت ... جالى انهيار عصبى وتعبت جامد ... بدأت أتخيل حاجات ... واحد معرفة اسمه أسد ... جابنى هنا

مع الوقت مقدرتش أتعالج وكنت بصرخ كتير لغاية ما فقدت النطق تماما

بس من مدة لقيت نفسى بقدر أتكلم بس مش عرفتهم ... خفت يمشونى من المستشفى وأنا بخاف من برة أوى ... مش عايزة أعيش برة

أوما لها بحزن ... تنهد بعمق وتحدث بحنان:
- إيه رأيك نكون صحاب ... أنا صلاح عندي ٣٢ سنة ومخلص حقوق وإنتي
- رحمة ... ٦٣ سنة و...
- إيه؟!!

نطقها بذهول وصدمة لتتحدث بتعجب:
- فى إيه؟!!

أردف بعدم تصديق:
- ٦٣ سنة ... مش باين عليكى يعنى

حركت كتفيها لأعلى وأسفل دون التعليق ليعم الصمت مرة أخرى

بعد فترة نهض من مكانه وهو يودعها واعداد إياها بالقدوم مرة أخرى

تحرك للخارج تنظر لأثره بابتسامة

خرجت من غرفتها على صوت والدتها المرتفع تتشاجر مع أحد على الهاتف
أنهت والدتها المكالمة لتتحدث نيرة بتعجب:
- فى إيه يا أما؟!
تحدثت عايدة بصراخ:

- الراجل اللى مشافش تربية ياختى بعد ما اتفقنا أشتري البيت الشهر الجاي بيقولى واحد هيشتره الأسبوع ده بنفس التمن واللى يجيله الأول هو اللى هياخد البيت

تحدثت نيرة باستنكار:

- هو إيه أصله ده ... مش متفقين معاه

- أنا أعرفله ... نعمل إيه احنا دلوقتى بقى

صمتت نيرة تفكر قليلا حتى تحدثت:

- بصى يا أما البيت بصراحة لقطة بلاش نضيعه وفى مكان حلو ... اتصلى بحاج حبيب لو فلوسه حاضرة نبيعه البيت بكرة وناخد الفلوس نساقر للراجل والحمد لله كنا مجهزين العقود ها

أعجبت عايده بفكرتها لتسرع بالاتصال بالحاج حبيب منفذة إياها

مرت دقائق وهى تحدثه حتى انتهيا

أغلقت معه لتسرع تحتضن ابنتها:

- اسم الله عليكى يا عيون أمك اسم الله عليكى ... خلاص الحاج حبيب هيبعت بكرة الصبح الفلوس ونمضى ويادوب نلم حاجتنا انهاردة ونشوف كام عربية تلم العفش ... آه صحيح ونسلم على خالتك قبل ما نمشى

أومأت نيرة بتوتر لمقابلتها لساجد ... عقدت حاجبيها مردفة:

- صحيح يا أما كلمتى قصى

- كنت هنسى ... هكلمه دلوقتى أينعم متأخر بس يالا عشان نخلص ... وإننى يا حبيبتى يالا ساعدينى نلم حاجتنا بسرعة

أومات نيرة متجهة لغرفتها بينما اتصلت عايدة بقصى لتنتهى كل شيء

وصلا لبيته فظلت واقفة على الباب بتوتر

نظر إليها لثوان بتفكير ثم زفر وهو يفتح الباب

تطلعت إليه بتوتر لتتحدث:

- والدتك ...

فهم عليها فدخل للداخل بينما هى ظلت على الباب

وجد والدته مستندة على الأريكة كعادتها تنتظره

ألقي السلام عليها وتحدث مسرعا:

- ماما ... فى بنت هتعيش معانا هنا

تحدثت والدته بصدمة:

- نعم بنت إيه ومين؟

حمم متحدثا بحدود:

- معلش هى عندها شوية ظروف ومش هينفع أسيبها ... هتعيش هنا كام يوم على ما

تدبر حالها ... هى برة دلوقتى مستنية تظمن إنك هنا

زفرت سعاد بسخط متحدثة:

- يابنى إنت قادر على مصاريفنا لما تجيب غيرنا

- يا ماما هتصرف بس اطلعى للبننت طيب هنسيبها كدة

تحدثت باستسلام وهى تتجه للخارج:

- ماشى يا ابن بطنى أما نشوف آخرتها

كانت تتطلع للأرض حتى شعرت بظل أحدهم ... رفعت رأسها تتطلع لصاحب الظل
فوجدت سيدة يظهر عليها كبر السن تتجه إليها

ما إن رأتها سعاد حتى انفجرت ملامحها وهى تجد فتاة رائعة الجمال يظهر عليها
الرقى والبراءة أمامها

احتضنتها مباشرة وكأنها لم تسخط على وجودها منذ قليل:

- إزيك ... إزيك يا حبيبتي عاملة إيه إنتى كويسة

أجابت عليها بخجل وابتسامة:

- الحمد لله يا طنط

عقدت حاجبها متحدثة وهى تحرك فمها يمينا ويسارا:

- مالهم انهارة كله طنط طنط

تحدث ساجد مسرعا:

- ماما دى سديم

- آه إزيك يا بنتى

أومات سديم بابتسامة جميلة لها لتسلب عقلهما

تمتعت سعاد بصوت خافت:

- أما لو تكونى إنتى ولا مياسين من نصيب الواد ساجد

تحدث ساجد بابتسامة:

- اتفضلى ادخلى يا سديم

دلفت للداخل بعدما دخل ساجد ووالدته

قادها للأريكة فجلسوا عليها جميعا

كانت سعاد تشعر بحكة بجسدها لن تزول سوى إن قالت ما تريده

قررت أن ترحم جسدها وتتحدث:

- بصى يا سديم يا بنتى ... ساجد قالى إنك هتقعدى كام يوم بس معلىش يا حبيبتي إحنا
فى حارة مبرحمش حد ... بكرة الصبح هتلاقى اللى يسوى وميسواش بيقطع فى
فروتنا ... أنا خايفة علينا وعليكى

تطلعت إليهما بإحراج لتنهض مبتلعة غصتها بتوتر بينما هو تطلع لوالدته بصدمة
ممزوجة بعدم الرضى

نهض هو الآخر زافرا محاولا إصلاح ما حدث:

- اقعدى يا سديم ... محدش يستجرى يقول كلمة

تحدثت بتوتر ووجها أحمر من شدة إحراجها:
- لا لا مفيش مشكلة أنا ... أنا هتصرف ... سلام
نطقها توليه ظهرها متجهة للخارج بتعثر
أسرع بأمساك يدها مانعا إياها ... التفتت إليه تتطلع ليده تارة وعينية تارة

ثوان حتى تحدث بحزم:
- وأنا بقولك اقعدى منتش ماشية من هنا

نهضت سعاد التى تراقب بصمت واتجهت إليهم تتحدث بهدوء:
- إنتى فهمتيني غلط يا حبيبتي ... أنا مرضاش لبنتى تمشى فى الوقت ده وإنتى زى
بنتى ... بصى يا حبيبتي فى بنت نقلت فى البيت اللى جنبنا اللى كان بتاع جدها ...
هى عايشة لوحدها هكلمها تقعدى معاها ... فاكرها يا ساجد مياسين إحنا شوفناها كام
مرة وهى صغيرة

عقد حاجبيه ليس لتذكر تلك المياسين بل للتفكير فيما يفعل مع سديم
أيجعلها تعيش مع تلك الفتاة ... حسنا إنه أفضل حل حتى الآن
والدته معها حق لا يجوز البقاء معه حتى ولو ترك المنزل فقد يقضى الليل كله باحثا
عن بيت ولن يجد فى النهاية

أفاق على تحدث سديم التى ظهرت الفرحة بنبرتها:
- أيوة ياريت معنديش مانع ... بس هى هتوافق؟

أمسكتها سعاد من يدها التي كانت بيد ابنها منذ قليل واتجهت بها للخارج وهي تتحدث:

- متقلقيش دى باين عليها بنت حلال ... هنروحلها دلوقتى نقولها

تحدث ساجد بلهفة ليطمئن عليها:

- أنا هاجى معاكم

أومات والدته وسحبت سديم المخفضة رأسها إحراجا برفق

دقائق ووصلا للباب

دقت على الباب ببعض العنف لتسمعها مياسين

استيقظت بفرع ... هندمت ملابسها واتجهت لخارج الغرفة بخوف

فتحت الباب بحذر ... ما إن رأت سعاد حتى زفرت براحة تفتح الباب على وسعه

تطلعت بتعجب للشاب والفتاة معها بعقدة حاجب حتى تحدثت سعاد برجاء:

- معلش يا حبيبتي قلقتاكى بس الموضوع مهم

أومات مردفة:

- طب ادخلى يا طنط

سارعت سعاد بالتحدث:

- لا لا يا حبيبتي مفيش داعى ... بصى ... أعرفك الاول ساجد ابنى ... ودى سديم ...

معلش فى مشاكل وكدة ومش لاقيين مكان تبات فيه وإنتى عارفة مينفعش تقعد معانا ... ساجد وكدة

أومات مياسين بتفهم وهي تبتسم بتشجيع لتلك الخجولة:

- أكيد يا طنط تتفضل بالعكس ده هتبقى فرصة حلوة نبقى زمايل

أشرق وجه سديم وابتسمت بسعادة:

- شكرا ووالله مش هزعجك أبدا

- إزعاج إيه يا حبيبتي ده إنتى تتورينى

أخيرا تحدث ساجد بتهيدة:

- سديم تعالى ثوانى

اومات له وهى تتجه بضع مترات معه مبتعدة عن سعاد التى تشكر مياسين

- أيوة

قالتها بتعجب ازدادت بعدما وضع يده بجيبه وأخرج بضعة وريقات مالية

مد يده إليها لتعقد حاجبها متحدث:

- إيه دول؟

أجاب ببساطة وهو يمسك يدها يضع بها الوريقات:

- مشى بيهم حالك اليومين دول على ما أجيبلك غيرهم

اعترضت بشدة تحاول سحب يدها:

- لا لا شكرا انا هتصرف

تحدث بصرامة وهو يضغط على يدها المحاولة للمال:

- قولتك امسكى ... إنتى ملزومة منى دلوقتى ... وهحاول أطمئن عليكى كل فترة

استسلمت لأصراره وأومات بابتسامة محبة فخورة برجلها!

اتجه لوالدته لتذهب خلفه بعدما وعى عقلها ولبت قلبها يفعل المثل:

- ها يا ماما يلا

قالها بتعجل فأومات والدته ... احتضنت سعاد مياسين بحنان وشكر ثم اتجهت مع ابنها بعيدا عن البيت

ظلت سديم واقفة تنتظر لأثره

لا يعلم ماذا حدث ... رغما عنه تمرد جسده ليتطلع للخلف حيث تلك البريئة

جفلت بعدما التفت برأسه يتطلع إليها لتتنظر للأرض مباشرة
تنهد بخفوت وعاد للسير تجاه بيته

ما إن دلف للبيت حتى زفرت براحة كمن كان يخنقها

التفتت لمنزل تلك الفتاة لتجدها تتطلع إليها بخبث
جفلت من نظرتها لتتحدث بتوجس:

- خير

ابتسمت مياسين بمكر:

- مفيش بس فى عصافير حب بتطير حوالينا

توترت ملامحها لتتحدث بارتباك:

- متهياك بس

- ههههه طب تعالى يا سديم ده إنتى جتيلى من السما والله كنت قاعدة لوحدى
وملانة

ابتسمت سديم واتجهت معها لداخل البيت يتحدثان بأمور عديدة دون التطرق لحياتهما
الخاصة

كانت تجهز كل شيء مع والدتها حتى سمعت رنين الهاتف

أخذته تنظر للمتصل فابتلعت ريقها بتوتر

نادت لوالدتها حتى جاءت عايدة:

- ماما ده قصى ... مش إنتى قولتيله كل شيء قسمة ونصيب

عقدت عايدة حاجبها بتعجب:

- أيوة وقفلنا الكلام بيتصل ليه ... طب ردى ردى وكبرى الصوت

فعلت ما قالته محاولة الهدوء ليرتفع صوت قصى:

- السلام عليكم

- وعليكم السلام

- خير يا نيرة ... أمك اتصلت ورفضتنى ... أنا عملت حاجة

- آآ .. لا .. هو يعنى
- عشان السن مش كدة

قالها بذكاء ونباعة لتتحدث باستسلام:

- أيوة

بدا الحديث محاولا اقناعها:

- طيب أنا مش شايف إنه عقبة ابدأ ياما ناس اتجوزوا وما بينهم ٠٢ سنة وأكثر ومع ذلك لسة عايشين ... والسن بيبان على الست قبل الراجل معروفة فده مش عقبة
- بس بصراحة ...

تنهد متحدثا برزانة:

- طب خلىنا نكمل الخطوبة ونشوف لو مفيش توافق يبقى ننهى كل حاجة بهدوء

تطلعت لوالدتها مطالبة النجدة ... ظلت عايدة تفكر قليلا حتى أومأت لها لتزفر نيرة مردفة:

- تمام مفيش مانع بس ... إحنا مسافرين بكرة هننقل

عقد حاجبية باستغراب متحدثا:

- هنتقلوا فين؟!

- رايعين بور سعيد

أشرق وجهه وتحدث بلهفة وعدم تصديق:

- سبحان الله ههههه ... من يومين كان مطلوب منى أتنقل بورسعيد بس أنا قدرت
اقنع زميل ليا يروح بدالى عشانكم خلاص اظبط أمورى وأسبوع كدة ولا اتنين
وأجيلكم وهبيع شقتى وأشترى هناك

أومات بهدوء:

- خلاص تمام هبقى أبعثلك عنوان بيتنا
- ماشى بس احنا كدة خلاص رجعنا صح
- أيوة
- طيب عايزة حاجة
- لا شكرا ... سلام
- سلام

أنهت الحديث لتلتفت لوالدتها:

- وافقتى ليه يا ماما؟!!

أجابت والدتها بحيرة:

- مش عارفة بصراحة بس الواد كلامه مقتع ... انا بقول تكملنى فعلا ده مال وسلطة
ومعاه عربية ويريشك ... لحسن ميغلشكيش اللى أحسن منه ... نخط إيدينا على خدنا
بقى ... خلاص يا بنتى كملى معاه

صمتت نيرة قليلا تفكر بمستقبلها ونعيم ماله الذى يخرجها من الفقر

ابتسمت بحالمية وقد اقتنعت تماما بكلمات والدتها

عاد صلاح لمنزله ودلف بهدوء للداخل حتى توقف على كلمات والده الشامتة:
- صلاح تعالى ... لما رحت لعمك كان فى مشاكل فى البيت وكدة

نفى تماما مردفا بلا مبالاة:
- لا كانوا على طبيعتهم زى كل مرة

اتسعت ابتسامة عاصم:
- وحيد جارهم بعلى إنه شاف مياسين خارجة بشنطة هدومها شكل فى حاجة

حرك الابن كتفيه بعدم اهتمام:
- معرفش بقى

أوما والده وهو يتحرك جالسا على الأريكة
ذهب صلاح لغرفته مبتسما يفكر بتلك الرحمة

بينما تطلعت ثريا لزوجها بحسرة وحزن

يتناول طعامه البسيط بهدوء حتى تحدثت والدتها بكلمات كالصاعقة الضاربة قلبه:
- من شوية عايدة اتصلت بيا وجايين بكرة يودعوننا قبل ما يمشوا ... هينقلوا فى بور سعيد ... ده غير إنها اتخطبت

ابتلع غصته محاولا إظهار اللا مبالاة:

- طيب أعمل إيه يعنى؟

اقتربت سعاد منه متحدثة بلهفة:

- بص يا ساجد طالما مش هتبيع البيت لأخواتك ومتمسك بيه كدة يبقى تتجوز

عقد حاجبيه باستنكار:

- مش لما اعرف أكفيننا أبقي أكفى غيرنا

- يا حبيبى ربنا يدبرها من عنده

فكر قليلا بحزن ... ابنة خالته ومحبوبته خطبت وعما قريب ستتزوج ... لما ينتظر ...
فليفعل ما تمليه والدته ... فليجد من هى بمستواه ... تعينه على الحياة ... يكون
عائلة ... يعمل أكثر وأكثر

تطلع لوالدته متحدثا ببعض الانتباه:

- طيب ماشى بس عندك عروسة

ابتسمت والدته بلهفة مجيبة:

- سديم

انتفض كمن لدغته أفعى ... ماذا أجنت والدته؟!!

- ماما بتقولى إيه؟

- إيه يا حبيبى بقولك سديم ... البت حلوة وباين عليها نضيفة وشكلها فى حوجة
تتجوزها وتخلفولى بقى نفسى أشيل عيالك

ابتلع ريقه متحدثا بتوتر:

- مينفعش وبعدين إنتى ... إنتى تعرفى عنها حاجة

- لا معرفش بس إنت أكيد عارف وهو انا اللي هتجوزها ولا إنت ... ها يا حبيبى وافق بقى البت لقطة

أغمض عينيه بعدم تصديق لعقله قبل كلمات والدته فقد بدا عقله يفكر بكلماتها
لا لا ... لا يمكن سديم؟! ... كيف؟!

لا شيء مشترك ... تربت على الغنى والغلاء وهو بالكاد يوفر لقمة عيشهم
والدها مجرم! كيف يقبل بها

لكن لا ذنب لها

مستحيل لا يجوز أبدا

حتى لو حلت كل تلك المشكلات ... لا يجب استغلال براءتها ... لا يجب اجبارها على
شيء

لا يجب استغلال ما تمر به

نظر لوالدته لثوان حتى دلف لغرفته بصمت

تمدد على الفراش يعتصر عينيه عليه يخرج الفكرة من رأسه

دلفت الفتاتين لغرفتيهما بعد حديث طويل وقد ارتاحتا لبعضهما حتى أصبحتا أصدقاء

كل منهما جالسة على فراشها بغرفتها شاردة
يتهدان بانتظام يتخلله بعض الألم
مياسين ... تفكر بمستقبلها ... وأسفاه ... مستقبلها مقترن بماضيها
ليتها تستطيع التفكير بما هو قادم دون التطرق لما مضى
كل شيء بها متعلق بتلك النقطة
بل النقطتين ... نقطة لها وأخرى لوالديها
لو أنها استطاعت فى الماضى تجنب نقطتها فماذا عن خاصة والديها
آاه ... يوجد شيء ثقيل يضغط على كيائها خاصة ذلك الجزء حيث هو
تميم قلبها ... ماذا تفعل معه؟
ضحكت بوجع وسخرية ... تفكر عما تفعله والذي يعد محالا
لا مجال لاقترابهما ... حتى ولو تقبل هو
فهل يتقبل والداهما ومجتمعهما
أغمضت عينيها تحاول طرد تلك الأفكار
فليصفو ذهنها قليلا ... فغدا يأتى الحبيب المشتاق إليه من بعد يوم فقط
اندست تحت الغطاء أكثر وأكثر كالقطة الوديدة وشفاتها تتسع مكونة ابتسامة هائلة
كالعادة!

أما تلك السديم
شاردة بكل شيء ... والداها ... والدتها ... و ... حبيبها
كيف يكون والداها بهذا السوء ... كيف يدمر أجيال وأجيال دون الشعور بذنب
ووالدتها أكانت تعلم؟! لا ... متيقنة بعدم علمها ... لو كانت تعلم لما ظلت معه أبدا
كانت دائما مثالا للفتاة الرقيقة والأم المثالية والزوجة المراعية
لا تذكر حدوث جدال بينهما أبدا ... كان الحب يشع من علاقتهما ببعضهما

كانا نموذجاً للزوجين المتحابين

لأول مرة ... لأول مرة تحمد ربها لوفاء والدتها قبل علمها .. لكنت ماتت حسرة مما علمته هي الآن

لكان تحطم كل شيء بداخل والدتها

شعرت بالاختناق لتبدأ بالتنفس بعمق عليها تطرد تلك الغصة الباكية المتألّمة

تقلبت لتنام على جانبها الأيمن

ما إن تقلبت حتى اندفعت الدموع من عينيها ساقطة على وسادتها الباردة

شهقت بخفوت عدة مرات ... حتى دموعها تسقط بضعف مثلها

لما ليست قوية كمياسين

عندما تحدثت معها استشعرت ألم بداخلها ومع ذلك ... ظلت تحمد ربها وتبتسم بقوة وكبرياء أنثى

لما لا تمتلك تلك القوة وذلك الكبرياء

لما واللغة دائما تصبح الطرف الضعيف بكل قصة وكل حدث بحياتها

يجب أن تتعلم من تلك الفتاة علها ... علها تمنع انجذابها لساجد ... قلبها وكيانها

كم تعشقه ... اليوم شعرت أنه رجلها ... زوجها!

نعم ... شعرت أنها مسئولة منه ... مدى خوفه عليها

زحفت يدها تحت الوسادة تخرج تلك الوريقات البالية القليلة

قربتها من أنفها ... تشتم رائحتها ... بل رائحة معشوقها وبإذن الله عاشقها يوما ما

ابتسمت بانتشاء تعيد تلك الوريقات أسفل الوسادة بعدما ربت عليها متخيلة نفسها

تربت على وجنته وفكه الحاد المغطى بذقنه الخفيفة الجذابة

شهقت بعنف زامة شفتيها حتى سقطت دموعها مرة أخرى وهي تستغفر ربها

كيف سمحت له بإمساك يدها

كيف سمحت بانحراف تفكيرها بذلك الشكل

رفعت بؤبؤى عينيها لأعلى بنظرات معذرة لربها
أغمضت عينيها مستغفرة ربها وحامدة على كل شيء

ألقي نادر الورقة بعنف وهو يصرخ بغضب:

- إزاي ... إزاي عرفت ... آاااه

اقترب مصطفى بخطوات شيطانية مربتا على كتفه:

- اهدى يا نادر بيه ... بالعكس ده فى صالحنا

تطلع نادر إليه بتعجب ليكمل مصطفى حديثه:

- هي قالتلك مش هتعرف حد فمفيش خطر علينا وكمان متنساش إحنا داخلين على
كام عملية خطيرة وانها تختفى حاليا ده فى صالحك يعنى دلوقتى ملكش دراع يتلوى
ونقدر نتحرك من غير خوف عليها

ظل صامت دقائق معدودة يفكر بكلماته حتى ابتسم باعجاب لتفكير شريكه:

- معاك حق فعلا ... بس ... بس هي راحت فين قلقان عليها؟

همس بجانب فمه بفحيح أفعى:

- متقلقش بنتك حبايبها كتير أكيد اتصرفت مع واحدة من زميلها أكيد مش هتخاطر
دى عاقلة وإنه اللي مربيهها

أوماً نادر عدة مرات مقتنعا ... لكن مازال جزء بداخله يصرخ بجنون وحزن على
فراق ابنته الوحيدة الحبيبة
فلينهى تلك المهام ويعيدها لكنفه مرة أخرى
لم يعى لنظرات وابتسامة شر تلك الأفعى

أشرق الصباح معلنا يوم جديد حزين للبعض
لكن فى غاية السعادة لساجد ينتظر ذلك اليوم ... أجازته التى يستريح بها من عناء
أسبوع عمل مرهق

توضاً وأدى فريضته ثم ذهب يوقظ والدته حتى أفاقت
خرج من بيته ليحضر الإفطار فتوقف عاقدا حاجبيه وهو يرى شاب وسيم أنيق ماثل
أمام جارتها التى تعيش معها ... سديم

ظهر الغضب على ملامح وجهه ليتجه مسرعا إليهما

وصل للبيت بعد عناء يتطلع حوله لتلك المنطقة العشوائية الكريهة

شعر بالأسى والحزن على حالها ... مياسين ... كيف تعيش بتلك المنطقة
يا الله رأسها يابس كالحجر ... مهما أقنعها لن توافق على العودة
سيحاول مع والده أن يستأجر لها بيت بمنطقة أفضل

وإن لم يوافق والده الذى لا يحمل أى ذرة أبوة لابنته
سيأخذها بعنف من شعرها الناعم ويعيدها للبيت ويحدث ما يحدث

ضغط على زر الجرس
ثوان ووجد الباب يفتح بلهفة وسرعة وكأنها تنتظره خلف الباب ... وللحق كانت
تفعل!

تطلعت إليه بلهفة وشوق بادلها إياها
مد يده يجذبها بعنف تجاهه لتسقط بأحضانها
تمسكت به بجنون واشتياق تشتم عبيره
بينما هو أغمض عينيه يشعر بعودة روحه إليه
دفن أنفه بشعرها الناعم الذى يداعبه كلما اقترب

لحظات بسيطة وابتعدت عنه بعدما تذكرت أنهما بالشارع

ابتعدت عنه تعيد خصلاتها للخلف علها تعيد روحها المشتتة معها
ابتسم متحدًا بهدوء وحنان أهلكاها:

- وحشتينى

ارتبكت ملامحها ودقات قلبها تثور عليها محاولة الخروج علها تحتضن دقات قلبه
المشتاقة لها

عجز لسانها عن الحديث فاكتفت شفتاها بالابتسامة الخجولة
رفع حاجبه متحدًا باستنكار ممزوج بمرح:

- إيه الهانم مش هتدخلنى ولا إيه؟

- وهى الهانم نسيت تقولك فى حرمة معاها فى البيت ولا إيه؟
التفت لذلك الصوت الحاد بتعجب حتى وجد شابا يقف امامه يكاد يخرج الدخان من
فتحتى أنفه كالنور
حرفيا كالنور الهائج!
- وهو مين حضرتك بقى
قالها تميم بتعجب ممزوج باستخفاف واضح جعل ساجد يشتعل غضبا:
- إنت اللى مين وجاى هنا بتعمل إيه
- كاد يجيب عليه بحدة وغضب سواء بكلماته أو بقبضته فحمحت مياسين بإحراج
تحاول لملمة ما بعثر بسبب غضب هذان الأحمقان الغير مبرر له!
- احم أستاذ ساجد ده تميم أ ... أخويا
تطلع تميم إليها بغضب ... أمسك يدها بعنف مردفا بإشتعال:
- مين ساجد ده
تأوهت بألم من قبضته تتحدث بوجع:
- آه تميم إيدى
- انطقى
صرخ بنفاذ صبر بها ليجيب ساجد بإحراج:
- أنا أبقي جارها و ... متأسف اتعصبت بس عشان ليا قريبة عايشة مع الأنسة
ومينفعش رجالة يدخلوا
ترك يد مياسين يتحدث زافرا عل غضبه يخمد:
- ماشى
تطلع لأخته بتوعد لتبتلع ريقها بخوف
لاحظ ساجد النظرات بينهما ليزداد حرجه أكثر وأكثر حتى احمر وجهه ولعن تسرعه

تحدث بخفوت يتطلع للأرض:

- لو سمحتى يا آنسة ناديلى سديم هتقعد مع والدتى على ما تخلصوا

أومات له ودلفت مسرعة للداخل تتهرب من نظراته المتوعدة

رفع بصره قليلا ينظر لمن أمامه فوجد الاشتعال مازال بعينه ليتحدث ساجد:

- أنا بجد آسف بس أكيد إنت عارف مينفعش تدخل بيت مفيهوش راجل

تحدث تميم باندفاع وحدة:

- أنا مش غريب

عقد حاجبيه مجيبا باندفاع هو الآخر:

- مش غريب على أختك لكن غريب على سديم

صمت الاثنان وانتظرا دقائق حتى عادت الفتاتان

كانت سديم تسير معها كالنائمة لا تفهم شيئا سوى عودة شقيق مياسين وأنها

ستجلس عند العمة حتى يرحل أخوها

العمة؟!!

اتسعت عيناها ... العمة؟! أى والدة ساجد؟! ساجد؟!!

كالبلهاء تسير منومة عيناها متسعة

وصلتا للباب تحت مراقبة كل شاب لما يخصه

لا يعلم لما انحرف نظره قليلا ليتطلع لتلك الملاك بجانب أخته

لم تلاحظ الفتيات نظرتيه لتطلعهما للأرض بينما التقطها ساجد

أسرع بجذب سديم ناحيته بعنف واضعا إياها خلف ظهره

لا يعلم لما غضب عندما جذب ذلك الشاب تلك الملاك
غض بصره عنها بصعوبة بينما ساجد يشتعل غضبا و... غيرة!
لما ذلك الحقيق يتعمق النظر إليها بذلك الشكل
أفاق على جذب سديم يدها من يده بعدما كان يمسكها بتملك
تحدث مسرعا بوقاحة وغضب:
- لما أخوكى يمشى ابقى عرفينى يا آنسة

أمسك يد سديم برغم محاولاتها للإفلات منه إلا أنه لم يسمح لها
جذبها معه لبيته تحت نظرات مخترقة ظهرهما من تميم
التفت لمياسين متحدثا بتعجب:
- هو إزاي ياخودها كدة ومدخلها البيت كمان
تحدثت مياسين محركة كتفيها ببساطة:
- هو عايش مع مامته مش لوحده ... ده ابن طنط سعاد

أوما بخفوت لثوان حتى دفعها للداخل وهو يذلف مغلقا الباب بغضب

تراجعت للوراء تتطلع إليه مبتلعة ريقها بخوف وبلاهة طفولية:
- إيه؟! بتبصلى كدة ليه؟! أينعم أنا حلوة وقشطة وأتاكل أكل بس مش عايزة اتاكل
دلوقتي

كادت تظهر ابتسامة على شفثيه ليدثرها ببراعة مظهرها غضبه:
- بقى أسيبك يوم واحد ألاقى راجل عارفك

تحدثت مدافعة بلهفة:

- الله وأنا مالى يا لمبى هو جاى عشانى ده عشان سديم

توقف عن الاقتراب منها زافرا محاولا الهدوء:

- ماشى يا ميا بس خلى بالك والله لو حصلت حاجة معجبتنيش هجيبك من شعرك وأرجعك البيت فاهمة

ضحكت ببلاهة متحدثة بخضوع:

- طبعا فاهمة يا كبير

نفى براسه قليلا مستنكرا أفعالها الطفولية وابتسامة حانية على شفثيه

تحدث مرة أخرى بنبرة قلقة تلك المرة:

- ميا أنا مش عايز أجبرك بس بالله عليكى خلى بالك متخوفنيش عليكى وتقلقينى وسديم دى ضامناها أنا مش مطمئن لموضوع تقعدى واحدة معاكى إحنا منعرفهاش

- حاضر والله متقلقش وسديم كويسة جدا جدا وطيبة اتكلمت معاها امبارح طول الليل وفعلنا باين عليها بريئة وطيبة خالص

أوما مبتسما بخفوت لها وهو يخرج رزمة مالية من جيبه وأعطائها إياها:

- خلى دول معاكى ولو احتجتى زيادة عرفينى ... على فكرة بابا اللى بيعتهم

ابتسمت بارتباك على ذكر والدها و ... صمتت

اقترب مسرعا يبعثر شعرها لتنتفض كمن لدغها افعى وهى تسبه على فعلته

انفجر فاهه ضحكا عليها وبدأ بمشاغبة كل منهما للآخر

استيقظ صلاح بنشاط يرتدى ملابسه بعجل ليذهب لها ... يريد قضاء اليوم بأكمله معها ... يدعو ربه لو يستطيع الدخول اليوم أيضا ولا تمنعه الممرضات

خرج من غرفته فوجد عائلته تتناول الطعام
جلس معهم بعدما ألقى السلام وهو يتناول بسرعة
لاحظت ثريا سرعته فتحدثت بحنان:
- براحة يا حبيبى لتتعب

أوما لها غير قادرا على الحديث من امتلاء فمه بالطعام
ربتت على كتفه داعية لها بالسكون والهداية دائما
انهى عاصم طعامه ونهض تاركا الطاولة متجها للخارج دون كلام
تبعته شريفة بعدما قبلت يد والدتها لتذهب لجامعتها
لم يبق سوى ثريا وصلاح الذى أنهى طعامه
جاء لينهض فتوقف على حديث ثريا القلق:
- متعرفش مياسين راحت فين يا صلاح ... أنا قلقانة عليها وشكلها سابت بيت عمك

تحدث صلاح بعدم اهتمام:
- يا ماما والله ما أعرف لو وصلت لحاجة هقولك علطول ... انا رايح مشوار سريع
سريع وراجع

أومات والدته بيأس فقبل جبينها وذهب للخارج

فتح باب بيته وأدخلها ببعض العنف متحدثا بحنق:
- طالما عارفة إن فى راجل جاى البيت معرفتنش ليه
تحدثت بخفوت وبراعة:
- والله ما كنت أعرف
صمت متهدا عدة مرات حتى لا ينفجر غضبا عليها
لا يعلم ما به ... منذ تحدثت والدته أمس عنها وهو لا ينفك عن التفكير بها
يشعر كمن كان أعمى وأبصر على كلمات والدته التى جعلته يفيق ويستشعر إعجاب
تلك الملاك به
نظراتها ... إرتباكها كلما رآته ... ارتجافها ... خجلها
كل شيء يشير لإعجابها به
رغما عنه ابتسم ... يشعر بالفخر كون ملاك برئ مثلها يعشق من هو مثله
أفاق كلاهما على شهقة سعاد:
- فى إيه؟!!

توتر قليلا حتى تماسك متحدثا:
- الآنسة اللى سديم بتقعد عندها أخوجا جه انهاردة ومكنش ينفع أسيب سديم معاه
فجيبته على ما يمشى
أشرق وجه والدته وقد وجدتها فرصة للتقرب بينهما
ابتسمت سعاد مرحبة بسديم وهى تأخذها لتجلس على الأريكة بجانبها
ظل واقفا لثوان يتابعها حتى ارتبك من التفاتها المفاجئ تتطلع إليه ليتحدث بتوتر:

- آآ... أنا هروح أجيب الفطار

ابتسمت له ببراعة محببة لقلبه مؤخرا ليحك أسفل عنقه من الخلف وهو يتحرك
للوراء قليلا ومازال ينظر إليها خاصة شفثيها المبتسمة!

- آآآآه

صرخ بألم بعدما اصطدم ظهره بالباب لتضحك سعاد بخفوت عليه بينما انتفضت سديم
متجهة له بفرع:

- إنت كويس

- ها

نطقها ببلاهة ليتعمق كل منهما بالنظر للآخر بينما سعاد تبتسم بخبث عليهما

جفلا من طرقات الباب فالتفت يفتحه بتوتر من نظرتها

ماذا بك ساجد؟! لقد كانت أمامك منذ فترة ؟ أكلام والدتك جعلك تتحول هكذا؟ أم أنك
كنت أعمى وأبصرت على نظراتها التي أصبحت واضحة أكثر وأكثر؟!

وعلى ذكر النظرات

ما إن فتح الباب حتى اتسعت عيناه بعدما رأى الطارق

- لا مش هتلبسى ده

- أسوووودى يلا بقى بالله عليك ده تحفة

ربع يديه جالسا على الفراش باعتراض متحدثا بحزم:

- همس قلت لأ يعنى لأ

اقتربت منه بخطوات مغرية لأنثى فاتنة تحفظ كل ثغراته

انحنى للأمام قليلا تراقب تحرك تفاحة آدم لأعلى وأسفل بتوتر لتبتسم بخبث

أَسَدَهَا كَلِمَا اعْتَرَضَ عَقْلَهُ وَلِسَانَهُ عَلَى شَيْءٍ تَرِيدُهُ رَفُضَ بَاقِي جَسَدِهِ اعْتِرَاضَهُ!
رَفَعَتْ نَظَرَاتِهَا عَنْ رَقَبَتِهِ لَتَتَجَّهُ مُبَاشِرَةً لِعَيْنَيْهِ تَرَاقِبُهُمَا بِتَرْكِيزٍ

كانت نظراته تتجول بكل شيء بتوتر عداها هي اقترَب وجهها أكثر وأكثر ليتراجع للخلف قليلا محاولا الحفاظ على رزائنه وصرامته

تحدثت أمام شفتيه بهمس مثير:

- ملاکی ... اسمہا ملاکی مش ہمس

تحدث بحزم محاولاً الثبات:

- برضو لا هو انا لبستك بنظلون وإنتى فى ثانوى لما هتلبسيهولى وإنتى أم وزوجة

أملت رأسها متطلعة إليه كالجرو اللطيف

لأنت ملامحه قليلا حتى جمدت مرة أخرى وهو يدفعها على الفراش ناهضا بعنف ليتخلص من هالتها التي تفقده عقله بل كيانه

تطلعت لأثره بغضب لتنتفض بمكانها تتحرك بعشوائية وهي تصرخ كالأطفال:

- لاااااا عايزاااا هلبسه يعنى هلبسوووووووه امممم

خرجت كلماتها مختنقة بعدما التفت مقبلا إياها لتندمج أنفاسهما بحرارة

ابتعد عنها متنفسا بعنف يتحدث برجاء:

- مینفعش یا ملاکی ... أنا بغیر علیکی

- بس إنت وعدتی لو هتختار بینی و بین غیرتک هتختارنی

نطقها بحزن مزمومة الشفتان وهى تلعب بأزرار قميصه
هبط جالسا أمامها على الأرض وهو يمسك خصرها بتملك متحدثا بابتسامة:
- وده اللي أنا بعمله ... بختارك إنتى ... أنا عايزك متزعلش ربنا منك وإنتى
هتزعليه لما تلبسى البنطلون
إنتى كدة بتتشبهى بالرجالة

انكشيت ملامحها بحزن لصحة كلامه ... لكنها أحبت ذلك البنطل وتريد ارتدائه

تطلع لملامحها بياس حتى ابتسم باستسلام ليرضيها كالعادة فهى أهم من احتراقه
غيره:

- خلاص البسيه على حاجة طويلة تعدى الركبة وابقى البسيه براحتك فى البيت

هجمت عليه محتضنة إياه بعشق صارخة بحماس:

- بعشقاااااالك

ضحك عليها بحب وهو يضمها بحنان لقلبه

قبل رأسها متحدثا بعشق:

- يلا كملى لبس قبل ما الأقزام يصحوا عايزين نخلص المشوار علطول

أومات له ضاحكة على وصفه لصغارهم ونهضت تكمل ارتداء ملابسها تحت مراقبته
لها التى لن تقل شوقا ولهفة أبدا

كان يتقلب بفراشه ليشعر باصطدام رأسه بشيء صلب
فتح عينه بهدوء ونعاس ليجد فوهة مسدس تتجه لرأسه
انتفض من مكانه بفزع فوجد شريكه أمامه وعلامات التجهم على وجهه
تطلع حوله فوجد رجال كثر وجميعهم يحملون أسلحة:
- مصطفى فى إيه؟ مين دول؟!

نطقها بفزع ليتحدث مصطفى بغضب:
- بقى أنا تعمل معايا كدة يا *** أنا تخونى وتعرف البوليس بشحنتى

اتسعت عيناه نافيا بفزع:
- والله أبدا وأنا أعرف منين ده شغلك لوحدك انا معرفش غيرالشغل اللى ما بينا

ضحك مصطفى بخفوت اقرب للجنون:
- سواء إنت أو غيرك فأنا فلست يا ولاد ال ***** ومش أنا اللى هشت أبدا

ابتلع نادر ريقه بخوف فتحدث محاولا جعله يهدأ:
- طب اهدى بس اهدى وأنا هتصرف

صرخ مصطفى كالمختل تماما يتحدث بجزع:
- نتصرف إيبويه البوليس بيدور عليا لازم أهرب ومعيش ولا مليم
- أنا ... أنا هسفر

نطقها مسرعا خوفا على حياته ليتحدث مصطفى بابتسامة شر:

_ هههههه لا لا هو إنت متعرفش ... مش أنا كدة كدة كنت هخلص عليك بعد ما شغلنا يخلص بس يلا خير البر عاجله

صرخ نادر بجزع:

- إنت بتقول إيه ... هتاخذ اللي عايزه بس سيبنى

ابتسم مصطفى بمكر متحدثا:

- حياتك يا إمضتك خلص

- حياتى حياتى

تحدث نادر مسرعا ... حياته ستعوض ماله لكن ماله لن يعوض حياته أبدا

ابتسم مصطفى بخفوت يعطيه عدة أوراق تنازل عن أمواله ليقوع عليهم بارتعاش وحسرة

أنهى الأوراق ليعطيه ورقة أخرى مطبوعة

تطلع نادر للورقة بتعجب فهي مختلفة عن سابقتها

منحه مصطفى نظرة مشجعة ليقراها

دقائق واتسعت عيناه فزعا مما قرأه

إنها رسالة لابنته انه يتخلى عنها وسيسافر بعيدا وألا تبحث عنه أبدا

نفى برأسه فزعا ليضربه مصطفى بمؤخرة سلاحه

تأوه بوجع ودموع القهر تسقط من عينيه

أمسك القلم يوقع بحسرة ودمعته تسقط على الورقة

أنهى توقيعه ليسحب مصطفى الورقة بعنف معطيا إياها لأحد رجاله

تحدث نادر باختناق:

- عملت اللي عايزه ... سيبنى بقى ووالله هختفى ومش هجيب سيرة لحد بس سيبنى فى حالى أنا وبنتى

اقترب مصطفى برأسه منه متحدثا بفحيح:

- مشكلتك إنك غبى ومتسرع ... لو فكرت لدقيقة واحدة كنت هتعرف إن فى كلا الحالتين هقتلك بس حبك فى الدنيا خلاك متخلف

ثانية واحدة وانطلقت رصاصة بمنتصف رأسه ليسقط صريعا

تحدث مصطفى بصراخ:

- عايز خبر إنه سافر لبرة ينتشر فى كل مكان وتحجزوا طيارة لأى بلد أجنبى باسمه وأنا هتصرف فى الباقي

ثم أشار لمن أخذ الورقة الخاصة برسالة نادر لابنته:

- الرسالة توصلها لبنته

تحدث الرجل بحذر:

- يا باشا انا بقول أخلص عليها أحسن

نفى مصطفى وهو يمسك شعر تلك الجثة ساحبا إياها لإحدى الجدران وهو يزيل اللوحة التى عليها حتى ظهرت خزانة أمامه:

- لا البت لو جرالها حاجة هقتلكم كلكم ... الى هيقرب منها تبقى نهايته

أمسك إصبع نادر يضعه على شاشة صغيرة بالخرانة حتى فتحت
اتجه رجاله مسرعين يلتقطون المال يضعونه بحقيبة كبيرة
بينما أكمل حديثه:

- يلا كله يشوف شغله
أوما الرجال ليبدأو العمل

وصل صلاح للمشفى واتجه لطابقها
ابتسم بسعادة بعدما وجد الطريق فارغا
اتجه جريا للداخل ودفع الباب بعنف ليجد رجل وفتاة معها
تنحج بإحراج متحدثا:
- أنا آسف م... آسف

تطلع أسد إليه بغضب واستخفاف من اندفاعه الطفولى الغير متزن أبدا وبلا إرادة منه
التصق بملاكه أكثر وأكثر واضعا يده على خصرها
احمرت وجنتها من فعلته لكن جسدها الخائن أبى الابتعاد لتلتصق به أكثر وأكثر
لولا ذرات خجلها لوضعت راسها على صدره تستمع لألحان قلبه المرددة اسمها
بعشق لا ينتهى

ظل أسد يتطلع إليه باستخفاف بينما رحمة تكبت ضحكتها على هيئة صلاح بصعوبة
تنحج مرتبكا من نظرات ذلك الرجل ليتجه للخارج مسرعا

التفت أسد لرحمة متحدثا بتساؤل:

- مين ده؟!!

أشارت له بعدة حركات ليفهم أنه صديقها

أوماً بخفوت وابتسم لها بمجاملة ليشرع بلدغة مكان يد ملاكه الصغيرة وهي تتطلع إليه بغيرة

تأوه بألم وهو يبتسم رغما عنه ليتحدث مسرعا لرحمة:

- محتاجة حاجة

نفت مبتسمة بامتنان فأوماً مستئذنا منها متجها للخارج مع ملاكه الشرس

ما إن خرج حتى وجد ذلك الشاب المتهور أمامه فتطلع إليه باحتقار وما زال يتحرك ممسكا زوجته بيد والأخرى دفع بها صلاح مبعدا إياه عن طريقهما

نظر صلاح لأثرهما بحنق ودلف للداخل مرة أخرى بحرج

تطلعت إليه بابتسامة متحدثة:

_ شكلك كان وحش أوى

نظر إليها بحدة لتتحدث بتراجع:

- آسفة خلاص

ابتسم لها وهو يقترب جالسا على المقعد أمام فراشها:

- المهم عاملة إيه؟

- الحمد لله

صمتا لدقائق ليجد حكة بلسانه يريد ان يتحدث

بدأ يتكلم القليل حتى شجعه تفاعلها أن يكتر ويكتر لينتشر صوتهما بكل أنحاء الغرفة

يركض خلفها وهي تصرخ بجزع:

- يلهوووى خلاص خلاص والله آسفة

- بقى أنا يترمى فى قفايا سكر يا مايصة

توقفت عن الركض وهي تصرخ به:

- متقوليش مايصة

انقلبت الأدوار ليركض هو منها ما إن رأى اشتعال وجهها وليس عينيها فقط بعدما

كان يركض خلفها:

- خلاص يا بت فرهدتينى الله

توقفت متنفسة بعنف تتحدث بغضب:

- ابقى قولها تانى كدة

انحنى للأمام قليلا واضعا يديه على ركبتيه متنفسا بسرعة:

- يخربيت كدة ... صحتى وشبابى راحوا بسببك يا بعيدة

تحركا كالعجائز ساقيهن ترتعش تعباً ليرتموا على الأريكة متألمين وأصوات تنفسهما
يعلو ويعلو

التفت رأس كل منهما يتطلع للآخر ليبتسمان بخفوت حتى ضحكا على نفسيهما
- شكلنا عيال ومسخرة أوى

أردفت مياسين بضحك ليومئ تميم بمرح وهو يجذب رأسها لصدره:
- ربنا يديمك فى حياتى يارب

أغمضت عينيها براحة وسكون تستمع لكلمات قلبه تتمنى ذلك الدعاء منه كعاشق لا
كأخ!

ظلا ساكنين بوضعهما حتى تحدث بهدوء:
- مياسين بالله عليكى ارجعى

جاءت تبتعد عنه فمنعها برفق وحنان وهو يغمس يده يداعب شعرها الناعم الفواح:
- متعارضيش بقى والله البيت مضلم من غيرك ... لو مرجعتيش هاجى أعيش معاكى
هنا ... بالله عليكى ماتسيبيني والله من غيرك الحياة وحشة ... إنتى بتكلمينى يا ميا
وأنا بكملك مينفعش نفترق أبدا

دمعت عيناها وتحدثت باختناق:
- بس مينف...

وضع إصبعه على شفتها مانعا إياها من الإكمال لتغمض عينيها فسقطت دمعاتها على
إصبعه الحانى

أمال برأسه حتى استكانت على رأسها ويده تتحرك على وجنتها تزيل دمعاتها
اللؤلؤية:

- ششش حلفتك بالله ترجعى

ظلت صامته لمدة تتنعم بقربه حتى ابتعدت عنه بخفوت مستسلمة:

- حاضر بس ... بس بالليل

بعدما لمعت عيناه فرحة أظلمت مرة أخرى وهو يتحدث:

- ليه بالليل ما دلوقتى تلبسى ونروح

نفت متحدثة بإصرار:

- لا عشان سديم مقدرش أمشى كدة وأسيبها هشوف الأول هى هتتصرف إزاي
افرض ملهاش مكان غير هنا هسيبلها المفتاح تقعد

اقترب منها مقبلا جبينها بابتسامة وفخر ليرتجف بدنها من قربه

ابتعدت مرة أخرى بارتباك تجيب:

- امشى بقى عشان ميقلقوش عليك وبالمره بدل ما سديم قاعدة برة عشان تدخل
ونتفق وابقى تعالى خدنى بالليل

أوما بأسف وحزن ونهض باستسلام لتتبعه

وقفا أمام الباب وقبل أن تفتحه أخذها محتضنا إياها لتبادلته الاحتضان بحب

ظلا هكذا لمدة ليست بالقصيرة حتى أفلتت نفسها منه تبتسم بخجل
قبل جبينها وفتح الباب يتجه للخارج ومازال يبتسم ويلقى عليها تعليماته ونصائحه
كالأب الذى يعلم ابنته

أنهى حديثه والتفت مبتعدا عن المنزل بينما هى تراقبه بهيام
لم تعد ترى أثره فأغلقت الباب واستندت عليه بحب وعلى شفيتها ابتسامة بلهاء

يجلسون على الأرائك كل بدنيا أخرى
ساجد يتطلع لحبه القديم بحسرة ... يتذكر أيامهم ... يتذكر طفولتهم ... كل شيء
يجول أمام عينيه
ينتظر أن ترفع عينيه لتبادلته النظرات لكن وهل تجرؤ ... تخلت عنه ... خطبت لغيره
وعما قريب ستكتب على اسمه وهو ... يجلس بجانب والدته منتظر عودتها
زادت جرأتها ووقاحتها حتى أتت إليه ومعها خطيبها
ازداد حقا وثورانا بداخله خاصة عندما رأى ذلك الذى يسمى قصى
شخص متكامل من كل جهة
ضابط ذو مركز وسلطة ومال ... حسن المظهر والملبس ... يملك منزل وسيارة
كان يوأسى نفسه أن خطيبها من مستواهم
لكن مواساته ذهبت هباءا الآن بعدما رآه
كلما تذكر حسنه ونبله فى الحديث يغضب بداخله ... حتى طيبة القلب لم تتركه
كيف يبغضه الآن؟!
كيف يتمنى خنقه وموته!؟

بينما سديم تجلس مشتعلة القلب ... تشعر بالنيران تأكلها
غليان بداخلها حد الألم
تلك الفتاة التى لطالما رأتها وسمعت اسمها وقت مراقبتها له
نيرة ... آااه كم تكرهها تتمنى موتها ... لأول مرة تشعر بضغينة تجاه أحد ... لأول
مرة تنسى كل معتقداتها ومبادئها
تراقبها بجنون حارق
تراقب كل شيء بها
أناقتها برغم ملابسها البسيطة
وتنظر لنفسها ولفستانها برغم بهائة ثمنه إلا أنه بلى لقدمه
تتطلع لجسد نيرة الأنوثى الكبير الذى يسقط أعتى الرجال تحت قدمها
وتتطلع لجسدها هى الصغير الطفولى القصير المثير للشفقة
انكشئت ملامحها لمنع نفسها من البكاء بصعوبة

أفاق ساجد وسديم على كلمات عايدة:

- يلا بقى نستأذنكم إحنا العربيات زمانها اتحركت بالعفش ... يلا يا قصى جهز
عربيتك

نهض الجميع ولكن فقط سعاد من ودعتهم دامعة باشتياق لأختها حتى لو تركت ابنتها
ابنها

ستظل عايدة أختها الوحيدة

قبل التفات عايدة وقصى للخروج تحدثت نيرة بابتسامة مصطنعة:

- اوعى تنسانا يا ساجد ... ولو خطبت متساش تعزمننا ده إحنا نجيلك مخصوص

لا تعلم لما تحدثت هكذا لكن شعور بداخلها أخبرها أن تعلمه بعدم تخطيه لها أبدا
أنه سيظل صريع غرامها للأبد

سيظل عاشق لها لكن هيهات يا فتاة ... إن دمرتى قلبه فلن تدمرى كرامته أبدا

ابتسم جانب فمه بخفوت يتطلع إليها بعمق حتى اتجه لتلك المشتعلة غير
خطوة وأخرى فمثل أمامها

أمسك يدها بخفوت وسط اتساع عينيها بما يفعله و...

قبل باطن يدها

هنا وانتهى العالم من حولها لتبقى هي ومعشوقها فقط

ظلت تنظر إليه بذهول ممزوج بهيام بينما هو

استمر لدقائق معدودة يتطلع لسديم لكن شارد بنيرة التي تكاد تحترق خلفه

حتى انتبه لنظرات سديم إليه ليبتسم بنقاء لتلك الملاك رغما عنه وعن قلبه

شرد بها لثوان ثم تحدث لسانه بكلمات تلقائية بعدما كان يحفظه ما يقول:

- إنتى متعرفيش ولا إيه يا نيرة ... أقدملك سديم خطيبتى مش جارتى وبس زى ما
أمى قالت

بصراحة ماما قالتلكم إنها جارتنا لغاية ما نلبس دبل بس بما إنك اتسرعتى بقى يلا
مفيش مشكلة نعلن دلوقتى وأكد هنلبس دبل قريب بإذن الله

انهالت المباركات عليه من قصى بينما الباقي مذهول مما يحدث

دمعت عينا نيرة واختنقت كلماتها بداخلها لتراجع للخلف متحذثة بوجع:

- مبروك يلا يا ماما اتأخرنا

أومات والدتها بصدمة مما سمعت حتى قررت تجاهلها ... ابنتها وجدت نصيبها
وكذلك هو ... لا داع للصدمة

خرجت نيرة وتبعها قصى وعائدة

انتهى الوداع وأغلق الباب

تطلعت سعاد لهما بسعادة متجددة بفرحة:

- كنت متأكدة إن فى بينكم حاجة ألف ألف مبروك يا ولاد لازم نحدد كل حاجة بسرعة
عايزة أشوف ولاد ابنى قريب

كانت صامئة تتطلع للأرض بصدمة وذهول مما سمعت

آاه كم انتظرت تلك اللحظة منذ رآته ... كم حلمت به يتقدم لخطبتها ويقبل يدها

كم حلمت أن يكون فارس دنياها كما كان فارس أحلامها

لكن ... لما الصدمة الآن؟! لما العجز؟! لما الاختناق والرغبة فى البكاء؟!

هنا وصرخ عقلها

(أيتها البلهاء .. لم يختارك زوجة له .. بل اختارك دواءا لجرحه .. سيظل يستنزفك
رويدا رويدا حتى يشفى .. وبعدها.. يلقيكى كعلة فارغة لا نفع منها)

سقطت دمة اثنان فأكثر من رماديتها

تطلع ساجد إليها بألم ثم لوالدته المتعجبة ليتحدث:

- لو سمحتى يا ماما سيبيينا لوحدنا

أومات سعاد بلهفة تتجه لحجرتها بينما هو راقب ابتعاد والدته ليقتررب من تلك التى
تعشقه وتتنفسه

مثل أمامها تماما ليبدأ الحديث:

- بتعطى ليه؟! إنتى مش ... مش موافقة

- على إيه؟

نطقها ممثلة التماسك أمامه وليتها تستطيع فعلها أمام قلبها ليتحدث بعدم فهم من
سؤالها:

- أكيد على جوازى منك

تطلعت إليه بوجع حاولت تغليفه بسخرية علها تفلت يوما من أنياب عشقه الموحش:
- ولا إنى اكون دوا تعالج نفسك بيه لغاية ما ترميه بعدين

عقد حاجبيه بتعجب لتكمل باختناق:

- عشان تداوى جرحك من نيرة اللى مش عارفة سيبتوا بعض ليه بس أكيد هى اللى
سابتك لأنك ... بتحبها أوى ... صح؟

جحظت عيناه مما نطقت ... كيف علمت كل هذا؟!!

جاءت الإجابة ركضا عندما أجابت مسرعة:

- طبيعى أك... أكون عارفة عنك كل ... حاجة ... ما ... أنا ...

لم تستطع الإكمال لزيادة اختناقها أكثر وأكثر

انتظر ان تكمل فلم تفعل ليتحدث هو تلك المرة:

- سديم بصى موضوع والدك إن شاء الله مش هياثر أبدا طالما إنتى مش راضية
ومش هترجعيه فبإذن الله نتخطى الموضوع ده و...

توقف عن الحديث عندما وجدها تتحدث منفجرة فى بكاء مرير:

- عارفة كل حاجة عنك عشان بحبك من وأنا لسة فى ثانوى ... وعشقتك من سنة ...
ودلوقتى مجنونة بيبك لدرجة إنى موافقة أكون دواك بس متسيبنيش وتفضل جمبى
وأفضل فى حضنك

سكون ... صمت ... لا يشعر بأى شيء حوله

كل ما يشعر به هو وجهها الأحمر المنتفخ ... شهقاتها العالية المقتربة لكونها صراخا
... انهيارها حد السقوط أرضا أمامه لتسقط معها دمعته

يشعر بقبضة تخنقه ... قبضة تبرح قلبه ضربا

يشعر بألم ووجع وحزن لانهارها

سقط أمامها على ركبتيه كلما حاول أن يمسك يدها

لا يعلم شيء يكبله ... شيء يمنعه ... شيء يبعده

وبنفس الوقت يريد احتضانها ... يريد تقبيل جبينها

يريد الكثير والكثير

ابتلع غصته متحدثا بحنان عليها تهذا:

- طب اهدى

تنفست بعمق محاولة تعنيف شهقاتها الهاربة

بدأت تهذا رويدا رويدا حتى تحدثت مرة أخرى:

- أنا ... أنا موافقة بس ... بس اوعدنى إنك ...

قاطعها مسرعا بابتسامة:

- والله العظيم وحياة أغلى حاجة عندي واللى قريب إن شاء الله هتكون إنتى لهنساها ... مش هفكر غير فيكى إنتى ... من انهاردة هبطل أحبها وهبدأ أحبك إنتى بس ساعدينى بالله عليكى ... هى كانت طفولتى كلها ... عايز أنساها ... هتساعدينى أنساها صح

أومات مسرعة بلهفة واضحة تبتسم ببلاهة وحب غير مصدقة ليبادلها إياها بحنان جارف

هنا واندفعت والدته التى كانت تراقبهم محرقة لسانها يمينا ويسارا فيما يعرف (زغردة) معبرة عن مدى فرحتها

اقتربت من سديم ترفعها لتقف وتأخذها بأحضانها:

- ألف ألف مبروك يا حبيبتي

فعلت المثل مع ابنها فتحدثت بلهفة مباشرة:

- بصوا بقى احنا عايزين كتب كتاب علطول وأهو بالمرّة تبقى تقعدى معانا بدل ما تقعدى مع مياسين ها يا حبيبتي موافقة

احمرت وجنتاها خجلا لتخفض رأسها وابتسامتها مازالت قائمة

تطلع إليها ليبتم هو الآخر عليها يدعو ربه أن يعشقها كما تعشقه

كان يظنها معجبة فقط لكنها تعشقه! ومنذ ثانويتها

ماذا فعل بحياته ليهبط ملاك مثلها عليه بل ويعشقه أيضا

سيبذل قصارى جهده ليبادلها إياه

حتى ولو لم يستطع لن يعشق غيرها ... سيكتفى بأن يكن لها الاحترام والمودة

تحدث بحنان وفرحة:

- أنا بقول برضو نخليها كتب كتاب علطول
- ها يا حبيبتي فين أهلك نروح نطلبك منهم

توترت ملامحها وارتبكت ... بدأت تتعرق حتى تحدث لسانها لانقاذ الموقف:
- أنا ... مليش أهل

نظرت سعاد لابنها بتعجب ليتحدث ساجد بتهيدة:
- ماما إحنا أهلها كفاية

لاحظت نظرات ابنها الراجية بعدم المجادلة فصمتت على مضمض
تحدثت سديم بخجل:
- زمان أخو مياسين مشى أنا هروحلها
- استنى هاجى معاكى أتأكد

نطقها ساجدجد بضيق لا يعلم لماذا لتتحدث هى مسرعة والخجل يكاد يقتلها:
- لا لا لا والله مش هدخل غير لما أتأكد ولو طلع هناك هرجع تانى

أوما موافقا بصعوبة ليراقب خروجها من البيت مبتسما عليها

ما إن خرجت حتى بادرت سعاد بالتحدث بفضول:
- أنا عايزة اعرف فين أهلها وليه قولتلها هتنسى ابوها والماضى

مسح على وجهه يجيب بنفاد صبر:

- أبوها إنسان مش كويس وظلم ناس كتير عشان كدة هي مشت وسابته ارتحتي

ظهر الامتعاض على وجهها:

- بس دى شكلها نضيفة وأنا اللي قلت جايبلى حسب ونسب يطلع أبوها ظالم

زفر بحنق من كلماتها متحدثا بتعب:

- ماما بالله عليكى ما قادر أنا مصدع ... آه أخواتى ميعرفوش حاجة يا ماما ... أول ما نحدد كتب الكتاب فى يومها نعزمهم ولا قبلها بيوم ولا أكثر أنا مش ضامنهم

تطلعت إليه والدته بغضب:

- يعنى إيه يعنى ... إزاي دول إخوانك

- ماااااا لو سمحتى أنا ما صدقت بطلوا يجروا ورا موضوع البيعة

- حاضر حاضر

نطقها بمضض ليتجه لغرفته يرتاح قليلا

تمدد على الفراش وكاد يغمض عينيه حتى تذكر أنها قد تعود لو وجدت ذلك الرجل هناك

ليفتح عينيه مباشرة منتظرا قليلا عليها تعود وتظل معه دقائق أخرى!

استمر لدقائق شارد بكل شيء

تارة بنيرة وتارة بها

زفر عدة مرات ... لا يريد أن يخونها ... حتى ولو بتفكيره بغيرها

رغما عنه سقط فى سبات عميق ليرتاح عقله قليلا من شدة التفكير

جالسون بالسيارة والصمت يعم المكان
لا يعلم قصى لما دخل الشك قلبه ... تكفى نظراتهم ... نظرات بها ألم و.. خيانة
كمن وعد وأخلف ... ذلك الساجد كان يتطلع إليها بخذلان

نفى برأسه يخرج تلك الأفكار ... سيبدأ معها حياتهما لذا لا مجال للشك
بالتأكيد إجهاده من عمله سبب له هذا
قد يكون أخطأ فى تفسير نظراتهما

بينما نيرة تفرك يديها محاولة عدم الانفجار
احمر وجهها تشعر بالاختناق
تشعر بذهاب ما تمتلكه لغيرها
ساجد صديق طفولتها وعاشقها سيخطب غيرها ... متأكدة أنه لا يحب تلك الفتاة
القاتنة

يحاول فقط نسيانها عن طريقها
كيف سينسى عشقها الذى يستولى عليه
تنفست بعمق مبتسمة ببعض النصر بعدما تخيلت اليوم الذى سيترك به سديم
كم ستسعد وهى تراه يعود لعشقها مرة أخرى
حتى وإن لم تكن من نصيبه لكن عشقها يجب أن يلزمه دوما

تطلعت عايدة لابنتها الصامته لدقائق خائفة مما هو قادم

تعلم جيدا ابنتها

تفكيرها أبله أكثر مما هو سام ... خائفة أن ترتكب حمقا بأفعالها المتهورة

حمدت ربها أنهما انتقلا وابتعدا حتى لا تقع ابنتها بالمشاكل

تحركت يدها لتمسك يد ابنتها التي احمرت من كثرة فركها والضغط عليها

أفاقت نيرة فنظرت لوالدتها بابتسامة تطمئننها لا تعلم لما؟ لكن نظرة والدتها كانت
كمن تحتاج لمن يطمئننها

تطلعا للطريق مرة أخرى كل بأفكار مبعثرة يحاول طردها تماما من داخله

تجلس واضعة كل قدم تحت الأخرى ويدها أسفل ذقنها مستندة على فخذها بهيام

نظرت مياسين لها كاتمة ضحكتها رغما عنها ... منذ عودة سديم من الخارج وهي
هكذا

مرت دقائق أخرى وهما على حالهم فلم تستطع مياسين التحمل أكثر فانفجرت ضحكا
عليها:

- هههههه يخربيت كدة إيه يا بنتى عنيكى بتطلع قلوب ههههه

جفلت سديم بفزع واعتذلت في جلستها مبتسمة بإحراج لتكمل مياسين:

- الى واكل عقلك انشالله يطفحه ههههه

عقدت حاجبيها بضيق متممة بلهفة:

- بعد الشر عليه

اتسعت عيننا مياسين وهي تنهض بسرعة ملتصقة بتلك التي تراجعت للخلف بخوف:

- لا لا إنتی تحکیلی فی ایه ... ساجد صح؟

أنهت عبارتها بغمزة تماثل فتنتها تتحدث بنبرة خبث أخجالت سديم وجعلتها تلعن
عشقها الظاهر للجميع والذي يجعلها بلهاء دوما

رفعت يدها ناحية شعرها الناعم ترجعه للخلف بابتسامة خجولة:

- آا بصى بصرآة يعنى ... أؤة هو

قالتها بخفوت مخفضة رأسها لتصرخ مياسين بحماس :

- يبييس ... والله من ساعة ما جابك هنا كنت حاسة إن فى حاجة بينكم بالذات انهاردة ... طب احكيلى حصل إيه ومن الأول خاااالص

انكمشت على نفسها متحدثة بلطافة:

- بصى بصراحة أنا ... أنا بحبه من زمان من وأنا فى ثانوى أول مرة شفته كانت فى الكافيه اللى بيشتغل فيه ... كان ورايا درسين فى بينهم ساعة فاصل قلت أروح أقعد فى كافيه ... وشوفته هناك ... سرق قلبى من أول ما شفته كان بيدافع عن بنت فى الكافية كان بيضايقها كام شاب ومهتمش إنه ممكن ينطرد

بعدها فضلت كل يوم تقريبا أروح الكافيه وبقى ده المكان المفضل عندي

- هيببيح

نطقها مياسين برومانسية مردفة:

- كملى كملى

ابتسمت سديم عليها مكلمة حديثها:

- فحصلت مشكلة وكدة واضطريت آجى هنا وعشان مينفعش أعيش معاه فمامته
جابتنى هنا وانهاردة لما رحت معاه البيت ... طلب إيدى

انتفضت مياسين صارخة بفرحة وحماس تصفق كالأطفال وهى ترقص بحركات
كالبهلوان حتى توقفت عن الرقص والصراخ بعدما استشعرت حزن سديم
عادت لجلستها مرة أخرى متسائلة بتعجب:

- مالك يا بنتى زعلانة ليه حد يزعل إن حبيبته من نصيبه

تنهدت سديم بحزن:

- أصل مش دى المشكلة ... المشكلة إنى متأكدة إنه مش اتقدملى عشان بيحبنى ... لا
هو اتقدم بس عشان ينسى نيرة بنت خالته ... هو كان بيحبها أوى وكذا مرة شوفتهم
مع بعض فى الكافيه بس هى سابته وانهاردة جاتله مع خطيبها ومامتها عشان
هينقلوا فى بلد تانية

أول ما بدأت تعايره بخطيبها راح اتقدملى ... يعنى أنا بس كوبرى عشان ينتقم لنفسه

تنهدت مياسين هى الأخرى ... لا تعلم بما تواسيها

لا تريدها أن تكون ضعيفة وحلقة وصل لانتقامه ... وبنفس الوقت تعلم مدى ألم الحب
والعشق ولا تريدها أن تضيع فرصة لقاء حبيبها من يدها

بعد تفكير طويل أمسكت مياسين يدها متحدثة بابتسامة مشجعة:

- بصى يا سديم ... لازم نتعب عشان نوصل لحبنا ... هو بصراحة بيحترمك جدا وموقف انهاردة مقدرش أقول ده غيرة أو خوف وخلص عليكى عشان إنتى أمانة فى رقبته

لكن أقدر أقول إن موقف انهاردة يخليكى تتأكدى إنه هيحافظ عليكى ويحميكى أنا من رأى ادخلى التحدى ده ومتأكدة إنك هتفوزى بجدارة وتكسبى حبه

ابتسمت سديم بارتياح لكلام صديقتها واقتربت محتضنة إياها بحب:

- بجد يا مياسين إنتى من أجمل الناس اللى دخلوا حياتى يمكن منعرفش بعض غير من يوم بس والله بقيتى من أقرب الناس ليا

بادلتها الإحتضان متممة هى الأخرى:

- وإنتى أطيب وأجمل واحدة شوفتها

ابتعدا بعدما سمعا صوت طرق الباب فسارعت سديم بارتداء حجابها واتجهت هى ومياسين للباب

فتحت مياسين لتجد شخص ضخم الهيئة مرعب الهالة بيده ظرف يتطلع إليها بتمعن

ابتلعت الفتاتان ريقيهما بخوف حتى مد يده متحدثا بخشونة:

- الجواب ده لسديم

أخذت مياسين الظرف بعدما يئست من تحرك تلك المرتجفة خلفها كالعصفور

ابتسم الرجل بعدم براءة أبدا وتحرك مبتعدا عنهم فسارعت مياسين بغلق الباب

زفرتا بعنف متطلعيتين لبعضهما بخوف من ذلك الرجل بل الوحش

أعطت مياسين الجواب لصديقتها متتهدة بضيق:

- حسبى الله إيه الأشكال اللى تعرفيها دى يخربيت كدة كان هيغمى عليا

تحدثت سديم واضعة يدها على قلبها:

- والله ما أعرفه ده يخوف أوى

تطلعت مياسين للظرف بفضول:

- طب افتحى افتحى عايزين نشوف

أومات موافقة إياها وهى تفتحه بأصابع مرتعشة

تطلع الرجل لمنزلهما بابتسامة نصر وهو يتحدث مع رئيسه على الهاتف:

- أيوة يا مصطفى بيه استلمت الجواب ... لو عايز إحنا فيها وهى لوحدها فى البيت مع بت تانية أخطفها ونخلص عليها

تحدث مصطفى بسرعة:

- لا ... محدش يلمسها ولا يقرب منها ... دى كانت حب الغالى ابنى لولا موته كنت حققت أمنيته وجوزتهاله ولو غصب عنها ربنا يرحمه ... أنا عايزك تفضل متابعتها مش هقدر آخذها معايا خطر عليها وعليا ... لما أظبط الأمور وأخلص القضايا هديك التمام تبعتهالى أنا قربت أخرج برة مصر خلاص معاك رقمى لو حصل حاجة تبعتهلى

- تمام يا باشا

عاد صلاح من المشفى والبسمة على وجهه ... لا يعلم ما يريد منها ... لا يعلم حقيقة
مشاعره أو مشاعرها لكنه ... يطمئن بجانبها ... يشعر بحنان الأم وقرب الأخت
ومشاعر ... الحبيبة

تنهد عدة مرات لا يعلم كيف أوقع نفسه بذلك المأزق ... لكن يصبر نفسه أنه لا يعلم
طبيعة مشاعره بعد ... فلا يمكن تجاهل الفارق الكبير بينهم ... قد تكون مشاعره
أخوة لا أكثر ولا أقل

أوما عدة مرات مبتسما بتشجيع على فكرة مشاعر الأخوة فلا مجال لشيء آخر أبدا

حمد ربه لعدم مقابلة أحد من عائلته ليس متفرغ لمشاغلهم يريد أن يريح جسده الذى
لم ينعم بالراحة مؤخرا لاستيقاظه مبكرا عدة مرات ليراها

بعد محاولات كثيرة أجابت ابنتها بنبرة تغلب عليها الضيق:

- أيوة ياما خير إنتو كويسين؟

ابتسمت سعاد لسؤال ابنتها الذى نادرا ما تقوله:

- أيوة يا سناء يا حبيبتي كويسة إنتى اللى كويسة يا بنتى وعائشة كويس اوعى يكون كريم بيزعلك؟

زمت سناء شفيتها بضيق متممة باستنكار:

- يزعلنى إيه ياما ده شايلى جوه نن عنيه لولا بس مشكلة البيت وساجد

أنهت حديثها بمكر منتظرة رد والدتها والذى جاء بابتسامة محاولة تجاهل كلمات ابنتها فقبل أن يطلب ساجد الزواج من الفتاة كانت تصر على بيع المنزل لأختيه لكن الآن قرر أن يشق حياته فأين يعيش سوى بمنزل والده:

- ما هو ده اللى اتصلت بيه عشان أقولهولك

توقفت سعاد عن الحديث وهى تتطلع لغرفة ابنها حتى أضافت بصوت خافت:

- أخوكى هيخطب يا حبيبتي ولازم تعرفى عشان تيجى إنتى وأختك

شهقت سناء بصدمة وعنف تصرخ ضاربة صدرها:

- يلهوى خطوبة إيه والشقة؟!!

عقدت الأم حاجبها بتعجب:

- الشقة هيتجوز فيها طبعاً

ارتفع صوت سناء بحسرة وبكاء:

- آه يا سنتى السوداء يانى إنتى مش قلتى هتخليه يبيعها لنا

ابتلعت سعاد غصتها متحدثة بحزن:

- ما هو خلاص بقى هيتجوز معلش يا بنتى شوفى شرا تانية

زفرت سناء عدة مرات حتى تحدثت بصراخ:

- ولا شقة ولا شرا خلاص ياما سلام سلام آه ومتستنيش نحضر أنا والمحروسة بنتك طالما ملناش خاطر عندك

أغلقت الهاتف بوجه والدتها التى صعقت ودمعت عيناها تتمتم بحزن وخوف:

- يا ربى يا ريتنى ما اتصلت نيلت الدنيا أكثر ... ساجد لو عرف هيطين عيشتى ... لا لا خلاص هى قالت مش هت حضر إن شاء الله خير

جلست بخوف نادمة على الاتصال بابنتها

أغلقت الجواب الذى يحوى كم من الألم

والدها العزيز الذى ظنت أنه سيقرب الدنيا رأسا على عقب لأجل استرجاعها تخلص عنها

تخلص عنها دون شعور بالألم لفقدان ابنته

كتب لها بكل تبلى للمشاعر أنه سافر للخارج ولن يعود يوما

يخبرها أن تعيش حياتها ولا تبحث عنه أو تحاول الرجوع لقصره

يخبرها بدون ذرة أبوة أنه لم يترك لها ولو قرشا واحدة

طوت الجواب تكاد تمزقه داخل قبضة يدها بينما غام الحزن بعيني صديقتها عليها

لا تعلم ما بها أو ما بعائلتها

لكن شعور تخلص الأب عن ابنته مؤلم جدا

مرت به وتشعر بمدى الوجع الناشئ عنه
وضعت مياسين يدها على كتف سديم تساندها
تطلعت سديم إليها بابتسامة مرتعشة قبل أن تتجه خارج المنزل متمتمة بخفوت:
- جاية تانى

أومات مياسين دون المحاولة لمعارضتها متيقنة أنها ذاهبة له وتعلم جيدا مدى
الاحتياج لقرب الحبيب بذلك الموقف

ممددة على فراشها بالمشفى تتطلع لسقف الحجرة شاردة بالماضى

سقطت دمعاتها على وجهها الذى أصبح نقى مؤخرا
شردت بكل ما مر ... بعدما تركها أسد الذى اعتقدت أنه سيقتلها ولكن لم يفعل
وامتننت له كثيرا ... لفترة محدودة!
ليته قتلها قبل أن تُقتل أختها سارة الحبيبة

مرت الأيام وتقدم لها رجل أجنبى والذى أسلم لأجلها ... فرحت كثيرا لثورته الهائلة
... وسعدت أكثر لعدم اهتمامه أنها كانت ... عاهرة
نعم عاهرة تباع وتشترى لمن يدفع أكثر حتى ولو كان رغما عنها

تزوجا وبصعوبة أقنعه أن تجلس سارة معهما واعدة إياه بعدم إزعاج أختها لهما أبدا

تزوجا ومرت أيام يقضيان شهرا كاملا احتفالا بزواجهما بدولة أجنبية أخرى

هنا وانفجرت عيناها بالدموع الغزيرة بعدما تذكرت تلك الآلام التي لم تلتئم بعد

رفض زوجها ذهاب سارة معها فاضطرت آسفة لتركها عند جارتها ... جارتها
الشمطاء التي لم تعلم أنها مريضة غير واعية للواقع

مرت الأيام وعادت

لم تعد لأختها بل عادت لجسدها الخالي من الروح
لم تنسى أبدا جثمان أختها المتعفن المملوء بالتشوهات وآثار التعذيب
وجارتها تلك المريضة النفسية لم تلق عقابها
وكيف يعاقبونها والمجنى عليه طفلة عربية مسلمة
اكتفى القاضى بحجزها بمشفى للأمراض العقلية
نعم تعلم أن ذلك هو الأنسب لها لكن ... شيء بداخلها يخبرها أن تلك المرأة تستحق
القتل لما فعلته بأختها

لم تستطع البقاء مع زوجها الذى حملته كل الذنب
لو حملت نفسها ولو جزءا منه لقتلت نفسها فكان ويليام زوجها السابق هو البئر
الذى تسقط فيه عبء الشعور بالذنب
طلبت الطلاق

ابتسمت بتهكم تتذكر إسراعه بإجراءات الطلاق دون المحاولة للتمسك بها
كان مثل غيره
يريد جسدها ... الجسد وفقط

ما إن تطلعت منه حتى علمت بعدم اعتناقه الإسلام!
كان يخدعها طوال الوقت ... وكانت تلك القشة التي قسمت ظهر البعير

لم تتحمل كل تلك الضغوطات والأعباء عليها لتدخل بمرحلة اكتئاب قادتها لمحاولة الانتحار أكثر من مرة وفقدان النطق

لولا صديقتها التي تعلم كل شيء عنها ... استطاعت الوصول لأسد ضرغام

ذلك الرجل الذى حولت حياته للجحيم لينتشلها من جحيمها

أعادها لمصر وتحمل كل تكاليف علاجها

والآن تخاف من كشف شفائها وعودة نطقها فيخرجوها من هنا

هذا المكان الوحيد الذى يشعرها بالأمان لا تريد الخروج منه ... لا تكف أبدا عن ارتكاب الأخطاء بالخارج

نهضت بسرعة بعدما شعرت باختناقها وصعوبة تنفسها لتجلس على الفراش طاردة ذكريات الماضى

يكفى ألم ووجع فلتحاول أن تحيا كما قال صلاح لها

يتطلع بحسرة لمامح والديه اللامبالية حتى بإخبارهم بأسعد خبر وهو رجوع ابنتهم مياسين

لا يعلم ... هنالك سر يجب كشفه ... لما تلك المعاملة لها؟

لما لا يروا النقاء والجمال بداخلها

تنهد بحزن تاركا والديه المتناولين الطعام ببرود

دلف لغرفته وتمدد على الفراش مبتسما بحب ستعود مشاغبتة مرة أخرى له

سيحرص على بقائها دائما بالمنزل فتلك الفترة شعر ببرودة شديدة داخله ووحدة قاتلة

يجلس أمامها بملامح فزعة بعدما غفى استيقظ على كلمات والدته
(الحق سديم هنا عايزاك وشكلها زعلان لتكون رجعت فى رأيها)

اهتزت قدمه بنفاذ صبر متحدثا بحذر:

- خير يا سديم فى حاجة

تنفست بعمق عليها تخرج الألم بداخلها فبعد دقائق معدودة محاولة أن تضبط نفسها
فرت محاولتها ما إن تحدث

سقطت دمعة ... اثنتان ... فهطل الباقي كالشلالات الجارية على وجنتها الناعمة

عقد حاجبيه بقلق بالغ متحدثا ببعض من الصرامة:

- سديبيم احكى فى إيه

أومات له بسرعة فهبطت دموعها أكثر وأكثر

فتحت فمها عدة مرات عليها تستطيع التحدث لكن لا جدوى

لم تستطع التفوه بكلمة فاكتفت باعطائه الجواب البالى مما فعلته يداها الصغيرتان به

أمسك الجواب بتعجب ليبدأ بقراءته

ثوان بسيطة وطوى الورقة ولم يكتفى بل مزقها تماما

تنهد عدة مرات حتى بدأ الحديث:

- سديم ... أنا حاسس بوجعك بس ... احمدي ربنا على كل شيء ... أكيد ربنا أراد كدة لسبب معين

شهقت بنحيب مستنكرة:

- سبب إيه اللي يخليه يتخلى عن بنته ... ده لو كان حبسنى ولا ضربنى أهون إنه يعمل فيا كدة

عض شفته بحزن حقيقى لا يعلم كيف يواسيها:

- خلاص يا سديم لازم ننسى ولعله خير هو سافر وشاف حياته متوقفيش حياتك

أومات بإصرار تزيل دمعاتها بعزيمة:

- أيوة هشوف حياتى خلاص ... وفعلًا لعله خير ... كنت دايمًا حاسة بخوف إنه يلاقينى وتأنيب ضمير إنى مش بلغت عنه بس ... الحمد لله الحمد لله

ابتسم لها بتشجيع على قرارها بتقبل ما حدث رغم كلماتها الباردة شكلاً إلا أنها عنيقة مغلفة بألم ووجع:

- أيوة كدة عايزك دايمًا قوية ... آآ ... مش هنحدد بقى كتب الكتاب

لم تستطع الحديث لشعورها بالصددمات والضغوطات المتتالية ألا يكفيها ذلك ليأتى عشقه يضغط عليها أكثر

انتظر ردها فلم تجب ليبدأ الحديث بحرج مرة أخرى معتبراً صمتها موافقة:

- طب ... طب إنتى عارفة ظروفى وكدة و ... يعنى

ابتسمت له مهونة عليه متحدثة بتهديج:

- متقلقش أنا مش هطلب منك ولا هشيك هم ... وحتى كليتي خلاص هقعد منها
ملهاش لازمة

نفى برأسه رافضا قرارها بشكل قاطع:

- لا طبعا مش هينفع تسببها إنتى فى هندسة صح ... أكيد بتحبيبها كملى وأنا هشتغل
بزيادة وبإذن الله نقدر نعيش متقلقيش

ظلت على ابتسامتها الجميلة متحدثة بحنان مغلفا بحزن:

- متحاولش يا ساجد مصاريفها كتيرة أبقى أكملها لما الحال ينصلح بإذن الله ...
وكمان إنت هتحتاج دعم منى كتير

عقد حاجبيه مستفهما لكلماتها المبهمة لتزيل ابهامها مفسرة:

- بص ... مش هينفع تكمل فى شغل كافيهات إنت خريج هندسة وشاطر لازم تشتغل
بشهادتك وتحقق اللى عايزة

ابتسم جانب فمه بحسرة لحديثها:

- إنتى مفكرة ده سهل زى الكلام ... أنا حاولت كذا مرة ... وفى كل مرة بفشل وهو
مين هيخاطر ويدينى شغل

نفت بسرعة متحدثة بتشجيع:

- لا يا ساجد إنت محاولتش وحتى لو حاولت فمكنش حد جمبك يسندك ... لكن أنا
جمبك ... هكون مراتك وسندك لغاية ما تشتغل وتقف على رجلك وتحقق اللى عايزه
ووعدها أبقى أكمل تعليمى

أشرق وجهه وابتسم بحنان عليها ... محق هو عندما لقبها بالملاك
برغم آلامها ... برغم الدموع التى لازالت عالقة بعينيها لما فعله والدها
برغم تمزق قلبها كتمزق ذلك الجواب ... إلا أنها تقف داعمة إياه ببقايا قوتها التى لم
تبخل عليه بها

لم يجد مفرا سوى الإيماء موافقا إياها ليشرق وجهها أخيرا متخللا إشراقه حمرة
خجل

نهضت من مكانها لينهض معها:
- طب محدناش كتب الكتاب امتى

حركت كتفيها ببساطة مجيبة بحزن:
- مش هتفرق يا ساجد اختار الوقت اللي عايزه

كادت تذهب حتى تذكرت حديث مياسين عن عودتها لمنزلها اليوم وترك البيت لها
تجلس به ... شعرت بالإحراج منها لكن مياسين أبادته بابتسامتها اللطيفة:
- آه صحيح مياسين هترجع انهاردة بيتها وقالتلى هتسيبلى البيت مفتوح أقعد فيه

حك خلف عنقه بإحراج فهو لا يستطيع توفير مكان ملكه لزوجته المستقبلية حتى

شعرت بإحراجها فتحدثت بحب:
- هى فترة بسيطة بس لغاية ما نتجوز

أوما لها مبادلا إياها الابتسامة لتشرد بملامحه الجميلة قليلا

أحس بشرودها به ليدق قلبه دقات متتالية ... كم هو جميل الشعور بشخص يحبك
يفعل كل ما هو قادر وغير قادر عليه لأجلك أنت فقط

أفاقت بعد عدة ثوان لتخجل من فعلتها فقررت الاختفاء من أمامه لتخفى خجلها عنه

تحركت للخارج وهو خلفها يراقب أثرها

ما إن ابتعدت عن مرمى بصره حتى اتسعت ابتسامته فرحا بما أنعم الله عليه
زوجة مستقبلية عاشقة له خجولة وعلى خلق ... ماذا يريد أكثر من ذلك
يحمد ربه أن والدها ابتعد وتخلي عنها ... يشعر بالسعادة لذلك
نعم أنانى بشعوره لكن والدها كان هاجس له ... يخاف أن يؤذيه بسلطته
لكن الآن ها هو ابتعد تماما

أنهت محاضرتها تشعر بصداع شديد يكاد ينفجر رأسها ألما وما زاد الطين بلة عدم
تناولها الطعام جيدا خلال الفترة الأخيرة

تحركت شريفة مع زميلاتها يقفون على جانب الطريق ليعبروه

بدأ جسدها يتحرك بوهن ويهتز حتى شعرت بالظلمة حولها لتسقط فاقدة وعيها

قبل أن تصل للأرض كانت يد صديقتها تحتضنها صارخة بفزع:
- يلهوى شريفة مالك ... الحقووووونى الحقووووونى ... شريفة شريفة مالك

شعرت بخيال أحد يقف أمامها وصوت رجولى قلق:
- خير يا آنسة مالها

نفت مشيرة عدة مرات بفزع:
- معرفش ساعدنى بالله عليك

أوما لها هابطا على قدميه يمسك شريفة جيدا

ثوان وظهرت الصدمة على وجهه ... تلك الفتاة يتذكرها جيدا ... تلك من رآها عندما
ذهب مع نيرة لجامعتها

أمسكها قصى جيدا وبدأ بعمل الإسعافات الأولية لها بعدما أمر صديقتها بشراء بعض
الأشياء من المقهى القريب

بعد مدة بسيطة بدأت تفتح عينيها ببطء ووهن لتسقط عيناها على ذلك الشارد منذ
رآها

جفلت بعدما وجدت نفسها بين ذراعيه كمن تحتضنه ويبادلها الاحتضان

نهض وهو يساعدها على الوقوف برغم تمنعها الضعيف

عقدت حاجبها بتفكير تشعر أنها رآته من قبل حتى انفكت عقدتها بعدما تذكرته إنه
قصى الزوج المستقبلى لزميلتها نيرة

تجاهل كل منهما معرفة الآخر فلا أحد يعلم بما يتفوه

جاءت مشيرة لتجد صديقتها واقفة بهون فسارعت بإسنادها مزامنة مع إبعاده يده عن
يدها

تفحصتها مشيرة بقلق متممة بغير رضى:

- ينفع كدة يا هانم أهو جالك هبوط ابقى كلى كويس خدى كلى السندوتش ده

أومات لها بإحراج ملتقطة الطعام لتلتفت صديقتها لقصى:

- شكرا يا أستاذ

جفل من شروده على شكرها فأوما لها بابتسامة وهو يتحرك بعيدا عنهما دون حديث

تطلعت شريفة بأثره بتعجب ... ألم يتذكرها؟! أم تذكرها وقرر تجاهلها؟!!

تهددت مخبرة نفسها بعدم أهمية الوصول لإجابة لتبدأ بتحذيراتها لصديقتها بعدم
إخبار والدتها ما حدث حتى لا تقلق عليها واعدة مشيرة بالاهتمام بنفسها أكثر من
ذلك

ألقى الكأس ليتكسر لقطع صغيرة وهو يصرخ بجنون:

- يعنى إيه يعنى إيه اتقتل

تحدث تابعه بتبرير:

- يا باشا البوليس كان بيجرى وراه واتقتل منهم

دار حول نفسه بغضب:

- ومين يراقب سديم دلوقتى ميبين؟

لم يستطع إسلام تابعه وحارسه الإجابة فجلس مصطفى على المقعد بغضب:

- ياريتنى أخذتها معايا ياريتنى

تحدث الشاب بمواساة:

- معلش يا باشا نخلص بس من القلق ونرجع مصر تانى

صرخ مصطفى به رافضا فكرته:

- أنا لسة هستنى ده مش بعيد أستنى سنين ... لا لا ابعت حد من رجالتنا مصر حالا يراقبها ... ابنى موصينى عليها قبل ما يموت دى الغالية ... افرض حصل حاجة أدتها ... مستحيل هحافظ عليها لغاية ما تموت وتروح لابنى

تحدث إسلام بقلة حيلة:

- رجالتنا معظمهم ماتوا فى آخر عملية انكشفت والباقي سافروا معانا مسيبناش حد ومنقدرش نبعثهم احنا بقتل نادر شغله مع ناس كبار وقف ومستنيين أى حد ليه صلة بنادر ومش بعيد يبلغوا عنا

زفر مصطفى عدة مرات محاولا التهوين لنفسه:

- ماشى ... ماشى ولا لو طالت السنين هرجعلك ... ما هو طالما ابنى مات قبل ما
ياخدك يبقى محدش هياخدك غيره هتفضلى ليه هو لوحده

حل الليل فأظلمت السماء ولكن هل يظلمون هم أيضا؟

وصلا للمنزل ليبدأ قلبها يقرع بالطبول ... ستعود لعائلتها مرة أخرى ... لا تعلم هل
القرار صواب أم لا لكن ... يكفى أنها بجانبه

أمسك تميم يدها مشجعا إياها لتتنفس بعمق طاردة خوفها

فتح الباب بهدوء واتجها للداخل ليسمعها صوت والديهما فتوقف تميم ليفاجئهما:

- سامع صوت يا محمد

تحدثت زينب بتعجب بعدما استشعرت صوت أحد بالخارج ليرد زوجها:

- لا لا يتهيا لك بس

صمتت زينب ثوان حتى تحدثت بجمود:

- ليكون تميم جه مع مياسين

نفى محمد ومازال يتطلع لهاتفه:

- لا لا مش هيجوا بدرى كدة ده لسة ماشى من شوية

كاد يدلف بسرعة وعنف ليفاجئهم بعودة مياسين لكن تسمر مكانه مما سمع

تابعت زينب الحديث بغضب:

- أو مال لو كانت أخته كان عمل إيه فينا

جحظت عينا مياسين بفزع ... أستكشف الحقيقة الآن ... الحقيقة التي لطالما كانت
ثقلا وعبئا ... الحقيقة التي تمنيت لو أنها لم تعلمها يوما

أفاقت على تركه ليدها ببطئ وهو يدلف للداخل لتذهب وراءه بوجه محمر مقاربا على
الإنفجار بكاءا

شهقت زينب بصدمة بعدما دخل تميم عليهم وعلامات الذهول على وجهه:
- تميم إنت هنا من إمتى؟

نهض محمد بسرعة ملتفتا له ... علم الوالدين من تعابير تميم ومياسين أنهما استمعا
لحديثهما

ابتلع غصته بصعوبة متحدثا بارتجاف:
- هو ... هو يعنى إيه مش أخوات

انكمشت ملامح مياسين حتى انفجرت بكاءا لتضع يدها على فمها فخرجت صرخاتها
مكتومة

التفت تميم إليها عاقدا حاجبيه بتعجب
لما تبكى تلك الغبية ... بالتأكيد والداها يمزحان
اتجه لمياسين واحتضنها بعنف مهددا إياها:

- هم أكيد بيهزروا إنتى أختى من دى ولحمى

التفت برأسه لوالديه الصامتين والوجوم على ملامحهما فتحدث بتهديج:

- صح ؟!

عم الصمت ولكن لم يخلو من شهقات مياسين المتتالية وصوت ابتلاع تميم غصته
بخوف

ثوان وصدح صوت زينب البارد:

- أيوة مش أخوات ... إحنا اتبنينا مياسين بعد ما عرفت إنى مش هخلف بعدك تانى

دفعت مياسين ذلك الذى كان يحتضنها بعنف متطلعة لزينب بصدمة
ثوان وتحولت لضحكات متتالية غير مصدقة ما تفوهت به

استمرت على وضعها الجنونى حتى شاركها تميم ضحكاتهما بعدم تصديق

تطلع محمد إليهما بحزن ودلف مسرعا لغرفته غير قادر على التحمل

توقفا عن الضحك ليبدأ صوت نشيجهما العالى

ارتفعت صرخات الوجع والبكاء منهما ليسقطان على الأرض بوهن

تطلعت زينب إليهما بحزن واتجهت لتميم تحتضنه مواسية إياه:

- بس يا حبيبى بس متزعش ... خلاص إحنا ربيناها وكبرناها وهى هترد جميلها
وتبعد عنا صح؟

تابعت قولها بالنظر لمياسين بحدة والتى أومات برأسها مزيلة دموعها بوهن

استندت على يديها لتنهض تشعر بإرتجاف قدميها

تحركت للخارج وهو يتبعها بنظره دون معارضة تلك المرة

لا يملك القدرة على منعها من الخروج كل شيء مظلم حوله ... يشعر بالخواء بعقله
غير قادر على التفكير

دفع والدته ببطئ وملامح الصدمة والألم على وجهه
اتجه لغرفته مغلقا إياها يستند على الباب شاهقا ببكاء ووجع وكلماتها تتردد داخله

تتطلعت للمنزل من الخارج ولمحات من الماضى تأتي برأسها
ابتسمت بوجع ستخرج لثانى مرة لكن تلك المرة ... للأبد

أوقفت سيارة أجرة تمليه عنوان بيتها الصغير مع صديقتها الجديدة
يا لسخرية القدر ... ظنت أن الحياة ستبتسم لها بعودتها وقربها من حبيبها تميم
لتسود الحياة بعينيها وعيني حبيبها

أزالت دمعاتها بجمود مقررة عدم البكاء على الماضى
لطالما علمت أنها خسرتة كحبيب
والآن خسرتة كأخ وسند

تمددت شريفة على فراشها لا تعلم لما لا يكف ذلك العقل الأبله عن التفكير به
برغم التعب الظاهر على وجهه إلا أنه شديد الجاذبية
حقا تليق به وظيفته

تقلبت بفراشها مغفلة نفسها للتفكير بخطيب زميلتها

أغمضت عينيها مانعة نفسها بالتفكير أكثر من ذلك

عضت سديم شفرتها السفلى بتردد ... لا تعلم ماذا حدث لها
تفاجأت بمن يدق الباب ... ما إن فتحتة حتى وجدت مياسين واقفة تتطلع إليها
بنظرات فارغة وجسد خالى من الروح

تعجبت من قدومها ... ألم تكن ذاهبة لعائلتها؟ ماذا حدث لتعود بتلك الحالة؟

نهضت عن مقعدها وقد قررت الدخول لتواسيها حتى ولو لم تعلم السبب

تعلم أنها تحتاج أحد بجانبها

ما إن خطت تجاه غرفتها حتى ارتفع طرق الباب
عقدت حاجبها بتفكير من الطارق فمياسين وبالدخل وبالطبع ليس بساجد

ارتدت حجابها واتجهت للباب تفتحه بهدوء
تراجعت للخلف بتوجس وهى تجد شاب ضخم يدفعها للدخل مغلقا الباب بعنف

ارتجف بدنها تتطلع لوجهه القبيح الملى بالندوب تتحدث بخوف:
- إن .. إنت مين

ابتسم الشاب بخبت مجيبا بوقاحة:
- لقيت زميلتك مشت وسابتك قلت أجيالك يا جميل

ابتلعت ريقها بخوف متحدثة ببكاء:
- اطلع برة .. اطلع آاه

صرخت بجزع بعدما ركض تجاهها لتركض هى الأخرى بكل اتجاه تتعثر بكل شيء
ظلت تصرخ بشدة بينما غضب الشاب كثيرا فركض بأقصى سرعة إليها حتى استطاع
امساكها ليأخذها بأحضانه كاتما أنفها وشفتيها يحاول إزالة حجابها بينما جسدها
ينتفض بفرع تحاول الصراخ لكن لا جدوى

كانت مياسين بالدخل كالموتى تمام باردة الجسد خاوية الروح

دموعها تتساقط ببطئ لازالت غير مصدقة لما حدث
لا تعلم كيف حملتها قدمها لهنأ

أفاقت من ألمها على صوت صراخ سديم لتنتفض راكضة لأارج غرفتها

ما إن خرجت حتى وجدت رجل ضخم البنيان يحاول تقبيل سديم وإزالة حجابها
وملابسها

صرخت مياسين بجزع تتجه للرجل تضربه بقبضتى يدها الضعيفة ليلتفت إليها بصدمة
... لم يرى عودتها ظنها بالأارج

التفت لمياسين محاولاً إمساكها فلانت قبضته على سديم قليلاً التى عضته من يده
ليصرخ بوجع تاركا الفتاتين اللتين ركضتا مبتعدتين عنه يصرخان بجزع

ارتفع صوت طرقات الباب تبعه بصوته القلق:

- سديبييم ... سديبييم إنتى كويسة

كان بمنزله شارد بكل شيء عداها هى نيرة
كلما اتجه قلبه وعقله إليها عنفهما مذكرا كل منهما بسديم التى لا تستحق تفكيرهما
بغيرها

يدرس جيداً كل شيء ليستعد للزواج
تنهد بضيق لا يملك مالا يبتاع به فستان زفاف فكيف بتكاليف الزفاف

تحول ضيقه لابتسامة وهو يعلم إجابتها إن عرفت بعدم امتلاكه للمال
بالتأكيد ستهون عليه كثيرا وتتخلى عن حلم كل فتاة بزفاف ضخم وفستان غالى الثمن

وعلى ذكرها شعر ببعض القلق عليها بالتأكد هي وحيدة الآن بالبيت

جاءت فكرة ببالة حاول طردها لكن لا جدوى من محاولاته لينهض منفذا إياها
فليطمئن عليها قد تكون بحاجة لشيء ما

خرج من منزله واتجه لبيتها وكلما يقترب يستشعر قلق وخوف غريب
وأخيرا فهم السبب عندما سمع صوت صراخ خافت من الداخل

ضرب الباب بفزع طارقا بعنف يصرخ بها أن تفتح وقد هوى قلبه أرضا:
- سديبييم ... سديبييم إنتى كويسة

- ليه قلتي كدة يا زينب
قالها محمد بعتاب لزوجته وقد شعر بالشفقة عليهما فتحدثت زينب ببرود:
- بدل ما تشكرنى الواد كان عرف خلاص إنهم مش أخوات وكدة أحسن

همهم محمد لها غير مقتنع لتتحدث زينب بضيق:
- قافل على نفسه من ساعتها ... بس يلا بكرة يفك وينسى

تطلع محمد إليها متعجبا من تبدل مشاعرها ليبتسم بسخرية على نفسه فهو ليس
بالأقل منها

نائم على فراشه يحتضن وسادته وهو يدفن رأسه بها ليكتم صرخاته
دموعه تسقط كالحجارة القاسية على وجنتيه
يئن ويشهق بوجع ... كيف؟ كيف لا تكون أخته؟!
والديه ... الآن يعلم لما تلك القسوة

مياسين ... تلك الوردة التي برغم الفارق الصغير جدا بينهما إلا أنه من رباها
وعلى ذكرها أبعد وجهه عن الوسادة مفكرا بذهول أين ذهبت؟

أغمض عينيه لتسقط الدموع العالقة
بالتأكيد عادت لبیت جده القديم
ماذا يفعل الآن؟

لن يتركها بالتأكد ... حتى لو لم تكن أخته بالدم ... فهي أخته بالقلب وستظل أخته ...
سيظل يكن لها الحب والمشاعر ... لن يتركها أبدا

دفن وجهه بالوسادة مرة أخرى ... يريد النوم عله يتخلص مما يرهقه

اتجهت سديم للباب مسرعة تفتحه بلهفة بينما اختفى الرجل بغرفة ما

ما إن فتحت الباب حتى اندفع إليها محيطا وجنتيها بفرع:
- إنتى كويسة إيه الصريخ ده

نفت بانهيار تجيب بكاء:

- فى ... فى راجل جوة حاول إنه ... إنه يتهجم عليا

أظلم وجهه واتجه بغضب لكل أنحاء المنزل باحثا عنه بينما ركضت سديم لمياسين
الجالسة أرضا بخوف

يحتضنان بعضهما عل كل منهما تبث الأمان للأخرى

وقف بالغرفة وتطلع بالنافذة المفتوحة ليضرب الخزانة بجانبه بغضب

عاد إليهما مرة أخرى وهبط جالسا أمامها يطمئنهما:

- اهدوا اهدوا خلاص محصلش حاجة

خرج صوت مياسين الخائف:

- لقيتة؟ ... هو دخل أوضتى

نفى برأسه بحسرة وغضب:

- لا هرب من الشباك ... شفتوا شكله

تحدثت سديم بارتجاف:

- أنا أنا فتحتله و... و ... مش فاكرة مش فاكرة شكله

جز على أسنانه متحدثا بغضب:

- وإننى إزاي تفتحي لأى حد كدة إننى اتجننتى

انكملت على نفسها بأحضان مياسين فتراجع عن غضبه متتهدا بتعب:

- طب ادخلوا ناموا متقلقوش أنا هفضل قاعد برة و ... سديم لازم نتجوز ... بكرة نكتب الكتاب أنا مش هآمن تقعدى هنا تانى لوحدك ... فى البيت أمى معاكى ومحدث يتجراً يهوب ناحية البيت

تطلعت سديم إليه بخزى موافقة إياه ... كانت تتمنى لو يكون زواجهم بطريقة أخرى لكن لا يهم فقربه يكفى ويشعرها بالأمان خاصة بعد ما تعرضت له اليوم

تذكرت مياسين لتطلع إلى تلك الشاردة متحدثة بقلق:

- وإننى يا مياسين !؟

أغمضت عينيها بتعب وتابعت:

- مبروك ... روحى إننى يا سديم متقلقيش هبقى آخذ بالى

وقبل أن تعترض كان معشوقها يعترض متحدثا:

- لا ... بكرة تتصلى بأخوكى ييجى ياخذك محدش منكم هيقعد هنا غير الليلة دى بس

جاءت مياسين تتعرض فأوقفها نظرة صديقتها الراجية لتهز رأسها موافقة واتجهت للداخل ببعض من الخوف

نظر إليها وما زال قلبه يرتجف خوفاً عليها:

- متأكدة إنك كويسة

ابتلعت ريقها تحاول طرد تلك اللحظات المرعبة من مخيلتها:

- أيوة أيوة الحمد لله إنك جيت

حمد ربه هو الآخر ... كان سيتحطم كلياً لو حدث لها شيء!

تحدث مرة أخرى ببعض من الإحراج:

- أنا آسف بس بجد مش عامل حسابي ف ... مش هقدر أفرحك بكرة وأجيبك حاجة ولا ... ولا معايا مصاريف شبكة وفرح

وكالعادة قابلته بابتسامتها المعهودة متحدثاً بحنان وعشق برغم ارتعاش شفيتها الواضح خوفاً:

- مش مهم المهم إنك جمبي

ابتسم هو الآخر بفرحة عارمة مجيباً بحماس:

- بس صدقيني أول ما الحال يتحسن هخليكي تكملّي تعليمك وأجيبك شبكة وفرح وكل اللي نفسك فيه

ضاقت عينها لشدة ابتسامتها:

- وأنا واثقة فيك

تحدث متتهدا براحة:

- أنا مش هروح بكرة الشغل وهخلى زميلى يستأذن ومتقلقيش كل حاجة محتاجينها
لكتب الكتاب هتتوفر

أومأت له بحب ليتحدث محمر الوجه خجلا:

- احم ... سديم ... إنتى عارفة إنه هيكون جواز فعلى صح يعنى مش كتب كتاب بس

اتسعت عيناها من كلماته الوقحة بنظرها ... ألا يخجل؟!

- سديم ... إنتى عارفة

أومأت له تكاد تموت خجلا فإن لم يجد منها رد فعل سيظل يكرر كلماته الوقحة

ابتسم بارتياح ونهض واقفا ماذا يده لها

تجاهلت يده ونهضت بنفسها متممة بخفوت:

- حرام

ابتسم على تدينها ونقاء قلبها الذى لم يرى مثله ولن يرى أبدا:

- أنا هقعد برة متقلقوش ارتاحوا إنتو وهحاول أوصل للى دخل هنا

لمعت عيناها حبا وقلقا عليه:

- بس الجو ساقع

ابتسم عليها حتى بأصعب المواقف لا تنسى عشقها له أبدا وكم يحب ذلك كثيرا

طمأنها بابتسامته واتجه للخارج جالسا على الدرج يأمرها بإغلاق الباب

أغلقت بهدوء والحب قد استولى على ملامحها
تطلعت لغرفة صديقتها وقررت الدلوف

فتحت الباب فانتفضت مياسين فزعا:

- مين؟!!

- متخافيش ده أنا

زفرت مياسين براحة فاقتربت سديم منها حتى جلست أمامها على الفراش:
- مالك بقى يا مياسين ... وإيه رجلك مش كل حاجة بقت كويسة

تصنعت مياسين الابتسامة:

- لا بصراحة زى ما قتلتك أنا بحب الحرية وكدة ولقيتهم هيقيدونى تانى فرجعت

تطلعت سديم إليها بغير تصديق لمدة حتى زفرت بقلة حيلة وفقدان أمل من اعترافها
بالحقيقة

قبلت سديم جبينها متممة:

- تصبى على خير

- وإننى من أهله

أجابت مياسين بشرود وقد سقطت ببئر الماضى مرة أخرى وسقطت معها دموعها

انقضى الليل بما به وأشرق الشمس من جديد

كان يجلس معها بالمشفى كعادتهما يتحدثان بأمور عديدة حتى تحدث فجأة:

- رحمة مش عايزة تخرجى بقى

جفلت من سؤاله لثوان حتى أجابت بوجوم:

- لا

تنهد متحدثا بعقلانية:

- بصى يا رحمة ... وجودك هنا مبيعلمش حاجة غير إنه بيقيدك أكثر ... اتخلي
الحياة برة وملذاتها ... اتخلي حريتك برة ... طب أسد اللى ساعدك ... مش حاسة
بتأنيب ضمير إنك بتخدعيه

تطلعت إليه بتردد ... يا الله أتقصنى أنت يا صلاح

لم تكف منذ أيام عن تفكيرها بالخروج ... تحتاج كثيرا لحريتها ... تحتاج أن تعيش
مرة أخرى

وذلك الشاب لا يكف عن تشجيعه لها أبدا

تجاهلت كلماته مثلما تفعل عندما يسألها عن ماضيها لتبدأ تسأله عن أحواله ودراسته
بينما هو لم يرد الضغط عليها فتماشى مع تجاهلها له

تثاءب ساجد بنعاس فقد ظل ساهرا طوال الليل أمام منزلها لم يتركهما أبدا حتى عندما
ذهب ليخبر والدته عن زواجه غدا وأن تعلم من حولهم كانت عيناه على باب منزلهما
دون الدخول لمنزله

سمع صوت خطوات تجاهه ليجد ذلك البغيض تميم أمامه

تطلع تميم لساجد بتعجب ممزوج بضيق:

- إنت قاعد هنا بتعمل إيه؟!!

أجاب الآخر ساخرا منه:

- والله أنا قاعد بحمى خطيبتى الدور والباقي على اللى سايب لحمه فى مكان غريب

تطلع تميم إليه بعدم فهم:

- حماية من إيه؟!!

تحدث ساجد بغضب فكلما تذكر ما حدث البارحة يشتعل داخلها:

- امبارح حد اتهجم على خطيبتى وأختك لولا ستر ربنا وإنى جيت كان ...

صمت ... لا يريد حتى التحدث عما كان سيحدث لو لم يأت

بينما تميم ظهر الفرع على وجهه واتجه للباب يطرقه بقوة وقلق فتحدث ساجد بضيق:

- اصبر خطيبتى جوة

تجاهله تميم تماما وقلبه يتآكل قلقا عليها

دقائق وارتفع صوت سديم القلق من خلف الباب:

- مين؟!!

ابتسم ساجد بغرور وانتصار لعدم فتحها الباب قبل معرفة هوية الطارق

تحدث ساجد مسرعا قبل أن يجيب تميم الذى يتآكل خوفا على مياسين:

- أنا ساجد افتحى يا سديم

ثوان وفتح الباب لتتطلع سديم للرجلين بتعجب فتحدث ساجد:
- سديم ... تعالى برة على ما الأستاذ يخلص

أومات له وهى تخرج من المنزل ليدلف تميم مسرعا للداخل
أشار ساجد للدرج يدعوها للجلوس فجلست على استحياء

ظلا هكذا صامتين كل بداخله حديث لا يستطيعون التفوه به حتى بدأ الناس يخرجون
من المنزل

ما إن بدأ الناس يظهرون حتى تجمع العديد منهم حولهم يباركون لهم

حرك ساجد رأسه بيأس من والدته والتي كان متأكدا أنها لن تصبر على ذلك الخبر
وستسارع بالاتصال بالجميع وإخبارهم حتى ولو كانوا قاربوا على منتصف الليل

- والله زى ما بقولك كدة

نطقتها سناء لزوجها كريم الغاضب:

- يعنى إيه كتب كتابهم انهاردة ... ده كدة هيلزق فى الشقة ... لا أنا مزنوق وعاز
الشقة

صمتت سناء لا تعلم بما تجيب ... كانت آمالهم معلقة على ذلك البيت الذى يشترونه
بأبخس ثمن

وهنا تحدث كريم متوعدا:

- والله لو البيت مبقاش بتاعنا لأقلب الترابيزة عليه

دلف لغرفتها وفتح الباب بهدوء يقترب منها رويدا رويدا حتى مثل أمامها
راقب وجهها المشرق النائم وتلك الحمرة بسبب بكائها أكثر من خجلها
هبط على قدميه أمامها يتأمل وجهها الجميل البرئ
تحركت يده لوجهها تعلم طريقها جيدا للوجنتين اللتان لطالما اعتصرهما ليغيظهما
لكن الآن خارت قواه ... لا يملك سوى أن يتحسسهما برفق وحنان لن يزول حتى لو
زال رابط الأخوة بينهما

ظل يتلمس وجنتها الناعمة وبدأت دموعه الجافة تهبط مرة أخرى
اقترب بهدوء ورفق وقبل وجنتها فجبينها فأنفها

ابتعد مرة أخرى يتعمق النظر بها

بدأت ترمش شاعرة بأنفاس حولها
أنفاس؟! انتفضت كمن لدغتها أفعى مستعدة للصراخ جزعا إلا أنه كان الأسرع
باحتضانها :

- ده أنا اهدى اهدى

ما إن سمعت نبرته الهادئة حتى بادلتها الاحتضان بعنف عله يبث الأمان بداخلها بعد
ليلة أمس بأحداثها المهلكة
وقد كان

مزامنة مع احتضانها كان الدفء والأمان يتسرب بداخلها ... لكن ما لا تعلمه أنهما
تسربا بداخله هو الآخر

بدأت تبكى بشهقات متتالية بعدما وعت تماما ليرفع بصره للسقف مغمضا عينيه
محاولا عدم البكاء

لما البكاء؟!!

ليس الدم هو ما يشكل العلاقات ... يكفى الود والمحبة

أبعدها عنه بعدما استشعر ارتجاف جسدها معلنا عن سوء حالتها

حاوط وجنتيها بحب مردفا بدفى خالص لها هى فقط:

- ميا ... إنتى كويسة؟ متقلقيش مش هسيبك هنا تعالى هنمشى حالا

ابتلعت ريقها وهى تبعد يديه عنها مجيبة باختناق:

- مينفعش ... إحنا خلاص بقينا مش ... مش

أمسك ذراعها بعنف جاذبا إياها تجاهه:

- مياسيبين ... مفيش حاجة اتغيرت ... انسى ليلة امبارح بكل اللي فيها ...
وهتفضللى أختى فاهمة ... ولو مش قادرة تكونى أختى هتفضللى أجمل وأروع بنت
وصديقة فى حياتى فاهمة

أومات له مبتسمة بفرحة على علاقتهما التى ظنت أنها انتهت

تلبسه الشياطين بعدما تذكر كلمات ساجد ليتحدث غاضبا:

- مين ده اللي حاول يتهجم عليكى امبارح ها انطقى

خافت من نبرته العنيفة فأجابت برجاء:

- خلاص يا تميم هو موقف وعدى ده واحد حاول يتهجم على سديم وأنا كنت بحوش عنها بس ساجد لحقنا الحمد لله والراجل هرب

تساعل بغضب:

- راح فين ال**** ده ... وإيه جاب ساجد عندك هو متعود يدخل ويخرج كدة كتير

صمتت زافرة بضيق من أسئلته ونبرته الغير معتادة عليها فطالعتة برجاء
رأى نظرتها الراجية بنسيان ما حدث فتنهد مقررًا رحمتها
- طب يلا لمى هدومك هنمشى هوديكي مكان تانى

نفت مسرعة بجزع:

- لا لا بالله عليك سيبنى النهاردة بس

رفع حاجبه باستنكار:

- وده ليه بقى إن شاء الله

ابتسمت له بلطافة علها تجعله يوافق:

- انهاردة كتب كتاب سديم وهتقضى النهار فى البيت هنا مينفعش أسيبها لوحدها

زفر فقد كان مستعدا للرفض لكن ابتسامتها اللطيفة جعلته يتراجع:

- طيب ماشى ... أنا هفضل معاكى

ضاقت عيناها متحدثة بحنق:

- هتفضل معايا إزاي حضرتك سديم معايا

ضرب جبينه ناسيا ذلك وتتهد مضيافا:

- خلاص ماشى بس أنا مش مطمئن أسيبك لوحديك

تحدثت مطمئنة إياه تربت على يده:

- متقلقش والله النهار طلع يعنى أمان خلاص

أوما لها ومازال قلبه قلقا عليها رافض فكرة تركها

أغلقت الهاتف وعيناها تدمع مما تلقتته من خبر صادم

جاءت والدتها متسائلة عن المتصل لتجيبها نيرة بشجن:

- دى خالتي ... كتب كتاب ... ساجد انهاردة

صمتت عايدة وهى تتعمق بلامح ابنتها الحزينة حتى تحدثت أخيرا:

- ربنا يوفقه

عقدت ابنتها حاجبها مستنكرة حديثها لتضيف عايدة بتهيدة:

- هتصل بخالتك نعتذرلها ورانا شغل كثير مش هنقدر نروح و ... أكيد إنتى مش

عايزة تروحي برضو

احمر وجه نيرة اختناقا واتجهت لغرفتها بصمت دون التفوه بأى كلمة أخرى

تطلعت عايدة لأثرها وضربت بيديها فخذها حانقة من تصرفات ابنتها

أغلق هاتفه بعدما يأس من إجابة نيرة عليه

كان يجمع ملابسه ليضعها بالمغسلة فتوقف عندما كان يمسك بقميص ارتداه البارحة
تلك الرائحة؟! قرب القميص منه يشتمه فارتخى إثر تلك الرائحة الجميلة الغير نفاذة
ابتسم بعدما تذكر تلك الرائحة

إنها رائحتها ... ماذا كان اسمها ... نعم شريفة
اشتدت قبضته على القميص واتسعت ابتسامته أكثر وأكثر

وضعت زينب الطعام على الطاولة ببهوت فقد استيقظ تميم دون أن يحادثها واتجه
للخارج

لاحظ محمد ذلك فتحدث بحنق:

- مالك شايلة طاجن ستك كدة ليه فكى التكشيرة دى مش ناقص غم أنا

تطلعت إليه باستنكار ثم جلست دون تحدث

مر بعض الوقت لتتحدث زينب مرة أخرى:

- قدرت تتصرف فى سفريه ولا لسة

أجاب محمد بهدوء:

- أهو بلف وأشوف بس هقدم على سفريه للسعودية أشتغل فى أى مدرسة هناك

أحسن من هنا المرتب معدش يكفى

- ياريت بس تعمل حساب أنا وتميم هنيجي معاك

تنهد متحدثا بضجر:

- والله على حسب بقى لو قدرت أسفركم إنتو ومياسيين ماشى مقدرتش خلاص

مال جانب فمها بحنق ثم تابعت تناول الطعام صامتة

عاد ساجد لمنزله بعدما تأكد من رحيل تميم وأكد عليها بعدم فتح الباب لأحد غيره
حارصا على طمأننتها خاصة بعدما لمح الخوف بعينيها

جلس على الأريكة بعد يأس من بحثه عن والدته التى ليست بالمنزل
متى رحلت لقد كان أمام منزل سديم الملاصق لمنزلهم
ابتسم بخفوت فقد كان عقله ولأول مرة خالص لها هى فقط
لأول مرة يظل يفكر بسديم طوال الليل دون التطرق لنيرة
حسنا يوجد تطور ملحوظ وذلك شيء جيد بل رائع

أفاق على صوت فتح الباب تبعها دخول والدته فنهض سائلا إياها:
- كنتى فين يا ماما

تنهدت والدته وجلست على الأريكة فجلس بجانبها مرة أخرى
أخذت أنفاسها حتى هدأت فتحدثت بفرحة وفخر:
- خلاص يا حبيبى موضوع البيت اتحل

عقد حاجبيه بعدم تصديق وسعادة:

- إزاي؟!!

بدأت سعاد الحديث:

- كان بصراحة معايا مبلغ كدة ٠٠١ ألف ورث ... كنت عيناها للزمن وقلت أديهوم
لأخواتك ويسيبوا البيت فى حاله

انتفض ساجد من مكانه صارخا بغضب:

- ٠٠١ عفريت يركبوهم إنتى بتهزرى يعنى أنا فى زنقة سودة وطالع ***** وهتجوز
البت بلوشى من غير حاجة أملى بيها عنيها وإنتى جاية تقوليلى معاكى ٠٠١ ألف

نهضت والدته جاحظة العين من ردة فعله العنيفة الغير متوقعة:

- إنت مش فرحان؟! دول خلاص متفقين على مشروع يا سفر وهيحلوا عنك ويسيبوا البيت

صرخ ساجد بها غاضبا:

- بيت إيببييه؟! ... ده بيتى أنا سيبتلهم ورثى كله وجاية تديهم الفلوس بدل ما تساعدنى

تساقطت دمعاتها متممة باختناق:

- ده بدل ما تشكرنى

أشار بإصبعه إليها باتهام مغنا إياها:

- أشكرك؟! على إيه ها على إيببييه؟ الحاجة الوحيدة اللى هقولهاك إنى خلاص معدش ليا أم ومتحضرش كتب كتابى هاخد سديم أكتب عليها وأرجع ... أنا أقدر أقولك روحى للى إديتهم الفلوس تعيشى معاهم بس مش هعمل كدة عارفة ليه ... عشان أنا ابن أصول

اتسعت عيناها شاهقة بفزع وهى تقترب منه تضع يدها المرتعشة على صدره:

- محضرش فرحة ابنى ... إزاي تقولى كدة يا ساجد؟!!

تحدث ببرود وقسوة وهو يزيل يدها عنه مشمنزا فقد تخطت الحدود وتخطى هو حد الصبر:

- إنتى سمعتى أنا قلت إيه ... هاخد سديم أكتب عليها ومعاهما الشهود والوكيل بس

ألقى كلماته كالحجارة القاسية غير مهتم بقلب والدته الذى تحطم لقطع ... حتى ولو
تصرفت ببلاهة ... تظل والدته ... لكن الغضب أعمى بصره وبصيرته

خرج من المنزل لا يعلم لأين يتجه لكن ذلك المكان أصبح يخنقه كثيرا وسيحاول أن
يتركه بأقصى سرعة

أنهت سامية اتصالها مع سناء معبرتين عن فرحتهما بالأموال

تطلعت سامية لزوجها متحدثة بفرحة:

- الحمد لله دلوقتى بقى معانا خمسين ألف نفتح بيهم مشروع ولا نشوف سفيرة كدة

ضحك صفوان بسعادة موافقا إياها وهو يزيل قشر البرتقال:

- أيوة أيوة لازم نشغل الفلوس دى على الأقل نحطها فى ذهب أهو الذهب بيزيد ...
بصى هشوف كريم هيعمل إيه كدة ... بس صحيح هتخضرى كتب الكتاب أنا مليش
نفس الصراحة

جلست بجانبه مربطة على صدره تأخذ البرتقالة من يده تستكمل عمله:

- خلاص يا حبيبى نقعد أنا مش طيقاه الواد المتدلج ده أساسا ... وبعدين مش وصى
أمه متعرفناش خلاص بقى ولا كائنا عرفنا وحتى سناء هتعمل كدة

أوما زوجها متناول الفاكهة وعيناه تلمعان فرحة بالمال الذى تفاجأ الجميع به
وكم كانت أروع مفاجئة وصاعقة حلت عليهم

تضع يدها أسفل ذقنها متتهدة شاردة

حسنًا تعترف ليس صلاح السبب الأوحـد بتفكيرها بالخروج
فلقد كانت منذ شهر تفكر بكشف تحسنها وترك المشفى وبالطبع نفوذ أسد سيسهل
كثيراً ذلك سرعان ما تتراجع مرة أخرى خيفة

لكن صلاح يزيد تشجعها لذلك الأمر

ظلت لدقائق تحولت لساعات تفكر بذلك الأمر جيداً
رغماً عنها ابتسمت بتخيلها لعودة الحياة بالخارج ... نعم تخاف من الخروج وإيذاء
الغير كما تعودت من حالها
لكن تذكر المـلذات وحلاوة الدنيا تعود بها مرة أخرى للتفكير بالخروج

أمسكت هاتفها الذى حرص أسد على اقتنائها له حتى ولو رفض الأطباء

ضغطت عدة أرقام ووضعت الهاتف على أذنها:

- أيوة إزيك يا أسد كنت محتاجة طلب

جلست كل منهما أمام الأخرى عازمتان على التحدث

قد لا يلتقيان مرة أخرى ... يريدان الاعتراف

حمحت سديم لتبدأ التحدث أولاً:

- احم بصى بصراحة ... أنا بابا اكتشفت إنهويشتغل شغل مش كويس فعشان كدة هربت لغاية ما ... ما يعنى سابنى وسافر

تطلعت مياسين إليها ببعض السخرية
أتظن أن تلك مشكلة ... ماذا عندما تعلم بمشكلتها هي

تهدت مياسين مستعدة للحديث:

- تميم مش أخويا ... ولا من الأب ولا من الأم واكتشف امبارح كدة بس أنا كنت عارفة من زمان

جحظت عينا سديم مما نطقته صديقتها ... لحظات ودمعت عيونهما ليحتضنا بعضهما
بألم

ربت سديم على كتفها متحدثة بشهقة:

- بصى أنا مش عارفة تفاصيل بس ... احمدى ربنا على كل شيء وحاولى كل موقف تستفيدى منه وتحوليه لصالحك و ... مش عارفة هنتقابل تانى ولا لأ بس بجد إنتى بقيتى صحبتى الوحيدة والأجمل

ابتعدت مياسين عنها وابتسمت بفرحة ضاربة صديقتها على رأسها بخفة:
- وإنتى برضو من أجمل الصحاب وأحسنهم وهنتصل ببعض متقلقيش

شاردة بكل شيء ... معشوقها أمامها يده بيد ذلك العجوز الذى لا تعلمه لكن له جزيل
الشكر لموافقته أن يكون وكيلا لها يسلمها لمن تعشقه

كل حرف ينطقه ساجد تذوب به كما ذابت بصاحبه
لا تعلم أى أحد حولها سوى مياسين وأخيها
مياسين التى تتطلع إليها بدموع فرحة
لكن أين والدته؟ لما لم تأت؟! أهى أيضا انقلبت ضدها؟!
لم تكن تلك هى الظروف التى تمت الزواج بها ... لكن يكفى أن يكون الزوج الذى
تمنته أمامها

لم تفق سوى على تهليل بعض السيدات فانتبهت الآن أنها أصبحت زوجته على سنة
الله ورسوله لتحمر وجنتيها تلقائيا

أخففت بصرها بخجل لتشعر بصديقتها تحتضنها مهنئة إياها

كان تميم يتطلع إليها بمشاعر غريبة ... لا يعلم ما به ... لكن قد يكون بسبب المشكلة
الأخيرة بعائلته

انتهى الزواج ليبتسم ساجد بفرحة لم يتوقع أن تغزو قلبه يوما مع أحد غير نيرة لكن
مجرد التفكير أنه نال كنزا يركض الجميع وراءه يشعره بالنصر والفخر

ضحك بخفوت وسعادة وقد قارب على قضاء يوم آخر دون التفكير بمعشوقته القديمة
ليته يعلم أن حساب الأيام التى لا يفكر بها هى تفكير بحد ذاته بها!

شعر بقلبه يقفز محله بعدما رفعت سديم رأسها تتطلع إليه بابتسامة خجولة

نهض من مكانه متجها إليها لتتحرك شفتيه عنوة مقبلا جبينها
أغمضت عينيها مستشعرة جمال تلك اللحظة طاردة أى أفكار سلبية بداخلها
ابتعد عنها مبتسما بحنان وفرحة لتبادلها إياها وقد نسي من قسى قلبه عليها نهارا
بالمنزل
ومن يعلم متى يندم؟!

دلفت للغرفة بهدوء تسير على أطراف أصابعها لتفزع
بضع خطوات و... احتضان مع صرخة عالية:

- هيببييه اتخضيت صح هههههه؟

تساءلت بضحك زال بعدما استشعرت جمود جسده كما كان دون أى حركة

التفت أسد إليها مبتسما بسخرية:

- ها خلصتى طفولتك

ضاقت عيناها تتطلع إليه بحنق وغضب لينفجر ضحكا عليها:

- هههههه طب خلاص والله خلاص اعتبرينى اتخضيت

زمت شفتيها متحدثة بضيق:

- أعتبرك؟! وانت إزاي متخضش؟!

احتضنها بعنف جاذبا رأسها ل صدره بيد والأخرى على خصرها يتلمسه بحنان كيده
التي على رأسها:

- امتى تقتنعى إن ريحتك كافية تخلىنى أحس بيكى

همهت له متحدثه بخبث:

- اممم يعنى إنت بتشمشم على ريحتى زى اللل...

صمتت مبتسمة ببراءة مصطنعة فتطلع إليها رافعا حاجبه:

- زى إيه؟

أبعدت رأسها عن صدره مبتسمة بلطافة:

- زى الأسد يا حبيبى مش إنت أسد برضو

- أسد ها

قالها بنصف عين حتى ركض خلفها فجأة لتصرخ فزعا تتحرك بكل أرجاء الغرفة وهو
خلفها يضحك بخبث

استطاع امساكها أخيرا ليحملها بين يديه ويجلس على الأريكة

مستسلمة هى كالطفلة الوديعه بين أحضانه

قبل جبينها متحدثا بحب:

- رحمة اتصلت بيا ...

قبل أن يكمل حديثه لاحظ ضيق عينيها بغيرة تتمم:

- وهى تتصل بك ليه ها

سرعان ما أضافت بصدمة:

- هى مش خرسة

ضمها أكثر لصدرة فرحا بغيرتها التى تتعدى غيرته أحيانا:

- اتصلت عشان تطلب منى أطلعها من المستشفى وآه يا ستى كانت لكن رجعلها
النطق انهاردة

همهمت له ثم أضافت بتساؤل:

- وهتطلعها؟!!

أوما لها متحدثا برزانة:

- أيوة حسيت من كلامها إنها بقت إنسانة جديدة مؤهلة تخرج بإذن الله كام يوم
نخلص اجراءات وتطلع

أراحت رأسها على صدره مغمضة عينيها براحة وقد سقطت فى سبات بسرعة ليبتسم
عليها

كم يعشق تلك الملاك!

نائمة على فراشها منكمشة على نفسها تبكى بخفوت

آه يا الله لما البكاء نيرة؟!!

ألم يكن ملكا لك مخلصا لقلبك؟!!

لما الدموع والتحسر فلتعيشى حياتك مثلما فعل هو

ارتفعت شهادتها الضعيفة لتستمع عايدة إليها

غام الحزن بعينها

أكانت مخطئة عندما جعلت ابنتها تتركه

لا كانت على حق ... زوجة ساجد ستعانى كثيرا مع فقره

وهى كأي أم تبحث عن سعادة ابنتها والتي لن تكون سوى مع من مثل قصي

كانا بسيارة الأجرة يتطلع إليها بحنق

فقد جاء تميم يمسك يدها ويحتضنها معبرا عن سعادته إلا أنها ابتعدت مخبرة إياه
بنصائح صديقتها سديم وأن ذلك محرم عليهما

تطلعت لنظرته لها كاتمة ضحكتها بصعوبة ليهمس لها بخفوت:

- ماشى ماشى ... المهم أنا هذك الشقة كانت بتاعة واحد زميلى وهو سابها وسافر
أنا غيرت الكالون عشان أبقي مطمئن أكثر

أومأت له مبتسمة بحب ليتحدث بحنان:

- هزورك كتير ومتقلقيش هشتغل فى شركة أبو واحد زميلى وهو فرلك كل حاجة
ومش احتمال أقيم عندك أصلا هههههه

عقدت حاجبها معترضة بصرامة:

- لا طبعا حرام احمد ربنا إنى وافقت تزورنى وأدخلك البيت

تمتم بخفوت بكلمات غير مفهومة حانقا على حديثها وتصرفاتها الجديدة عليه لتبتسم بعشق وسعادة

فكم تعجبها علاقتهما الجديدة القائمة على الصداقة بدلا من الأخوة!

فتح الباب وهو يحاوطها بيده وابتسامة ظافرة بلهاء على شفثيه بينما هي لم تترك عيناها الأرض منذ عودتهم من مكتب المأذون حتى وصولهم لبيتها

دلف للداخل تاركا إياها بالخارج متحدثا بسعادة لا يعلم سببها:

- برجلك اليمين

ابتسمت هي الأخرى ودلفت للمنزل فأمسك يدها مسرعا والتفتا لغرفة الجلوس ظهر الحزن بعينيه مؤنبا نفسه بعدما وجد والدته ممددة على الأريكة نائمة

كيف امتلك كل تلك القسوة والجبروت ومنع والدته من الاحتفال بأجمل يوم بحياة أى أم

تنهد بحزن عميق يريد ضرب نفسه على فعلته تلك

ترك سديم المتعجبة من نوم سعاد هكذا فقد كانت تظنها قد سافرت أو مشغولة بشيء مهم يمنعها من حضور زواج ابنها

وللحق خجلت من سؤاله عن عدم وجود والدته فهي لم يحضر أى حد من ناحيتها ليس لها الحق بالسؤال عن أقاربه

اقترب ساجد من والدته وهبط على قدميه أمامها يحركها بخفوت:

- ماما ... ماما اصحي ... ماما

بدأ يحركها ببعض العنف بعدما لم يجد أى حركة منها

جحظت عيناہ ٲستشعر الہدوء وعدم تتفسها لٲبءاً بتحرٲکها بسرعة و عنف حتی کادت تسقط أرضا لکنه کان أسرع وأمسکها

ركضت سديم ناحيتهم تتطلع لزوجها بتعجب بينما هو يطالع جسد والدته بصدمة
ثوان وكان صراخه يعلو بكل مكان ودموعه تتفجر من مخزنها:

- ما انا وما انا

مر أسبوع كامل وانقضى الغزاء الذى كان ممتلئاً بالناس
أنت عايده منهاره بجانب ابنتها التى أصرت على أخذ والدتها والعودة لبور سعيد
بعدما تعبت بشدة لوفاة أختها الوحيدة

جاءت سناء وسامية بكيتا قليلا على والدتهما ثم عادت كل منهما لمنزلها دون العودة مرة أخرى

حضرت میاسین تساند صديقتها بمحنتها والتي لم تهناً بزواج سعيد كالجميع
لولا رفض تميم لبقت معها مدة أطول

أنهى قصى الإجراءات وتم نقله إلى بور سعيد وها هو الآن يحاول تقديم موعد زواجه من نيرة

تحاول نيرة قدر الإمكان تأجيل الزواج متخذة الحزن الذى خيم حجة
كما أنها تريد حضور ساجد لذلك تحاول التأخير حتى يخرج من حزنه

بدأ محمد يتخذ موضوع السفر على محمل الجد بينما زينب غير راضية لعلمها بمدى
رفض تميم للسفر معهما

وأخيرا حصلت رحمة على حريتها
خرجت من المشفى بفضل أسد الذى وفر لها منزلا جيدا أيضا
يعلم مدى حبها للعمل بالمقاهى والمطاعم مثلما كانت تملك واحدا قبل أن يستغل
البعض مرضها وجعلها توقع على عقد للتنازل عنه!

أراد شراء مقهى لأجلها لكنها رفضت بشدة
قبلت المنزل حتى لا تتشرد لكن العمل ستبدأ من الصفر
ستعمل بأى مقهى تجمع مالا وتبنى نفسها بنفسها
كل ما جاء سهلا ذهب هباءا ... تريد تجربة التعب بالحصول على ما تريده

كم سعد صلاح عندما علم برغبتها بالخروج!
لولا أنه كان معها بآخر يوم بالمشفى لما استطاع رؤيتها مرة أخرى
علم مكان منزلها بعدما تتبعها ... لا يعلم حقا ما به ... أحيانا يشعر به أخته الكبرى
أحيانا يشعر بها كوالدته وأحيانا ... كمحوبة!
نعم محبوبة هو مسئول عنها

ما إن علم بعملها بمقهي حتى قرر العمل هو الآخر معها بحجة الاعتماد على نفسه
لم يعارض والديه بل سعدا بعزيمة ابنهما

أسبوع كان كافيا لجعل تميم يدرك مدى تغير العلاقة بينه وبين مياسين التي لا تنفك
عن وضع الحدود بينهما وذلك لا يعجبه أبدا ... يريد احتضانها ... يريد الركض
وإثارة غضبها كما اعتاد

يريد الكثير والكثير حتى أنه فكر لوهلة أن يتزوجها ليعودا كما كانا!
سرعان ما ضحك على أفكاره البلهاء تلك!

أدركت مياسين أن كل ابتلاء ما هو إلا فرصة لاستغلالها جيدا
ومعرفة تميم لنصف الحقيقة جعلتها تشعر بالراحة وعدم الذنب
نعم هناك مسافة بينهما لكن تشعر بوجود فرصة ولو قليلة أن يكون من نصيبها يوما
ما عليها سوى الصبر وإشعاره أنها لم تعد أخته

أما بطلانا الذان لم يهنأ أى منهما يوما فكل بعالمه
ساجد مازال بقوقعة حزنه لم يخرج منها ... دائما بغرفته
حزين باكٍ شارد لا عن نفسه
يحمل ذاته الذنب ... هو السبب بقتلها ... يتمنى لو تعود وسيقبل قدميها
لكن ذلك محال!

ابتعد عن الجميع حتى تلك التي يقال عنها زوجته!
ترك عمله وكل شيء يكتفى بالشروء فقط

سديم لم تكف عن البكاء خفءا هي الأخرى ... يجب أن تُظهر قوتها أمامه لتدعمه
إن تخلص عنه الجميع ستكون هي العصا التي يرتكز عليها
فهو معشوق روحها

لا تتركه أبدا برغم عدم حديثه معها بل تجاهلها تماما إلا أنها تظل تحدثه عله يستجيب
تبقى معه طوال اليوم لا تتركه سوى لجلب الطعام من المطبخ والذي يتناوله بصعوبة
بعد إصرار منها

فتحت البراد تتطلع إليه بحسرة وجوع ... لم يتبقى سوى طبق صغير من الفول يكاد
يكفى فرد واحد

ابتلعت ريقها باشتهاء فهي لم تأكل منذ يوم كامل ... كانت تحرص على أن يتناول هو
الطعام لعلمها مدى قلته وأنه لن يكفى فردين سوى ليومين على الأكثر
لولا عدم تناوله للطعام كثيرا لما تبقى طعام لأسبوع كامل
تخجل من أن تطلب المال بل ومتيقنة بأنه ليس معه

تطلعت للطبق بتحسر وهي تلتقط آخر قطعة خبز وتتجه لغرفته بحجابها الذي لازالت
ترتيده خجلا منه

دلفت للغرفة واتجهت ناحية ذلك الجالس على الفراش يستند بذقنه على ركبتيه
ويضمهما بذراعيه ودموعه تسقط بصمت

جلست أمامه تتطلع إليه بحزن بينما هو كالعادة يتجاهل كل من حوله
وضعت الطبق بينهما واتجهت يدها لوجنتيه تمسح دموعه بلطف زامة شفيتها
كالأطفال حتى لا تبكى
أغمض عينيه ويدها الناعمة تتحرك كالأنغام على وجهه

تحدثت بنبرة حزينة:

- خلاص بقى يا ساجد ربنا يرحمها

عض شفته السفلى حتى لا يدمع ولكن لا جدوى ليحمر وجهه وينفجر بكاء
بكت هى الأخرى بشهقات متتالية واقتربت محتضنة إياه تستمع لصرخات الوجع التى
تحررت من داخله تنطلق كسيل دموعه

ربتت على شعره تارة وظهرة تارة أخرى مهدئة إياه بكلمات تطمننه
مرت دقائق طويلة وهما على حالهما حتى ابتعد عنها ببطئ يزيل بقية دموعه محاولا
التماسك

ابتسمت رغما عنها لا تريد أن تكون سببا لتذكره وجعه
أمسكت يده بحنان متممة:
- يلا عشان تاكل

وقبل أن يرفض كانت تضغط على يده ناظرة له برجاء ليتراجع عن رفضه
فدائما ما تستغل نظرتها البريئة لأجله
أمسكت الطبق وبدأت تطعمه وهو يتناول بهدوء وكل مدة تهبط دمعة شريفة فتزيلها
بحب

أنهى طعامه فتطلعت للطبق الفارغ تماما حتى الخبز لم يتبقى
فتنهدت تشعر بمعدتها تعنفها لجوعها الشديد

كان ينظر للفراش غير قادر على رفع نظراته فلا يمتلك القوة لذلك

لاحظ عدم ذهابها كما كانت تفعل دائما فتطلع إليها ليجدها تنتظر للطبق بحزن
أنزل بصره للطبق الفارغ

ثوان ولعن نفسه لغبائه فتحدث ببعض الاختناق:
- آسف أكلته كله بس فى غيره فى التلاجة هاتيه وتعالى كلى

نفت له مبتسمة بصعوبة:

- لا أنا مش جعانة

كاد يصدقها لكن صوت معدتها العنيف جعله يتطلع إليها بشك:
- طب هاتى الأكل معلش وكلى ولو لقمة بسيطة

صمتت غير قادرة على الحديث تفرك يديها بتوتر
بدأت شكوكه تتحول لتيقن فنهض لأول مرة تاركا غرفته

دلف للمطبخ وفتح البراد ليجده فارغ تمام حتى من الخضراوات والفواكه
بدأ يفتح الأدراج عله يجد أى شيء لكن كل ما وجده هو الفراغ وفقط

أغلق البراد زافرا بعنف وغضب من نفسه

الآن استطاع أن يفيق من نوبة حزنه ... الآن استطاع أن يدرك أنه مسئول عن روح
غيره

الآن فقط أدرك صحة كلامها عندما كانت تدعمه

(ساجد ... الحزن واجب علينا ... بس ده ميخليناش نوقف حياتنا وننسى نفسنا واللى
حوالينا ... إنت مسئول عن نفسك قبل ما تبقى مسئول عنى ... حزنك وعياطك
مبيعلمش حاجة غير إنك بتعذبها ... لازم تعيش ... مينفعش تموت نفسك ... ربنا لو

رايد موتك كان موتك لا قدر الله ... لكن معنى إنك لسة عايش إن لسة فى حاجات لازم تعملها ... يبقى متضيعش أيامك وتحبس نفسك فى الحزن والزلزل ... الزلزل ميدومش ... زى ما الفرع بننساه لازم الزلزل ننساه)

تنهد مرجعا شعره للخلف ... صدمة المجاعة التى أصبها بها جعلته يفيق
وضع يده بجيب بنطاله الذى لم يغيره منذ أسبوع ليجد به بعض الجنيهات فقط والتى
هى ما تبقت لديه
ترك المطبخ متجها لغرفته مرة أخرى ليجدها مازالت جالسة لكن تمسك بطنها بيديها
الصغيرتين التى أبعدتهما ما إن رآته

اقترب منها وجلس أمامها مبتسما لأول مرة ولو بحزن:
- آسف مكنتش أعرف بس ... هتصرف متقلقيش ... هجيب أكل وآجى

تحرك للخارج تاركا إياها مفكرا ماذا يفعل ... ما معه تكفى طعام زهيد الثمن ليوم
واحد فقط
وصاحب المطعم لن يعطه حق ما عمله الأيام الفائتة ولن يقبله بعمله
يحتاج لعمل جديد

جالس بحنق على الأريكة يتطلع إليها تارة بملابسها التى زادت احتشاما أمامه وذلك
يعجبه قليلا لكن أن تترك الباب مفتوحا وقت وجوده فذلك لن يتقبله أبدا
كانت تتحرك برشاقة وهى تضع الفطور على المائدة متجاهلة نظراته الحارقة التى
تضحكها كثيرا

انتهت من وضع الطعام ووقفت واضعة يدها بخصرها متطلعة إليه رافعة حاجبها ثم
للطعام تنتظر

نهض بملل يتجه للطاولة يتمنى لو يذهب لذلك الباب اللعين يغلقه

جلس على المقعد لتجلس هي الأخرى تتناول الطعام بهدوء
لعب بطبقه قليلا دون المساس به يتطلع إليها هي
لاحظت نظراته فنظرت إليه هي الأخرى عاقدة حاجبها بتساؤل

نفى برأسه مبتسما بلطافة بمعنى لا شيء لتضحك متعجبة منه
انهمكت بتناول طعامها مرة أخرى وهو يتناول الطعام وكل لحظة ينظر إليها!

أغلقت باب منزلها الجديد وهي تهنئ ثياب عملها
هبطت الدرج ووقفت على جانب الطريق منتظرة سيارة أجرى نقلها

كانت تنتظر لساعة يدها قبل أن تتوقف سيارة أمامه ... نظرت للسيارة بتعجب حتى
هبط زجاجها ليخرج رأس صلاح بمرح:
- عشة جنيه وأوصلك

انفجرت ضحكا عليها متحدثة بعدم تصديق:
- أنت إيه جابك هنا وعرفت منين مكانى وبعدين ما تروح على المطعم علطول

نفى برأسه متحدثا بدراما:

- لا لا أبدا والله ما يحصل ... تعالى تعالى أوصلك

ابتسمت بسعادة وهى تتجه لسيارته ... ركبت بهدوء ليبدأ بالقيادة يتحدثان بحماسة
عن أول يوم لهما بالعمل

قاطع حديثهما رنين هاتفه فأجاب:

- أيوة يا شريفة

تطلعت رحمة إليه ليتابع حديثه:

- لا أنا أخذت العربية انهاردة مكنتش أعرف إنه محتاجها ... طب كويس هكون أنا
رجعت متقلقيش ... تمام مع السلامة

أغلق هاتفه ونظر بجانبه فوجدها مازالت ملتفتة إليه ليتعجب:

- فى حاجة؟!!

تحدثت رحمة بهدوء:

- أختك اسمها شريفة

أوما لها بهدوء متسائلا لتتحدث بابتسامة سخرية:

- لا مفيش أصل اسمها بي فكرنى بحد كدة ... يلا بقى المهم سرع نوصل بدرى أحسن

وضع الكوب ببعض العنف على الطاولة مردفا:

- نيرة مش هينفع كدة طب نحدد حتى يوم كتب الكتاب لكن كدة مينفعش

زفرت مردفة بعصبية:

- يعنى أعملك إيه خالتى ميتة وبتتكلم فى كتب كتاب ووطى صوتك ماما نايمة تعبانة

تنهد يتحدث وهو يجز على أسنانه:

- ماشى يا نيرة تعدى الفترة دى ونحدد بإذن الله أما نشوف هتتحججلى بإيه تانى

أشارت لنفسها غير مصدقة:

- أنا بتحجج أنا

أوما بعنف مجيبا باتهام:

- أيوة بتتحججى أنا مش بقولك نكتب الكتاب بكرة أنا بقولك نحدد اليوم انشالله بعد
خمس سنين ولا عشرة لكن أبقي عارف

أومات له محاولة الهدوء:

- طيب طيب يا قصى ماما تفوق وتبقى كويسة ونبقى نحدد بإذن الله

راقب تناولها السريع للطعام الدال على مدى جوعها بألم وحزن
يعنف نفسه كثيرا ... يتضح مدى جوعها وعدم تناولها الطعام منذ فترة

أنهت طعامها لتضع يدها على بطنها متتهدة بسعادة وشبع
اتسعت شفثيه مبتسما بفرحة وفخر

فأقل شيء منه يسعدها وأقل ابتسامه منها ترضيه!

بعد مدة بسيطة كانا يجلسان على الأريكة يشاهدان التلفاز حتى عقد حاجبيه لثوان ثم التفت إليها

جفلت تستشعر بيد على حجابها لتتعجب منه فيجيب ببساطة:

- لابسـة الحجاب ليه أنا جوزك

صمتت بإحراج ليبدأ يزيل الحجاب تماما

ابتسم وهو يتطلع لشعرها الجميل اللامع بنعومته ورائحته الجميلة التي انتشرت ما إن أزال الحجاب فتحدث بشرود:

- جميل!

- ها

تساءلت ببلاهة ليرد بابتسامه ويده تتلمس شعرها:

- شعرك جميل

صمتت بخجل وتوقف هو الآخر بصعوبة عن اللعب بشعرها فكان مثل الطفل الذي رغما عنه يجب أن تؤخذ لعبته

مرت دقائق حل بها الصمت حتى محمت سديم مقررة التحدث:

- احم ساجد

التفت منصتا إليها جيدا لتتشجع أكثر:

- بص فى شخص كان بيحب جدو أبو ماما الله يرحمهم أوى

وبيعتبره مثله الأعلى ... لما أنا دخلت هندسة هو قرر إنى لازم أصممه فيلا لابنه وكدة وكان مستننى أخرج

هو أينعم مش بنتكلم كتير وكدة بس بيعزنى أوى تمام ... أنا بصراحة قبل كتب كتابنا كلمته وقتله إنى هتجوز وإنك مهندس وأنا عايزاك إنت اللى تصمم الفيلا مش أنا أهو منه شغل ليك يجيب فلوس كويسة ومنه عشان تبدأ تعملك اسم فاهمنى؟
أوما لها بمعالم جامدة لا تفسر لتتابع بتردد:

- بس وهو وافق وكدة وهو ما شاء الله غنى أوى يعنى هيبقى فى فلوس حلوة ولو الشغل عجبه ناس كتير هيطلبو منك شغل

تنهد دون التحدث ... غضب بالطبع من تصرفها دون علمه لكن ... بنفس الوقت أنقذته بل وساعدته بشكل كبير لتحقيق حلمه
أيعقل أن يستطيع الإكمال وتحقيقه ؟

ابتسم متخيلا نفسه من أشهر الأسماء بعالم المعمار والهندسة
كم سيكون جميلا ... أفاق على نظراتها المتوجسة خوفا من ردة فعله أن تكون غضب
آه كم هى بريئة! كان على حق عندما طمأن نفسه أنه لن يندم على الزواج منها أبدا

مد يده ممسكا ذراعها يجذبها لأحضانه

شهقت بفرع وخجل شديد ليقهقه بخفوت عليها ... سمعت دقات قلبه تضرب أذنها
ضربات حانية كانت كالألحان الهادئة لتغض عينيها باستمتاع وقد قرر كل منهما
تناسى ألمهما ولو لثوان معدودة

كانت ثريا جالسة على فراشها تقرأ كتاب الله لتدلف شريفة بهدوء وجلست على
الفراش منتظرة إنتهاء والدتها

بعد مدة بسيطة أغلقت كتاب الله وقبلته واطعة إياه على المنضدة الصغيرة بجانب الفراش

التفت ثريا لابنتها متحدثة بحنان:

- خير يا شريفة فى حاجة يا حبيبتي؟!!

نفت شريفة مجيبة بابتسامة:

- لا يا ماما بس بابا خرج برة فقلت أعرفك إن صلاح هيجى قبل معاد خروج بابا
فعرفى بابا ميقلقش العربية هتكون موجودة

أومات لها ثريا تتحدث بحب:

- أخوكى بقى عاجبنى أوى بصراحة يا شريفة ... بقى ينام بدرى ويصحى بدرى
ويفطر معانا زى الخلق لأ وبيعتمد على نفسه وهيشغل من غير تكبر ولا حاجة

ابتسمت شريفة بفرحة مؤيدة كلمات والدتها:

- ربنا يهديه يا ماما

- يارب يابنتى يارب

- صحيح هتبدأ شغل امتى؟

تساءلت مياسين قبل أن يخرج من المنزل ليحيب:

- هو صعب بصراحة بس أنا كلمت الواد شادى يكلم أبوه فى الموضوع ده ... يارب
أبوه يوافق يشغلنى فى الشركة ولو يدربنى لغاية ما أخرج حتى

ابتسمت مطمئنة إياه:

- متقلقش بإذن الله خير وبعدين ما إنت دايما بتقول بيعتبرك ابنه زى شادى أكيد هيوافق

- بإذن الله

قالها بتمن ويده تتجه لشعرها يبعثره فتراجعت للخلف قبل أن يفعلها متطلعة إليه بحدة

زفر بعنف وغضب من تلك القواعد والحدود اللعينة ليخرج من المنزل مغلقا الباب وراعه بعنف

تطلعت لأثره بصدمة حتى انفجرت ضحكا عليه محركة رأسها بيأس منه تريد أن تعلم ما يريد

لكن أيتها المياسين إنه لا يعرف حتى فكيف تعرفين انت؟!!

أشرقت الشمس صباح يوم جديد وها هما يقفان عند البوابة لذلك القصر الضخم

كان ساجد يتطلع للقصر بذهول من فخامته يتساءل هل يأتى اليوم الذى يمتلك مثله؟
شعر بهزة خفيفة باليد التى يحتضنها بيده الدافئة فالتفت لسديم وجدها تنظر أمامها
بابتسامة لطيفة

تطلع لأمامه لتجحظ عيناه مما رآه

شاب بعمره تقريبا بل أكبر بقليل يخرج من الباب يتجه إليها بهالة وجاذبية يغلفهما
بابتسامته الرائعة

عندما ذكرت جدها ظنت أن الرجل بعمر جدها أو على الأقل بعمر والدها
لكن أن يكون بعمره هو ... فكيف يقبل هذا؟!

بدأ يتنفس بعنف شاعرا بالاحتراق والغضب داخله لا يعلم سببه

ضغط بعنف على يدها فتأوهت بألم وتعجب ليتحدث بعصبية خافتة:

- هو ده؟! وده إزاي مخلف؟! وابن إيه اللي يبنيه فيلا؟!

- هو اتجوز وهو صغير أوى وابنه خالد ٥ سنين بس هو عايز يبني فيلا ليه للزمن
وكدة

حرك رأسه بغضب لتفضل الصمت فوجهه لا يبشر بالسؤال عن سبب غضبه

اقترب الشاب ووقف أمامهم مبتسما بفرحة شديدة:

- سديم ... آاا عاملة إيه؟ كويسة؟ أصلك اختفيتى الفترة اللي فاتت وكدة يعنى ف ...
فقلقت عليكى

نفت برأسها مطمئنة إياه:

- متقلقش كويسة كانت شوية حاجات واتحلت الحمد لله

- الحمد لله

ردد بفرحة متجاهلا ذلك الذى يشتعل مكانه يشعر بالبخار سيخرج من أنفه وأذنيه
قريبا

اشتدت قبضته على يدها لتتن بوجع وجذبها ناحيته حتى أصبحت تكاد تلتصق به
مد يده الأخرى الحرة لذلك الذى تحولت نظراته الفرحة لعدم رضى:

- أهلا

صافحه معتر بضيق متمتما:

- أهلا

سرعان ما أزال يده معاودا الحديث بحماس مع تلك التى بدأت تشعر بالتوتر:
- صحيح يا سديم عاملة إيه فى كليتك وات... اتجوزتى إزاي وامتى؟!

ابتلعت ريقها تشعر بالاختناق ليتحدث ساجد بصرامة:
- إيه رأيك نشوف شغلنا يا أستاذ معتز

أوماً معتز له بحق وهو يتبادل النظرات بينهما
قادهما للداخل وساجد يتحرك ملاصقا لزوجته الخجلة

استيقظ على صوت والدته الحنون لينهض تميم جالسا على الفراش بكسل:
- أيوة يا ماما

ربتت زينب على ذراعه متحدثة بحنان:
- الحمد لله يا حبيبى أبوك خلاص قرب يلاقى سفر تبع شغله وهياخدنى معاه والحمد لله معاه فلوس لتذكرة تعالى معانا

تنهد تميم مجيبا بشكل قاطع وهو يعاود للنوم:
- لا يا ماما أنا هفضل هنا
زفرت والدته بغف وحزن لتنهض من مكانها بعد يأسها من موافقته

استعدا للعمل وقبل دخولهما المطعم تحدث صلاح بتوتر:

- احم بقولك ... تخرجى معايا انهاردة بالليل

بعدما كانت تعدل القبعة على رأسها سكنت حركتها تنتظر إليه بتعجب:

- إيه؟! لا طبعا مش هينفع

ابتسم بأسف واحراج لتضحك بخفوت عليه

اتجهت للداخل صارخة به:

- يلا بسرعة مش هناخد خصم من تانى يوم احنا

تحرك خلفها مبتسما عليها ليبدأ يوما آخر من العمل

كانت ثريا تضع الطعام حتى تساعل عاصم:

- هي مياسين مكلتكيش

نفت ثريا وغامت عيناها بالحزن:

- لا وقلقانة عليها أوى ... اللى مطمئنى بس إن الدنيا هادية وتميم مسمعنش عنه

حاجة ما إنت عارف متعلقين ببعضهم قد إيه لو لا قدر الله حصل حاجة كنا عرفنا

أوما لها عاصم مجيبا:

- اممم أصلها مختفية مبنسمعش عنها يعنى وصلاح معدش بيروح هناك

جلست ثريا متحدثة بحماس وفرحة:

- صلاح ربنا يكرمه بيشتغل ببيجى يا حبة عينى مهدود حيله فياكل وينام علطول

ابتسم عاصم بفخر هو الآخر لابنه بينما أنهت شريفة طعامها ونهضت ذاهبة لجامعتها

أنهيا الحديث وقد اتفقا على كل شيء ... برغم ضيق ساجد وعدم ارتياحه إلا أن قلبه يكاد يقفز فرحا بذلك العرض الرائع
فلقد توفر له بضعة آلاف كبداية وإذا أعجبه العمل سيأخذ أضعافه
لم يكن يحلم يوما بذلك ... تلك السديم كانت وستظل تميمة دعمه أكثر من حظه

ما إن أنهيا الحديث حتى نهض ساجد ليغادر مسرعا من ذلك المكان الذى لا يريحه أبدا
نهضت سديم هى الأخرى تاركة خالد الذى كان بأحضانها فبرغم الزيارات القليلة جدا بالماضى إلا أنه لم ينسها

تحدث خالد ببراءة:

- ماما هتيجى تانى صح؟
- اتسعت عينا ساجد ومعالم الصدمة على وجهه
- أيوة طبعا يا روى هاجى تانى بإذن الله

تحدث معتز بنبرة تتقافز فرحا:

- أيوة فعلا يا سديم تعالى مع ساجد هو يشتغل على الأرض اللي جنب القصر وإنتى اقعدى هنا على ما يخلص

أومأت له بابتسامة لجذبها ساجد مسرعا خارجا من القصر دون سلام حتى
تطلع معتز لأثره بضيق متمتما:

- همجى

خرجنا من القصر دون الالتفات كما كان مخططا لقطعة الأرض الملاصقة للقصر والتي
سيبنى المنزل عليها

فكل ما يشغل باله الآن تلك التي تتحرك بجانبه بتعثر:

- ساجد آه براحة هقع

توقف للحظات يتنفس بعمق معبرا عن غضبه:

- إزاي متقوليليش إنه قدى؟ وابنه ليه يقولك يا ماما؟ وهو بيتكلم معاكى كدة ليه؟

تراجعت سديم للخلف قليلا خائفة من انفجاره لتجيب بخفوت:

- كانت فى زيارات زمان وابنه حبنى وكان عايز يقولى يا ماما وأنا وافقت وأساسا أى
بنوتة بيحبها بيقولها ماما مش أنا بس

ومعتر بيتكلم معايا عادى هو بالنهاية كان تلميذ جدى وبيعزنا

تنهد محاولا الهدوء ليمسك يدها مكمل طريقه للخارج:

- طيب كلمة بيعزنا دى متقوليهاش تانى ... واسمه أبو خالد مش معتر فاهمة؟

التفتت إليه بتعجب من كلماته الحارقة حتى ابتسمت رغما عنها ببطى

أیغار عليها أم أنها تتخيل؟!

بينما هو يتحرك وبداخله نار تكفى لحرق العالم ... لا يعلم مابه لكن ذلك الحقير يتطلع
لها بإعجاب ... لن يخطئ نظراته أبدا

تنهد محاولا الهدوء ليستطيع التركيز بعمله قليلا ووضع يده على جيبه يستشعر ذلك
المال الذى أخذه كمقدمة لعمله

كالعادة يفكر بعلاقتهما ... كالعادة يشعر أنها ليست نصفه الآخر ... أو هي من لا تريد أن تكون!

دائما بعيدة عنه شاردة تقتصر معه الكلام
نيرة فتاة جميلة لكن ليست ما يتمناه ... يستشعر أنها دائما تحاول الابتعاد عنه

ماذا يفعل؟ لقد تقدم في السن لا يستطيع المخاطرة وتركها ... من الفتاة التي بريعان
شبابها ستقبل بمن هو بأواخر الثلاثينات
تنهد طاردا تلك الأفكار كما اعتاد ... لا مجال للتفكير حتى

غفل لمدة بسيطة واستيقظ مرة أخرى
اعتدل جالسا بملل على فراشه ... أصبحت الحياة مملة وتقليدية ببعدها

التقط الهاتف مبتسما وهو يرى اسمها فضغط متصلا بها
وضع الهاتف على أذنه منتظرا ردها

مرت ثوان طويلة وهو جالس يحترق حتى أجابت بصوت ناعم ينافى كلماتها:
- إيبيه إيش حال لو مكنتش عارف إني باندا في نومي ... بتتصل دلوقتي ليه؟

ضحك عليها متمددا على الفراش يتحدث بخفوت:
- معلى يا سيادة الأميرة عارف إنك بتسهرى كتير لمشاغللك العظيمة ... قومي يا بت فوقى

نهضت مياسين جالسة على الفراش متحدثة بنعاس:

- إيه عايز إيه؟

تحدث بابتسامة فرحة:

- امبارح بالليل شادى كلمنى أبوه وافق يدربنى فى شركته وهيدبنى مبلغ هو مش كبير أوى بس كويس بصراحة وكمان هظبط مواعيد الشغل عشان كليتى وهو مش هيضغط عليا أوى

اتسعت عيناها وقد فاقت تماما لتضحك بسعادة عارمة:

- مبروك مبروك يا حبيبى

فلتت دقة ثائرة من قلبه بينما هى احمرت وجنتها خجلا ... (حبيبى) تلك الكلمة لطالما كانت تطلقها عليه بمرح لكن الآن تشعر بشيء مختلف ... تشعر بالخجل من ذلك ... تشعر بعدم أحقيتها لقولها الآن

ابتلع ريقه هو الآخر مبتسما بحنان:

- الله يبارك فيكى ... آه صحيح الفلوس مكفياكى لو مش مكفياكى عرفينى أبعثلك زيادة

ابتسمت بحب متتهدة بخفوت:

- متقلقش والله مكفياكى وبزيادة كمان لو احتجت هطلب مش هتكسف منك يعنى

ضحك من كل قلبه عليها متمتما:

- بجحة طول عمرك

- نعم!

أردفتها بحدة ليتقهقر متحدثا بابتسامة مصطنعة:

- بجعة قصدى بجعة بيضة طول عمرك ... المهم هتروحي الكلية إمتى لازم تروحي إنتى غايبة بقالك كتير

تنفست بعمق موافقة إياه لتتحدث بخضوع:

- حاضر والله إن شاء الله هنتظم خلاص وأحضر

ابتسم وقلبه يقفز فرحا:

- شطووورة

ضحكت عليه لثوان حتى انقلب وجهها متحدثة بصرامة مصطنعة:

- إنت هتصاحبنى ولا إيه يلا يلا عايزة أنام

تنهد متمتما بأسف فرغما عنه سينهى الكلام:

- ماشى ... سلام

- سلام

أغلق الهاتف وألقاه بجانبه على الفراش ليتبعه بجسده

دلفت نيرة لغرفة والدتها التى تقرأ القرآن عازمة على ختامه لأجل أختها

جلست نيرة أمامها لتبدأ الحديث بتوتر:

- ماما قصى عمال يزن عليا عايز نحدد كتب الكتاب

أغلقت عايدة القرآن لتتحدث بنفس عميق يحمل حزنا أعمق:
- وهو مفيش إحساس ولا أصول أختى لسة ميتة ربنا يرحمها وأروح أعدد كتب كتاب
... روى روى يا نيرة متعصبينش أنا فيا اللى مكفينى
حاولت نيرة الحديث مرة أخرى لكن عودة والدتها للقراءة مرة أخرى أنهى أى فرصة
للحديث

قدمت الأطباق متجاهلة نظرات الإعجاب من صاحب الطاولة
وضعت الأطباق وعادت للمطبخ لتتناول غيرها
جاءت تفتح الباب لتجد صلاح واقف أمامها يتطلع إليها ثم لتلك الطاولة بضيق
رفعت حاجبها متسائلة عن حنقه ليتحدث بغضب:
- خليكى إنتى فى المطبخ متطلعيش ظبطى الطلبات وأنا هاخذها

عقدت حاجبها متحدثة بذكاء وجرأة:
- اممم دى غيرة دى ولا إيه؟!

احمر وجهه يتمتم بتوتر:
- ها ... لا طبعا غيرة إيه؟ وهغير من مين أصلا؟
- اممم طيب أنا فى المطبخ
تركته وابتسامه على شفيتها فذلك المراهق يغار عليها!
حقا شيء لا يصدق!

تطلع لأثرها بتعجب أحقا يشعر بالغيرة أم مجرد مسؤولية؟!!

عادا لمنزلهما وما إن جلسا ليرتاحا حتى بدأ باستجوابها:

- معتر ده تعرفيه من إمتى؟

جفلت من سؤاله المفاجئ لتجيب ببساطة:

- هو كان يعرف جدو وكان ببيجي كتير وأنا صغيرة بس لما كبرت زياراته قلت شوية لغاية ما اتجوز وهو صغير كان فى سننى تقريبا وبعد ما زوجته اتوفت رجع يزورنا تانى

تتطلع إليها ببعض الضيق:

- اممم طيب ... إنتى مش هتيجى معايا هناك تانى

اتسعت عيناها ذهولا متحدثة باندفاع:

- بس إنت وافقت لما معتر قالك تجيبنى

اقترب بوجهه منها متحدثا بغضب وعنف:

- ميبين؟

تراجعت للخلف بخوف متحدثة بتصحيح:

- آا أبو خالد أبو خالد

تراجع هو الآخر محركا رأسه برضى ثم قال:
- أنا مش وافقت أنا بس نهيت الموضوع تفرق كثير

تنهدت متطلعة إليه برجاء:

- ساجد بالله عليك هتسيبنى هنا لوحدى ... وبعدين مع... أبو خالد بيبقى مش فى البيت فى الفترة اللى هكون فيها هناك ... أنا ملانة هقعد مع خالد لغاية ما تخلص ونروح

تحدث بنفى قاطع وعنف:

- لا ... هو آخر كلام هتقعدى هنا تستننى لغاية ما أخلص وآجى

دمعت عيناها وتطلعت إليه ببراءة ليهتز قلبه ويشعر بالتوتر فتحدثت باختناق:
- بس أنا خايفة هتسيبنى هنا لوحدى افرض حصل حاجة زى ... زى قبل كدة

عقد حاجبيه بصدمة ... كيف لم يفكر بذلك ... بالطبع لن يتركها هنا وحدها
سيظل قلبه مشغول بها خوفا عليها

مر بعض الوقت تطالع وجهه ببراءة وانتظار حتى تنهد متحدثا:
- طيب ماشى هاخذك

صفت بيديها الصغيرتين ضاحكة بطفولة فرحة ليبتسم بحنان وسعادة عليها
سرعان ما أضاف ببعض الحزم:

- بس لو غاب فى يوم عن شغله هتبقى معايا أنا مش هتقعدى فى بيته ومفيش أى اتصالات بيه ولو رن مترديش وتعرفينى فاهمة

أومات بسرعة وسعادة ... مرت دقائق بسيطة حتى تذكرت شيئا هاما
نهضت متجهة لغرفتهما وغابت قليلا حتى عادت ومعها حقيبة كبيرة

وضعت الحقيبة أمامه تتحدث بحماس:

- الشنطة دى فيها كل حاجة إنت محتاجها خاصة فى التصميم ... أنا كنت شريها بس
مش هستعملها بقى خلاص خدّها هتساعدك كتير خالص وأهو بدل ما نضيع الفلوس
فى شرا غيرهم

تبادل النظرات بينها تارة وبين الحقيبة تارة حتى أخذها بعنف يحتضنها بتملك!
أغمضت عينيها مبتسمة براحة تستمع لكلماته الخائفة:
- تفكرى هنجح؟!

أبعدت رأسها قليلا تتطلع إليه بحب وخجل:
- بعشقك

وكان ذلك كافيا لجعل الثقة تعود إليه مرة أخرى!
قبل جبينها وظلت شفّتيه ملتصقة بها لفترة طويلة حتى ابتعد

اقترب مرة أخرى ببطئ مقررا جعلها زوجته ... يكفى بعد ... يكفى عذاب لها ...
تعانقت أنفاسهما سرعان ما ابتعد مرة أخرى

لا يعلم لم ابتعد؟!

قد يكون لرغبته ببناء نفسه أولا حتى لا يشعر بالذنب تجاهها

قد يكون يريد لها أن تكون زوجة له وهو غنى معروف فهذا أقل شيء تستحقه
وقد يكون ... عادت نيرة لمخيلته مرة أخرى ويتمنى ألا يكون ذلك هو السبب

تنهد مرة أخرى متحدثا بحنان:
- أنا هخرج أجيب مخزون أكل

تحدثت بحماس ممزوج برجاء:
- آجى معاك

أوما لها موافقا لتبتسم بفرحة فيسعد قلبه كالعادة!

كان جالسا على مقعده الضخم يتناول ما بالكأس:
- ها وصلتوا لحد من عيلته

أجاب مساعده بنفى:

- للأسف يا باشا بعد ما الراجل اتقتل من البوليس وعيلته مختفية ... يا متراقبين من
البوليس يا عايزين يبعدو عن طريق ابنهم ... أنا بقول نركز فى شغلنا ونسيب آنسة
سديم دلوقتى

همهم مصطفى محاولا الهدوء ليتحدث مساعده:

- امم معاك حق يا إسلام أنا كدة ولا هركز فى شغلى ولا فيها ... من بكرة نرجع
السوق

ابتسم إسلام بأمل متمتما:

- أخيرا يا باشا

يتقلب على فراشه ... نظرات ذلك الزبون لم تعجبه ... لا تنفك طريقة تطلعه لرحمة
عن مطاردته

زفر بعنف وتطلع بجانبه حيث هاتفه ... مرت دقائق شاردا يفكر بها حتى قرر
مهاافتها

نهض وأمسك هاتفه يتصل بها

لحظات وجاءه الرد:

- أيوة يا صلاح

قالتها رحمة بتعجب من اتصاله بها ليلا ليتحدث متوترا:

- آآ إزيك

رفعت حاجبها وتعجبها يزداد لتتحدث بعدم تصديق:

- أكيد مش متصل تتظمن عليا يعنى

حمم مجيبا وإرتباكاه يزداد:

- بصراحة كنت حابب نخرج بكرة بعد الشغل

قهقهت باستمتاع قائلة بمكر:

- اممم بس أنا قلتك مينفعش

تحدث بإندفاع وحماس:

- مش هنتأخر والله نقعد فى أى مكان هادى نتكلم شوية وبس

همهمت له متتهدة بيأس:

- طيب يا صلاح ييجى بكرة بإذن الله ونشوف ... ها حاجة تانية

نفى متحدثة وقلبه ينبض فرحا:

- لا لا مفيش ... تصبى على خير

- وإنت من أهله

أغلقا ليرقص وهو جالس فرحا محركا جسده بشكل مضحك

بينما على الجانب الآخر ضمت رحمة الهاتف لصدرها تتنهد بهدوء شاردة

تشعر ببعض البعثرة والاضطراب !

كانا بالمطبخ يضعان مخزون الطعام كل بمكانه وهو يساعدها

يتحدثان بأمور عديدة كل منهما يحاول اكتشاف الآخر أكثر وأكثر خاصة هو

ناولها ساجد الحقايب البلاستيكية الحاوية للمعرونة يتحدث بحماس:

- يااه ده إنتى كنتى بريئة أوى

قهقهت بخفوت وإحراج:

- اسمها هبله مش بريئة ... البريئة بيحبوها لكن الهبله بيستعبطوها

نفى بشكل قاطع هامسا بابتسامة:

- لأ بريئة عشان إنتى فعلا ... تتحبى

تطلعت إليه لثوان لتشرد به وتتحدث دون دراية من عقلها:

- يعنى فى أمل تحبنى!

ابتلع ريقه بإحراج وتوتر حتى هو لا يعلم الإجابة بل لا يعلم أى شيء إطلاقا

أفاقت مدركة ما نطقته لتجحظ عيناها وتحمر خجلا

التفت مسرعة تحاول وضع الحقائق بمكان عال بالمطبخ لكن لم تستطع

ضحك بخفوت لقصر قامتها واقترب منها يساعدها

ما إن شعرت باقترابه حتى قفزت كالأرنب فاستطاعت وضع الأشياء

التفتت ببطئ لذلك المتسع العينين بذهول تتطلع إليه ببراعة

ثوان وانفجر ضحكا عليها لتضحك هى أيضا بارتباك

همهمت له مرة أخرى دون حديث ليتحدث بحزن:

- طيب هسيبك بقى شكلك مشغولة ... سلام

- سلام

أغلق الهاتف ينظر إليه بحسرة ثم خرج للمطبخ يتناول أى شيء خفيف لينام فعدا يوم شاق من الدراسة والعمل

طرقت الباب فأذن أخوها بالدخول

دلفت بهدوء تجلس بجانبه متحدثه بحزن:

- بجد يا صلاح متعرفش مياسين فين غريبة يعنى كنت دايمًا بتروحلهم وترجع تتكلم ... معنتش بتروح زى الأول

تنهد صلاح مجيبًا ببساطة:

- عادى الموضوع معدش يهمنى بصراحة كانت فترة وعدت وبعدين متقلقيش لو حصل حاجة كنا عرفنا تلاقيها مسافرة ولا حاجة

أومات له بأسف ليتحدث بابتسامة:

- المهم خلى بالك إنتى من كليتك وذاكرى كويس

- متقلقش بإذن الله أجيب تقدير حلو

ربت على وجنتها بحنان فتحدثت مبتسمة:

- أسيبك بقى تنام تصبح على خير

- وإنتى من أهله

تركته متجهة لغرفتها بينما أغمض صلاح عينيه مفكرا بها تلك الرحمة!

تطلع ساجد لظهرها وهى نائمة بجانبه لتتحرك يده لشعرها يتلمسه معجبا بانسيابه
ونعومته

تنهد متحدثا بصوت خافت:

- فى أمل ... صدقيني فى أمل أحبك ... زى ما قدرتى تخلىنى مفكرش فى نيرة لفترة
طويلة هتقدرى تخلىنى أحبك

كانت تستمع إليه مبتسمة بشدة وهيام تدعو بداخلها أن يتحقق حديثه

ظلت يده على رأسها وأغمض عينيه لينام غير واع لتلك التى سلب قلبها للمرة التى لا
تعلم عددها

أشرقت الشمس معلنة يوم جديد بأحداث أخرى

وقفا أمام القصر وقلبه حانق قبله هو شخصا ... لا يعلم لما يكره ذلك ... برغم أنه
فى سبيله لتحقيق حلمه إلا أن ذلك المعتز يعكر صفوه

قبض على يدها بعنف كمن يعلن صك ملكيته!

اتجه بها للداخل وقبل أن يطرق الباب وجده يفتح بعنف ومعتز واقف بحماس أمامهم:

- سديم إزيك عاملة إيه ... ههههه طول عمرك منتظمة فى مواعيدك

توترت ملامحها خاصة بعدما رأت عروق يده النافرة وهو يقربها منه أكثر وأكثر
وتنفسه يعلو

يشعر بالحرقة والوجع داخله فتحدث بنفاذ صبر وعنف:

- إنت مش قلت بتروح شغلك بدرى شايفك مش لابس هدوم شغل يعنى

رفع معتز حاجبه باستنكار يتطلع لتلك المتوترة:

- اممم عادى قلت آخذ راحة انهاردة فيها حاجة

زفر ساجد بعنف متحدثا:

- طيب ياريت تورينى الأرض أعاينها وأصورها عشان نخلص

همهم معتز باستفزاز متجاهلا كلماته يوجه حديثه لسديم الصامتة كما أمرها ساجد قبل
ذهابهما للقصر:

- ادخلى يا سديم متفضليش واقفة كدة ... تتعبى

أنهى جملة بمكر مغيظا ذلك الثائر غضبا يكاد ينقض عليه ضربا

هزت سديم يد ساجد قليلا ليفيق من تخیلاته بقتل هذا الحقير

تحرك للداخل مع زوجته وهو يدفع معتز بعيدا عن طريق سديم لتخجل من فعلته بينما
تطلع معتز لأثره بتوعد

دلفا للداخل وجلسوا على الأريكة بهدوء مناف للاشتغال بداخل كل منهما

ثوان وجاء خالد ركضا صارخا:

- ماما جت ماما جت هيبه

نهضت سديم بسرعة وسعادة محتضنة إياه ثم جلست وهو بأحضانها ليستنكر ساجد فعلتها

تطلع معتز إليهما بحنان قائلا:

- ربنا يخليكم لبعض

أجاب ساجد سريعا بغضب:

- مش هنشوف شغلنا ولا إيه؟

تجاهله معتز كالعادة متحدثا لسديم التى لم يعجبها تعامله مع معشوقها:

- عارفة يا سديم برغم إن خالد بيقول لأى ست ماما إلا أنه بيقولهاك من قلبه أصله ... بيحبك أوى

بدأ ساجد يحرك قدمه محاولا الهدوء بينما اكتفت سديم بالابتسام فقط

حسنا فلينهى تلك المهزلة

تقدم للأمام بجسده قليلا مردفا بعنف:

- بص يا أستاذ معتز لو هتفضل فى البيت عرفنى عشان أسيب مرارا فى بييتى

عقد معتز حاجبيه متحدثا بغضب:

- تسببها إزاي لوحدها فى المنطقة دى

زفر عدة مرات ليكمل ببعض الهدوء:

- متقلقش كدة كدة أنا فى الشغل ولو مروحتش هبقى معاك برة فى الأرض مش هدخل القصر طول ما هى فيه

أوما ساجد له وهو ينهض باستعجال:

- طب ياريت تورينى الأرض كويس وتشرحلى عايز إيه عشان نخلص بسرعة

نهض معتز هو الآخر يسير بكبرياء بعدما ابتسم لسديم التى تلاعب خالد وقد انشغلت عنهما

لاحظ ساجد نظرتة فجز على أسنانه يكاد يتكسرون من شدة غيظه

استيقظ صلاح بنشاط منذ فترة طويلة يضع أجمل ما يملك من العطور وقد حرص على انتقاء ملابس راقية جميلة ووضعها بالسيارة ليغير بالمطعم قبل ذهابه معها للخارج فلقد انتظر خروجتهما منذ مدة بشوق عارم

أفاق على جلوسها بجانبه بالسيارة وابتسامة مشرقة على وجهها ليجيب بحماس:
- ها مستعدة للخروجة بعد الشغل يعنى

حركت رأسها بعدم تصديق وذهول:

- ههههه طب آخذ نفسى طيب

عقد حاجبيه وضيق عينيه بحنق:

- إنتى وافقتى إمبراح

ابتسمت على تصرفاته تجيب مراوغة إياه:

- مع إنك مأخذتش الأوكى منى بس ماشى نشفق عليك المرة دى بس

- ها ها ها

ضحك بحنق على كلماتها لتبادلله الضحكات بسماجة

خرجت ضحكة غير مصدقة منه ومن أفعاله الجديدة عليه لتبتسم عليه

أغلقت باب الشقة تلتفت لذلك الواقف أمام الباب منذ وصل رافضا الدخول:

- يابنى ما كنت تدخل عجبك وقفك دى

قالتها مياسين باحتجاج ليتحدث باتهام وضيق:

- ما هى مش فارقة أدخل وتفتحى الباب ولا أفضل برة وتفتحى الباب

صمتت دون التعقيب على حديثه مبتسمة بخفاء عليه

وقفا بالطريق حتى أوقف تميم سيارة أجرة يتجهان للجامعة

أيقظت ثريا ابنتها التى تأخرت على الجامعة

ارتدت شريفة ملابسها بعجلة وخرجت تأكل القليل من الطعام بسرعة حتى توقفت على كلمات والدها الحادة:

- شريفة أنا لحد الآن مجبرتكيش على عريس وآخر واحد رفضته لكن من انهاردة أنا عارف مصلحتك كويس ولو حد مناسب اتقدملك هوافق مش ناقصين لعب عيال احنا

ابتلعت باقى الطعام بصعوبة مجيبة بصوت خافت:

- بس يا بابا أنا لسة صغيرة على المسئولية وعايضة أخرج بتقدير كويس وأشتغل

أجاب الوالد بما لا يحتمل الجدل:

- أنا قتلتك كلمتى بلا شغل بلا هبل الست ملهاش غير بيت جوزها

أومات له تاركة الطعام متجهة للخارج دون سلام بينما تطلعت ثريا لأثرها بحزن على تحكم عاصم بهم جميعا

كانا يسيران وصديقات مياسين يرحبن بها وتقابلهن بابتسامة

انتهى التجمع فزفر تميم براحة:

- ياه أخيرا إيه الخنقة دى

ضحكت مياسين عليه مدافعة عن صديقاتها:

- زمايلى بيرحبوا بيا الله

- يرحبوا حد اتكلم

اعترض طريقهما ذلك السمج طارق وهو يتحدث بحماس وإعجاب:

- مياسين وحشتينى غبتى عننا كثير ليه

قبل أن تتفوه بكلمة كان تميم يقبض على ياقة قميصه متحدثا بغضب:

- احترم نفسك يلا إيه وحشتينى دى

ابتلع طارق ريقه بخوف متمتما بتوتر:

- أنا مش قصدى كنت بس كنت ..

قاطعه تميم بحدة:

- إنت لسة هتأتالى متكلمهاش تانى فااهم

أوما طارق وقد تعرق خوفا وهرب ركضا ما إن تركه تميم

تطلعت مياسين إليه بتعجب وذهول متحدثة:

- مالك فى إيه؟!

التفت إليها بعنف جازا على أسنانه:

- إيه اللى فى إيه أسيبه يعاكسك ويقل أدبه يعنى

عقدت حاجبيها مجيبة بصدمة:

- طب ما هو عملها كثير وكنت بتكتفى تجرحه بالكلام وتحذره ... أول مرة تمد إيدك ... إيه اللى اتغير

زفر تميم بعنف وفتح فمه ليتحدث حتى صمت فجأة مفكرا بكلماتها

على حق هي ... ماذا تغير؟! لطالما اكتفى باحراجہ
لكن طارق قد زودها اليوم بكلماته
نعم ذاك هو السبب

كانا واقفين بمنتصف قطعة الأرض الضخمة المجاورة للقصر ومعتز يشرح بجدية ما
يريده بينما ساجد يحاول طرد أفكاره بقتله!

انتهى معتز من الشرح والتفت لساجد متحدثا بسخرية منه:
- إيه فهمت يا هندسة ولا أعيد تانى

قهقهه ساجد بتصنع يبحث بداخله عن كلمات تجرحه لكن لم يجد
سمعوا صوت خطوات تقترب منهم فالتفت الشابان ليجدا سديم تقترب بخطوات خجلة
وخالد يسحبها وراءه صارخا بحماس:
- بابا أنا جبت سديم أفرجها على الأرض

اقترب معتز ببطئى وابتسامة:
- طبعا شرف كبير سمو الأميرة سديم تشوف الأرض

تضايقت سديم من حديثه وقبل أن يصل معتز إليها كان ساجد قد وصل أولا وأخذها
بعنف من يد خالد متحدثا بجمود:
- أظن إنت شرحت خلاص اللى عايزه سيبنى أسبوع أظبط كل حاجة ونبتدى الشغل

همهم معتز يكاد ينفجر غيظا:

- اممم بس أنا عايزك تيجى كل يوم تورينى جزء من شغلك

هنا ولم يستطع التحمل لينفجر غضبا:

- إنت ليك الشغل يعجبك وبس

رفع معتز حاجبه بملامح حادة وكاد يستهزئ به لكن تذكر وجود سديم معه

لن يكون سببا بشعورها بالمهانة أبدا!

قرر الصمت لأجلها هى ... وهى فقط!

أخذها ساجد وخرج من القصر ملامحه لا تبشر بالخير

ابتسم قصى بفرحة عارمة:

- ياه أخيرا حددنا يوم كتب الكتاب

تنهدت عايدة مجيبة بجمود ومازال عليها أثر الحزن والبكاء على أختها:

- كتب الكتاب اتحدد بعد أسبوع عشان كلام الناس بس لكن الفرحة براحتنا فيه

أوما قصى وفرحته قد أنسته حزنها فتابعته عايدة بتعب:

- أنا مش قادرة أسافر وأعزم هتروحوا إنتو تعزموا قرايينا بكرة و ... ساجد ابن
الغالية

قالتها بصرامة لتتوتر ملامح نيرة ولم تجد مفرا سوى الموافقة

عادا للمنزل فدفعها ببعض العنف للداخل حتى كادت تسقط
أغلق الباب واتجه للأريكة يجلس عليها بغضب
لاحظت تشنجه واحمرار وجهه فاقتربت ببطئ وخوف حتى جلست بجانبه تحرك يدها
على ظهره عله يهدأ
تعلم لما غضب ولديه كل الحق بذلك

تنفس عدة مرات عله يهدأ حتى تحدث بحدة:
- ممكن أعرف إيه العلاقة بينكم وإزاي معتر الكلب ده يتكلم معاكى كدة
أنهى كلماته صارخا يتذكر تغذله بها ليشتعل غضبا وشعور آخر جديد عليه!

ملست على ظهره ويدها الأخرى احتوت يديه المعقودتين تجيب برجاء:
- والله ما فى حاجة بس أنا آسفة عارفة إنه زودها بس أنا مش رديت عليه والله

تبعث جملتها بحماس وابتسامة عله يهدأ ليجيب بداخله بتهيدة:
(المشكلة إنك مش رديتى ولا عملتى حاجة غلط ... ومع ذلك حاسس بحرقان جوايا)

أفاق على هزتها الخفيفة ونظرتها الراجية ليتحدث ببعض الهدوء:

- سديم ... حاولى تبعدى عنه نيته مش خير أنا راجل زيه وعارف لولا خوفى عليكى من المنطقة الزبالة دى كنت سيبتك هنا

أومات له بسرعة ولهفة ليبتسم ببطئ
أغمض عينيه ليريح رأسه قليلا الذى تآكل اشتعالا من كلمات معتز ذاك
حتى فتحهما مرة أخرى يتحدث بحماس:
- إيه رأيك نخرج بكرة نتغدى برة فى مطعم كويس لسة فاتح قريب من هنا

نفت مستكرة حديثه:
- لا طبعا إنت مش هتضيع شوية الفلوس اللى أخذتها لازم تحافظ عليها لزينة وماله
أكل البيت يعنى

شرد بها لدقائق معدودة لا يصدق أحقا يوجد من هو مثلها بهذا الكون
لا... لا يوجد ... إنها سديم واحدة فقط ... سديم خاصته!

حركت كفها أمام وجهه ليفيق متحدثا بحنان وبعض الحب!
- متقلقيش مظبط أمورى

تطلعت إليه بشك ليومئ لها مؤكدا حديثه حتى حركت كتفها مستسلمة لحديثه
ابتسم بشدة عليها وبدأت عيناه تلمع فضافت عيناه من نظرتة الجديدة تلك!

يجلس أمام صديقه شادى بشركة والده لكنه شارد بها بعدما أوصلها لشقتها ...
كلماتها اليوم جعلت عيناه ترى أشياء لم يكن يدركها
معها حق ... ماذا تغير؟ لما أصبحت أفعاله مبالغ بها؟!!

أفاق على كلمات صديقه الهادئة بعدما قص عليه كل شيء:

- بص يا تميم شعورك ده طبيعى جدا للى جواك ... إنت كنت قريب منها جدا لكن إنها
أختك ده كان بيمنع أى حاجة تانية فى دماغك ... وللأسف إنت مش قادر تحافظ على
تفكير عقلك إنها أختك ... عشان كدة أقل قرب منك دايمًا عقلك بيفكرك إنها مش أختك
... فتصرفاتك بتضطرب وتتغير ... الموضوع مش محتاج غير حاجة واحدة بس ...
إنك ترجع أخوها ... كل أما عقلك يفكرك إنها مش أختك لأ أقف ضده وقوله هى أختى
... فاهمنى

نفى تميم بغباء وبراعة ليضحك شادى عليه:

- بص ملخصا لده كله اطرده الأفكار الهبلية دى من دماغك تمام

أوما له مبتسما بأسف لا يعلم علام ليضيف شادى بسرعة:

- يلا بقى قبل ما بابا يقفشنا ويطرده من أول يوم

ضحك تميم وهو يلتفت تاركا شادى ليرى عمله وقبل أن يتركه تماما أردف شادى:

- صحيح اللى هيساعدك أكثر تعرفها بلينا

شرد تميم قليلا حتى أوما له بهدوء وسكينة

- إيه يا محمد إزاي متقوليش؟!!

تحدث محمد بعجل:

- حلى عن سمايا يا زينب احمدي ربنا إني لحقت ... ال*** قال للمدير إني رافض
أسافر عشان يسافر هو لولا المدير كلمنى انهاردة كانت السفرية راحت

ابتلعت غصتها بحزن وبكاء:

- يعنى هنسافر بكرة! طب وتميم؟!!

زفر محمد يضيق مجيبا:

- كلميه انهاردة رضى ماشى مرضاش يبقى خلاص

أومأت له ودمعاتها تهبط على فراق ولدها التى تعلم مدى رفضه للفكرة

صامتان منذ أن جلسا بالمطعم يتناولان الطعام بهدوء

ظل يسرق النظرات إليها حتى تركت الملعقة متحدثة بخبث وابتسامة:

- هتتحول ... بص عدل مش هاكلك أنا

احمرت وجنتاه حرجا ليجيب بتبعثر:

- أبص .. على إيه يعنى عادى دى تلقائى

هممت له حتى استندت بذقتها على يدها متممة:

- طب إيه ؟ أكيد مش جايين ناكل بس

ابتلع الطعام وصمت لثوان حتى أردف بتوتر وصدق:

- بصراحة أنا جبتك عشان أقولك حاجة

أومات له تشجعه فاستكمل حديثه:

- أنا ... أنا بحس معاكى بحاجة غريبة ... مش عارف إيه هى بس ... شعور أول مرة أحسه ... بتخلينى أطلع الإنسان النضيف اللى جوايا ... مش عارف ده إيه بس ممكن يكون ... حب

تراجعت للخلف وقد تحولت ملامحها للجمود ونبرتها حادة:

- إنت مدرك اللى بتقوله ... يعنى سيبك من إنى كنت متجوزة قبل كدة لكن ... وبالنسبة لفرق السن اللى ييجى خمستاشر سنة

ابتلع ريقه فها هى تذكر تلك العوائق التى يحاول جاهدا تخطيها:

- طلاقك مش بإيدك ولا حاجة تدينك

للحظة ظهر الحزن على وجهها فهو يعلم أنها مطلقة لكن لم تخبره عن عهرها!

حتى تحول وجهها للحدة مرة أخرى:

- وفرق السن

صمت صلاح قليلا حتى تتمم بخفوت:

- طالما فى توافق يبقى هنتغلب عليه إن شاء الله

ظلت ساكنة لدقائق دون رد فعل حتى نهضت آخذة حقيبتها متحذثة بنبرة لا تحمل جدالا:

- أنا تعبانة عايزة أروح

أغمض عينيه ... ألا يكفى ترده الشدید لتزيد الطين بلة برفضها هی الأخری

نهض هو الآخر یوصلها دون تفوه أحد بكلمة أخرى

- لا یا ماما وإنهى الحوار ده لو سمحتی ... صحنی بدری عشان أوصلك إنتی وبابا

قالها تمیم معارضا رجاء والدته بشدة أن یذهب معهم

بكت زینب بصمت وقد یئست من موافقته لتتحدث بخضوع وحزن:

- تصبح على خیر

- وإنتی من أهله ... على فكرة هتوحشونى

أنهى جملة بحنان بعد رؤية دموعها لتلتفت محتضنة إياه

ملس على رأسها لتهدأ وابتعدت مبتسمة یبادلها إياها

خرجت من الغرفة وقلبها ینزف ألما على فراقه بینما جلس على الفراش بحزن

عائلته ستركه أيضا ... لم یبق له أحد ... حتى هی تضع حواجز لعینة بینهما

تذكر كلام صديقه ليطردها من أفكاره سرعان ما أتت ركضا بعدما ارتفع رنين هاتفه لتكون هى

أجاب بلهفة مبتسما يستمع لتساؤلها الحنون القلق:
- ها يا تميم عملت إيه فى الشغل كان كويس

أوما بشدة متمتا بحماس وأخيرا شخص اهتم بعمله فوالداه متعجلان للسفر:
- أيوة الشغل حلو أوى وإن شاء الله أكمل فيه

باركت له بضحكة سعيدة والتي زالت بكلماته المرتبكة:
- بابا وماما خلاص هيسافروا السعودية بكرة الصبح وزى ما قللتك أنا مش هسافر وأسيبك

ثوان وبدأت دموعها تهطل غزيرا لتضع يدها على فمها تكتم شهقاتها
برغم عدم صدور صوت منها إلا أنه أحس بها فأجاب بخوف:
- مياسين إنتى كويسة؟

أبعدت الهاتف عن أذنها تزيل دمعاتها متنفسة بعمق حتى استعادت هدوءها فأجابت بحماس متصنع:
- مبروك ... هتروح الكلية ولا لأ صحيح

قالتها محاولة إنهاء الحديث عن الوالدين لمنع نزيف جرحها الذى تحاول أن يلتئم بسرعة:

- لا مش هعرف وإنتى متروحيش بقى

عقدت حاجبيها بتعجب تجيب بعناد:

- لا طبعا كفاية غبت كثير قبل كدة أنا هروح بكرة

كادت أسنانه تتكسر غيظا وغضبا يتخيل ذلك الحقير طارق يتحدث إليها غدا مستغلا
عدم وجوده:

- ماشى بس قسما بالله لو لقيت شاب كلمك لأحبسك فى البيت

اتسعت عيناها ذهولا من كلماته المشتعلة

بللت شفتيها مقررة خوض تلك المخاطرة فتحدثت مصطنعة المزاح:

- هو ... بتغير ولا إيه

صمت برهة مفكرا بكلماتها وقد ألجمته الصدمة سرعان ما أردف مستنكرا لنفسه قبل
لها:

- ههههه أغير إيه يا هبله ده إنتى أختى

همهمت له بأسف ... مازال يعتبرها أختا إذن

شعر بالتوتر والعرق يخرج منه غزيرا لينهى الحديث:

- المهم متمشيش من الكلية بكرة أنا هاجى آخذك ... هنروح مطعم فى مفاجأة
عاملهاك

وافقت على كلماته بفتور بعدما أحزنتها كلماته السابقة لتغلق المكالمة بعدما تمنى له
ليلة هنيئة

وضع الهاتف بجانبه زافرا بعنف كمن كان يضع صخرة على قلبه!

كان يراقبها تتناول العشاء بلهفة فقد اكتشف شيئا جديدا بزوجته وهو عشقها للطعام

ابتسم بحنان وخفوت عليها لتعلو دقات قلبه بعدما رفعت رأسها تتطلع إليه ببراءة
متسائلة لعدم تناوله الطعام فأجاب فوراً:

- لا لا باكل أهو تسلم إيدك ... بجد أكلك حلو كنت مفكرك مش بتعرفى تطبخى يعنى
عشان لسة صغيرة ومتعودة على طبخين وكدة

نفت برأسها مفتخرة متحمسة:

- لا لا ماما كانت بتعمل الأكل دايماً هي بتحب المطبخ أوى وأنا كنت بقف معاها
فاتعلمت شوية شوية حتى بابا ...

صمتت فجأة بعدما تذكرت والدها الذى تخلق عنها

لاحظ شرودها وإمارات الحزن على وجهها فأمسك يدها الساكنة على الطاولة ورفعها
بهدهوء مقبلاً باطنها بحنان

نظر إليها ومازالت شفتاه داخل باطن يدها وتحدث بحنان:

- أنا عيلتك وراجلك

ارتجف جسدها لمداعبة شفتيه ليدها بينما ارتعش قلبها لنبرة صوته الحنونة التى
تذوب بها عشقاً

ابتسمت بتوتر وهى تجذب يدها مرتبكة بينما ابتسامته الجميلة لم تزول ليعود لشروده
بها وهى تتناول الطعام كالأطفال

حل الصباح واستيقظ الجميع ليبدأ كل منهم عمله
جالس على الأرض وأمامه تلك الطاولة الأرضية التي يتناولون عليها الطعام وكالعادة
يده أسفل ذقنها يراقبها بحماس كأنه أول مرة يراها دون ملل

كانت تتناول الطعام بتعثر وإرتباك من نظراته المتفحصة والتي رغم ذلك تعجبها
كثيراً!

تهد بصوت ملحوظ لتتطلع إليه بخجل متسائلة كالعادة:
- فى حاجة؟

أوما لها مبتسما بصفاء وجمال:
- فى إن معايا أجمل واحدة فى الكون واللى بكل شرف أقول عليها مراتى
اقتربت برأسها منه قليلا ببطئ وانفجرت شفيتها بصدمة من كلماته ولم يخرج منها
سوى:
- إنت سخن؟!!

انفجر ضحكا عليها واقترب هو الآخر قليلا حتى تلاقت أنفاسها
ثانية واحدة وكان يقبل وجنتها بنهم متمما بخفوت:
- هو عشان بعاكس مراتى أبقى سخن؟!!

نفت برأسها مجيبة ببراعة ممزوجة ببلاحتها وخجلها المعتاد:
- لا تبقى حلو

ارتفعت ضحكاته عليها حتى رجعت رأسه للخلف ممسكا بطنه:

- هههه لا لا بجد إنتى فظيعة والله

ابتسمت بخجل وقد غدت كلماته روحها حتى معدتها!

تحدثت بخجل:

- أنا ... أنا شبت هعملك شاي على ما تخلص عشان تبدأ شغل ... ماشى؟

أمسك يدها يقبلها بحنان كعادته مؤخرا مجيبا بسعادة:

- ماشى

جذبت يدها وداخلها تتمنى لو تتركها له

نهضت متجهة لغرفتها بسكر من كلماته الرائعة بينما هو تنهد يتأملها حتى اختفت

وضع يده موضع قلبه متحدئا بحب:

- مين الغبى اللى تكونى فى حياته وميحبكيش

انعقد حاجباه بضيق يتذكر أنها دخلت حياة معتز أيضا

حسنا ينهى عمله معه فقط ويبعدها عنه تماما

استعدت نيرة تبسم بثقة وقد حفظت جيدا ما ستقوله

خرجت من غرفتها تجاه غرفة الجلوس حيث والدتها وقصى لتردف:

- يلا يا قصى أنا جاهزة

أوما لها ونهض مودعا والدتها كما فعلت هي

اتجهوا جميعا للباب وسبقهم قصى للخارج لتجهيز سيارته

قبل عبور الباب أمسكت عايذة ذراع ابنتها متممة بشك:

- ضحكك اللى من الودن للودن دى مش مريحانى

شهقت نيرة باصطناع:

- فرحانة يا ماما مش عروسة

تطلعت عايذة لوجهها دون الحيود عنه لتتوتر ملامح نيرة قليلا فأردفت مسرعة:

- سلام يا ماما بقى همشى أنا لحسن نتأخر

تركت والدتها التى تنظر لأثرها متتهدة بشك وعدم راحة لتغير حال ابنتها التى كانت
معكرة المزاج طوال ليلة أمس

راقب تحركها لأخذ الطلبات دون النظر إليه ليزفر بغضب لتجاهلها إياه

ما إن وجدها تدلف المطبخ حتى سارع وراءها

انتفضت بفرع تشعر بأحد خلفها فالتفت لتجده صلاح الذى تحاول جاهدة تجاهل
نظراته

اقترب أكثر منها متمما بخفوت حتى لا يسمعه من بالمطبخ:

- ممكن أعرف بتتجاهليني ليه

لم ترد عليه فأمسك ذراعها ببعض العنف متحدثا بعصبية:
- ما تردى عليا

أزاحت يدها بعنف مجيبة باتهام:
- عايزنى أبص فى وشك بعد مصيبة امبارح إزاي

تحدث مدافعا عن نفسه:
- مصيبة إيه كل ده عشان قلت بحبك

اتسعت عيناها غير مصدقة أحقا يجد ما فعله صوابا:
- وهو فى مصيبة أكبر من كدة ... أنا مطلقة وأكبر منك وجاى تقولى بحبك ... ده طيش شباب وبكرة تكبر وتعقل وهتضحك وتندم على اللى قلتته

ضيق عينيه مهمهما بذكاء:
- اممم يعنى مشكلتك مش إنك مطلقة ولا أكبر منى

اقترب برأسه متحدثا بهمس:
- مشكلتك إنك خايفة لما أكبر أندم و ... ومشاعرك تجاهى مخوفاكى

ابتعدت بسرعة بتوتر تزيح شعرها للخلف مرتبكة منه:
- للل لا طبعا إيه الهبل ده

ابتسم بمكر وقد تأكد مما قاله لارتجافها الملحوظ خاصة عندما اقترب منها أكثر:
- اممم طب وطالما أنا غلط خليتيني أوصلك ليه ... لو مقتنعة إن اللي بعمله غلط
وعايزة توعيني عشان زى ما بتقولى طيش شباب ... كنتى بعدتى عنى

لاحظ التحرك المتوتر برقبتها دليل على ابتلاع ريقها بصعوبة ليسعد أكثر وأكثر

نظرت إليه لثوان قبل أن تشيح بنظرها عنه تاركة إياه مسرعة تلبي طلبات الزبائن
تتحرك بكل اتجاه متعثرة وكلماته لازالت بعقلها

نظر لأثرها بابتسامة نصر مضيئا بخبث وسعادة:

- يتمنعن وهن الراغبات

كانت جالسة أمامه يفصل بينهما طاولة عليها لوحة يخط بحرفية تامة اكتشفتها
مؤخرا به لتتطلع لحركات يده بانبهار وفضول
شعر بالألم بيده فقد انهمك طويلا بعمله يريد إنهاء التصميم بأسرع وقت

قرر الراحة قليلا فرفع نظره لتلك الجالسة ليبتسم بحب عليها

مد يده بعدما ترك القلم يضعها تحت ذقنها يرفع رأسها الصغير البرئ لتتطلع إليه
ما إن لامست يده بشرتها حتى زال ألمه

أردف بحب وهو يقترب قليلا منها يتمنى لو يزيل تلك الطاولة اللعينة
وضع يده الأخرى أسفل ذقنه والأخرى مازالت تحت خاصتها

رأت لمعة حفظتها جيدا بعينه لتبتسم بخجل وارتباك حتى قررت التحدث عليها
تطردهما:

- احم إنت ... شغلك حلو ما شاء الله

همهم لها مجيبا ومازال شارد بملامحها:

- أنا كنت شاطر جدا فى الكلية واتضربت فترة عند دكتور كان بيدرسلى

أومأت له بهدوء ... عم الصمت قليلا ومازالا على حالتيهما حتى أضافت:

- أنا هروح أجهز الأكل أنا

أمسك يدها قبل أن تنهض بسرعة مردفا بلهفة:

- لا إحنا مش اتفقنا هغديكى برة

أومأت بتذكر حتى تمتمت مرة أخرى:

- طب هغسل مواعين الفطار عشان تشتغل براحتك

نفى مسرعا مضيفا بحنان:

- لا سيبيها بعدين عايزك معايا عشان ... بحسك إلهامى إنى أشتغل كويس

- إيه

نطقها ببلاهة وقد تورد وجهها ليبتسم عليها قبل أن يقبل باطن يدها

ارتجف بدنهما وقد استشعر ذلك فابتسم بفخر لعشق تلك الملاك له

سكنت أمامه مرة أخرى ليبدأ بعمله يريد أن ينهى ذلك الجزء قبل أن يتنعم بوجبة
فاخرة

كان ينتظرها خارج الجامعة بصبر نافذ حتى أشرق وجهه وهو يراها تخرج من
البوابة

تطلعت حولها فوجدته يشير إليها لتتجه إليه مبتسمة بهدوء حتى وصلت إليه
رأت بعض الحزن على ملامحه لتتذكر هي الأخرى فمنعت دموعها من التجمع بعينيها

تنهدت مضيفة لدعمه مع أنها الأحق بذلك الدعم:

- متقلقش أكيد هيكلموك كل يوم

أوما لها مبتسما بحنان دائما ماتفهمه دون حديث

تحدث ببعض الحماس لينس حزنه:

- صحيح مش هتروحي البيت ... فى مفاجأة أنا مجهزهاك

لمعت عيناها بفرحة متحدثه بحماس:

- بجد إيه هي؟

أمسك يدها ليووقف سيارة أجرى يقول:

- هتشوفها دلوقتى اصبرى

تطلعت ليده الدافئة الحاضنة يدها فحركتها تبعتها عنه بتوتر
تحرك جانب فمه بحنق من إزالة يدها من يده التى كانت تحاوطها وقرر تجاهل الأمر
يجب أن يعتاد على تلك الحدود الغبية بينهم

وصل قصى ونيرة لمنزل ساجد وها هما يقفان أمام الباب
طرق قصى الباب وتطلع تلقائيا لنيرة فوجدها تتنفس بعمق ووجها أحمر تقبض بيديها
على ملابسها بشدة

عقد حاجبيه بتعجب لما التوتر ذاك حد التعرق؟!!

استمر فى الطرق فلم يفتح أحد

زفر متمتما لتلك التى يتعجب لأمرها:

- شكل مفيش حد هنا

تحدثت بتفكير وضيق:

- أومال هيكونوا راحوا فين؟

حرك قصى كتفيه بجهله سرعان ما أردف بجوع:

- تعالى نتغدى فى مطعم وبعدين نعزم الباقيين ونرجعهم تانى ... فى مطعم شوفته
وإحنا جايبين وشكله نضيف

أومأت نيرة بهدوء متجهة معه للخارج لكن عقلها شارد بها وقد بدأت الغيرة تتآكلها
ترى أين هما؟!!

كانت تحمل الأطباق لتضعها بالمطبخ حتى توقفت إثر ذلك الذى اعترض طريقها
بابتسامته الخبيثة الماكرة

توترت رحمة بشدة من قربها خاصة بعدما لامس يديها بحجة أخذ الأطباق

حركت يدها محاولة الابتعاد لكن زاد تمسكها بها فاستسلمت ليده المحتضنة يدها
جفلا بعدما سمعا نداء فتاة تعمل معهم لتبتعد رحمة تاركة الأطباق لصالح

التفتت مزمنة مع ابتسامة فرت من شفيتها رغما عنها متجهة لزميلتها بينما هو
يتطلع لأثرها بفخر للمرحلة التى وصلا إليها

تجلس بهدوء وهى تنظر حولها بكل الوجوه محاولة أن تكتشف فيما يتحدثون بطفولة

ظل يتأملها بحب لازمه حديثا يتنهد بخفوت كل حين
أفاق على نظراتها حولها ليفهمها بشكل خاطئ

حرك يده خلف عنقه بإحراج وخزى متمتما:

- أنا عارف إن المطعم ده مش قد المقام بس صدقيني ... شوية شوية هوديكي
المطاعم اللى اتعودتى عليها

غامت عيناها بلمعة حب معاتبة إياه:

- بالعكس المطعم نضيف وشكله غالى وكمان أنا قولتلك إنى مش فارق معايا ومكنتش عايزة التبذير ده ومفيش زى أكل بيتنا

شرد ساجد فى كلمة (بيتنا) ليتعجب من طيبتها وبراعتها ... أتطلق على ذلك المكان لفظ بيت؟!

ابتسم باتساع كالطفل الحاصل على حلوى عند سماعه لقولها الخجول وهى تتطلع للطاولة:

- وبعدين ... وبعدين المكان بيعلى ويكبر بيك ... مجرد دخولك لمكان بيخليه جنة بالنسبة ليا

تنهد بحب وهو يعود لتأملها مرة أخرى دون ملل أو كلل
أفاقا من شروده وخجلها على تلك العقبة الوحيدة بعلاقتهم والتى ظن أنها خرجت تماما

- يا محاسن الصدف

وصلا للمطعم ودخل قصى وهى تتبعه ومازال عقلها شارد
توقفت بصدمة تراه يجلس على الطاولة وتلك الشمطاء الملقبة بسديم جالسة معه

ضاقت عيناها بغضب عارم ما إن لاحظت تورده وجنتيها
أيلقى عليها كلمات الغزل والحب؟!

أوقفت قصى مقررة إفساد ليلتهم الحمراء الغبية تتحدث بفرحة مصطنعة:
- قصى ... إيه ده سبحان الله ساجد هناك أهو

تطلع قصى لمكان إشارتها وأوماً بابتسامة وهما يتجهان للطاولة
توقفاً أمام الطاولة لتتحدث نيرة بفرحة مصطنعة:
- يا محاسن الصدف

جالسة تنظر للجو الشاعرى حولها فى ذلك المطعم الراقى..... لا تصدق أمن
الممكن أن كل ذلك لها وحدها ستموت بالتأكيد وأخيراً قد أحس بها ذلك اللوح
الغبى

كادت تموت فرحة ما إن دلفت للطعم لتجده مزين وقد خصص ركنًا بعيداً لهما
أيعقل ما يفكر به عقلها؟!!

أيريد الاعتراف بحبه؟! لا لا صعب ذلك بل محال ... لكن قد يعترف بإعجابه
نعم فوحده بعد سفر والديه بالتأكيد جعلته يقدر مكانتها
مرت مدة على اكتشافه أنها ليست أخته مؤكّد تعايش مع تلك الحقيقة
وها هو الآن يجلس أمامها بتوتر مستعداً للاعتراف لها بما تفكر به

ظلت تعبت بتوتر فى الورود الجميلة على الطاولة الغبية التى تفصل بينها وبين
معشوقها الوسيم حتى قررت أخيراً التحدث بحب وخجل:
- ها إيه الموضوع؟

أجاب بمرح غامزاً:
- اصبر على رزقك يا جميل

تنهدت بعشق وهى تعود للصمت متألمة وجهه الجميل تتحدث داخلها:

- بعشقك يا تميم بعشقك بجنون مستعدة إنى أصبر عمرى كله عشان خاطرك
إنت بس يارب تحس بيا ويكون الجو الرومانسى ده عشائى

قطع شرودها جلوس فتاة جميلة جدا طويلة القامة بجانب معشوقها

نظرت بغيرة ليد تلك الشمطاء التى حاوطت ذراع حبيبها ثم تطلعت له باستغراب
سرعان ما تحول لصدمة وذ هول عند قوله السعيد:

- أقدمك لين خطيبتى ومراتى المستقبلية لين دى مياسين أختى

- طب وما ليكوا عليا حلفان إنتوا وحشتونى ... جرا إيه يا ساجد إنت نسيتنا ولا إيه
دا إنت اللى مربينى حتى!

قالت آخر جملة بشماتة وهى تنظر لسديم غير عابئة بمن بجانبها

غضب بشدة من تصرفاتها الفوضاوية الغير مؤدبة واندفاعها الغير مبرر ليحاول
تلطيف الجو وهو يسلم عليهم متظاهرا بالهدوء:

- إزيك يا ساجد إزيك يا مدام سديم

عم الصمت وساجد ينظر لها فقط وقد عادت ذكريات الطفولة الأليمة أمام عينيه بينما
تلك الصغيرة تنظر له بدموع حبيسة

أغمض ساجد عينيه محاولاً طرد كل الأفكار لأجل تلك التى لا تستحق سوى التفكير
بها هى فقط دونا عن غيرها

بادل قصى المصافحة بفتور دون النهوض حتى
ابتسمت نيرة بانتصار ما إن لاحظت توتره وحزن تلك الصغيرة لتتحدث بسماجة:
- إيه مش هتعزمنا نقعد ولا إيه يا ساجد

أوما لها دون حديث يشير للمقاعد الفارغة:
- اتفضلوا

نظر قصى لنيرة بتوعد وغضب من أفعالها بينما جلست هى دون اهتمام ليجلس
مرغماً بجانبها

اقتربت نيرة للأمام قليلاً تنظر للجالس مقابلاً لها:
- إحنا رحنا لك البيت بس محدش كان هناك وجينا ناكل هنا وسبحان الله اتقابلنا بس
كويس عارف ليه؟

تجاهل حديثها وأمسك هاتفه ينشغل به ... لاحظت سديم ارتبأكه فضغطت على شفتيها
حسرة ... وهى من ظنت أنه نسى نيرة وأحبها

احمرت نيرة إحراجاً لتجاهله إياها بينما استعد قصى للنهوض فالوضع أصبح يربكه
... هناك شيء يجب أن يعلمه

قررت الحديث بهمس كالأفعى وقد نست تماما كل شيء حتى قصى الذى بجانبها:
- أصل كتب كتابى الخميس اللى جاى وكنت جاية أعزمك

سقط الهاتف من يده ورفع رأسه يتطلع إليها بجمود
راقبه قصى بعيون ذئب يترصد كل حركة بينما أغمضت سديم عينيها بعنف تمنع
نفسها من البكاء

ابتلع غصته متمتما بهدوء مفتعل:

- ألف مبروك

همهمت نيرة له قبل أن تلتفت لقصى الذى يراقبهم بشك:
- قصى معلش نسيت الدوا فى العربية ممكن تجيبه آخده قبل الغدا ... أصلى تعبت
الفترة اللى فاتت وباخد دوا

أنهت عبارتها ملتفتة لساجد الذى هوى بعالم آخر
أوما قصى لها بعدما نظر بهاتفه قليلا ينهى بعض الأشياء
وضع الهاتف ناهضا يزفر بضيق متجها لسيارته

ما إن خرج من المطعم حتى اقتربت نيرة بوجهها من ساجد متجاهلة سديم التى
تشتعل حرقه وغيرة لتتحدث بهمس وقح كالأفعى:

- اممم نضفت يا ساجد وبقيت تروح مطاعم ناس أبهة ... يا ترى بقى هى اللى
بتصرف عليك ولا إيه ... هههه مفكر هتسأنى يا ساجد بجوازك منها تبقى غلطان ...
أنا حب عمرك كله وهفضل كدة وهفضل واقف فى مكانك مش عارف تتحرك من
غيرى

عارف ليه ... عشان إنت فاشل من غيرى ... والله أنا لو مكانك يا سديم أطلق ..
أصلى عندى كرامة ومقبلش على نفسى أكون حيطة سد مكان واحدة تانية

شهقت سديم ببكاء بعد محاولات بالتماسك لتهض بعنف تتجه للخارج
انتفض ساجد مسرعا هو الآخر يمسك بيد سديم
وضع المال على الطاولة وخرج وهو يحاوط زوجته وقلباهما قد تحطم وتمزق لأشلاء
صغيرة

تنفست بصعوبة محاولة التماسك لتتحدث بتهديج:
- خط ... خطيبتك إزاي؟!!

أجاب تميم بابتسامة:
- بصى هى مش خطيبتى بالحرف هى حبيبتى وإن شاء الله نخلص دراسة وأكون
نفسى وهتقدم لها ... مش كدة يا روحى

أومأت لين له تقبل وجنته بجرأة وأضافت برقة:
- تميم كان بيحكلى عنك دايم يا مياسين

أومأت مياسين لها تتمنى لو تنقض عليها ضربا
تشعر بالدوار والظلام يحيطها ... تشعر بصوت كسر داخلها... إنه صوت قلبها

تنفست بعمق متممة بارتجاف وهى تتلمس شعرها تارة وجبينها تارة:
- آه آه ألف مبروك ... ألف مبروك

بدأت تتعرق قليلا لا بل كثيرا ويداهما ترتجفان لتضعهما تحت ذقنها تستند عليهما

قلق تميم فهي لا تبدو بخير ليتحدث بخوف:

- مياسين إنتى كويسة

أومات له تشرب القليل من الماء ونهضت ملتقطة حقيبتها تتحدث بضحكة مرحة
مغلقة بالكثير والكثير من الألم:

- هههه آه آه كويسة أنا هروح أنا بقى ... معلش تعبانة من الكلية

نهض هو الآخر بخوف متمتما:

- لا اصبرى هوصلك وأخليهم يبيعوا الأكل على البيت عشان تتغدى

نفت مسرعة مضيفة بصعوبة وشفتيها ترتجف:

- لا لا متتعيش نفسك أنا ... أنا ه...

أضاف تميم بحسم وإصرار:

- لا هوصلك

التفت للين التى تراقب بصمت :

- لين معلش خدى تاكسى بيتك مش نفس اتجاه بيتها تمام وابقى طمنيلى لما تروحي

أومات بابتسامة وديعة لكن داخلها تشتعل ضيقا وغضبا من تركه لها

تقدم مع مياسين التى تمنع نفسها من البكاء بصعوبة وقد تحطم كل شيء

أنهيا عملهما مبكرا ليوصلها إلى منزلها كالعادة وقد اتخذت الصمت مفرا من خجلها

ذلك الصلاح يلهب مشاعر مراهقة داخلها ظنت أنها اندثرت للأبد بتقدم سنها

لأول مرة تسعد لبقاء بشرتها نضرة وغياب علامات الكبر عنها!

حركت رأسها بعنف تطرد تلك الأفكار الغريبة من رأسها الأحمق!

شعر صلاح بتخطبها ليوقف السيارة بعدما وصل لمنزلها

قبل أن تهبط أمسك يدها متمتا بحنان وخفوت:

- على فكرة أنا مش من النوع المتزمت ولا العصبى ولا الأثانى اللى ميقبلش غير بنت بنوت فى حياته ... إنك مطلقة مش يعيبك وحتى سنك مش يعيبك ... أنا بحبك ولما بحب بتجاهل أى حاجة تانية تعوق حبي ليكى ومتأكد إنك بدأتى تحبينى وأنا ببيان إنى لعبى لكن فى الجد لا ... يعنى إنتى مش مجرد تجربة ولا لعبة فى حياتى لأ ... إنتى حياتى كلها واللى هسعى تكون حلالى

- حلالك!

قالتها بتعجب واستنكار ليضيف بابتسامة صافية:

- أيوة حلالى ومراتى

ابتلعت ريقها متحدثة بحزن:

- حلالك إيه يا صلاح ... حتى لو إنت معندكش مانع فى سننى ... الناس هتقول إيه؟

أردف بأمل متمسكا بيدها جيدا:

- سيبك من الناس أقلها حاجة منقولش سنك وإنتى ما شاء الله جميلة تبانى فى العشرينات أساسا

احمرت خجلا ليضيف بحذر:

- بس معنى كلامك إنك موافقة

صمتت قليلا حتى تطلعت إليه متممة بهدوء وابتسامة:

- مش عارفة بس ... بحس معاك بشبابى ... بضحك وأجرى وأتحرك بحرية من غير قيود و ... وبحب أكون جمبك بحس بالأمان

رمش عدة مرات غير مصدقا أهلك من كانت رافضة تماما بالأمس؟!!

ضحك بسعادة غير مصدقا ليضيف بفرحة خالصة:

- أنا هكلم بابا ونيجى نخطبك

شهقت بخوف مصدومة من سرعته:

- طب اصبر شوية يمكن ... يمكن تلاقى حد من سنك و... يعنى كدة

نفى بلهفة مضيفا:

- أبدا والله أبدا عايزك إنتى ... ها أكلم بابا؟

عضت شفتيها وأومات بخجل ليصرخ بفرحة عارمة

سعدت بفرحته وقفز قلبها هي الأخرى سعادة حتى أضافت باحراج:

- بس ... ممكن متقلش سننى

أوما لها مبتسما مقدرًا رغبته لتتهبط مسرعة بخجل بينما هو يتطلع لأثرها بفرحة

بعدها خرجا من المطعم دلف قصى مباشرة بعيني نسر:

- إيه اللى حصل؟ ومشوا ليه؟

جفلت نيرة بعدما سمعت صوته خلفه لتتهض بلا مبالاة متجاهلة سؤاله:

- أنا مش جعانة خلىنا نعزم الناس وبعدين ناكل

أوما لها بشك وهو يلتقط هاتفه وحاجياته متجهين للخارج

ما إن ركبا السيارة حتى أمسك الهاتف يعبث به

ثوان وارتفع صوت نيرة من الهاتف ليستمع قصى جيدا وعينه تضيق مع كلماتها
وتزداد حدة

ارتجفت نيرة خوفا تستمع لمحادثتها منذ قليل مع ساجد مسجلة على الهاتف حتى
أردفت بحدة تخفى به خوفها:

- إنت إزاي تعمل كدة و ... إزاي تسجلى

ابتسم بشر يغلق هاتفه ... مرت لحظات وعيناه تنتظر بنقطة ما بعيدة عنها مما زادها
ارتجافا

صرخت بخفوت وفزع بعدما أمسك يدها بعنف صارخا بغضب:

- بقى أنا يا حيوانة تعملى فيا كدة ... أنا تستغفلينى ... كان عندى حق لما شكيت فى
نظراتكم

تحدثت بتوتر ورجاء:
- قصى متفهمنيش غلط ... أنا ...

ضحك بتهكم ويده تتحرك بعنف تزيل خاتمها متحدثا بانتصار:
- بحمد ربنا إني مجبتلكيش شبكة لسة وإلا كنتى كلتيها عليا

وضع الخاتم بجيبه وفتح الباب بجانبها دافعا إياها بقسوة حتى كادت تسقط أرضا

ظلت واقفة خارج السيارة بصدمة بينما هو تحدث مشمئزاً منها:
- مشوفشى وشك تانى وابقى عرفى الوالدة أنا سبتك ليه يا ... ها محترمة

أغلق الباب بعنف تاركا إياها يتحرك بسيارته تجاه بورسعيد حيث منزله

كما ذهب هناك سيعود مرة أخرى ... يحمد ربه أنه كشفها وإلا لظلت تغشه
تطلعت للسيارة وهى تبتعد بصدمة لتضع يدها على فمها كاتمة شهقاتها بصعوبة تبكى
خوفاً من ردة فعل والدتها
يا الله كانت تريد تدمير يومهما ليدمير يومها هى!

كان يسير بسيارته يشتعل غضبا منها ... أكان مغفلاً لتلك الدرجة؟! ... حسنا لقد
تركها وانتهى كل شيء

تنفس بعمق عدة مرات ليهدأ

توقف بسيارته فجأة بعدما شاهدها تحاول أن تعبر الطريق مع صديقتها

تأمل قصى شريفة بعمق حتى ابتسم وقد قرر تناسي ما حدث والنظر لحاله ...
مصلحته أهم من كل شيء

لن يدمر مستقبله بسبب إنسانة حقيرة ... فليرمي الماضي خلف ظهره
وليبحث عن أنثى أخرى تصونه ... لقد تقدم بالعمر ... يريد الزواج والإنجاب

راقب ابتعاد شريفة لتتسع ابتسامته أكثر وأكثر:

- أهو منها زوجة ومنها ننتقم من نيرة

ترك سيارته بجانب الطريق وظل يتحرك خلف شريفة بمسافة يريد أن يعلم منزلها

يتحرك بكل اتجاه وكل خليه بجسده تشتغل غضبا

لقد أهانت رجولته ... سيرها مقامها جيدا ... يجب أن يخطط للانتقام منها

الآن فقط أصبح يمقتها حد الموت

كانت سديم محطمة تنزف من الداخل لكن وكالعادة قررت تجاهل وجعها لأجله هو فقط
!

تقدمت منه ببطئ متنهدة لاستعادة روحها

كان يعطيها ظهره واضعا يديه بخصره وحاجبيه معقودان بغضب

وضعت يدها على ظهرة هامسة بخفوت:

- ساجد

التفت مسرعا دافعا إياها لتسقط على الأرض عنيفا
تطلعت له بصدمة وعدم تصديق حتى أجهشت بكاء متألّمة

أفاق من الضباب الذى غلفه وجعله ينساها ... سديمه

هبط مسرعا أمامها يحاوط وجهها بخوف حقيقى:

- سديم أنا آسف أنا آسف إنتى كويسة؟

نفت له بعدما خف بكاؤها مبعدة رأسها وشفتيها مزمومة بحزن واستياء

تطلع إليها بحنان مغنفا نفسه يشعر أنه والدها لا زوجها الآن

حاوط وجنتها مرة أخرى يديرها ناحيته لتتطلع إليه بدموع محتجزة داخل عينيها
اللامعتين وشهقات خافتة تخرج منها

لم يتحمل تلك البراعة والجمال لينقض مقبلا إياها بحب وقد استطاعت كالعادة
ببراعتها أن تهون عليه همومه

ابتعد بعد مدة متنفسا بعنف بينما هى جاحظة العينان متسعة الشفتان بصدمة

ضحك بخفوت على شكلها حتى اقترب مرة أخرى مقسما عدم تركها إلا وهى زوجته
قولا وفعلًا!

نائمة على الفراش تدفن وجهها بالوسادة وشهقاتها تعلو وتعلو

أخرجت رأسها ما إن شعرت باختناقها لتطلق سراح شهقاتها فتحولت لصرخات

أغمضت عينيها بعنف تتمنى أن تنام دون إفاقة عل الألم يزول

وضعت مياسين يدها على قلبها ضاربة إياه بشدة تعاتبه:

- لبييه ... لبييه حبيته لبييه آه

صرخت بوجع وقد تبلل وجهها والوسادة بالشلالات الغزيرة من دموعها وقلبها ينزف
ألما ووجعا

أزالت دموعها بعنف وغضب متحدثة بإصرار ومازالت تبكى:

- هبطل أحبك يا تميم هبطل أحبك وهبعد عنك بكرهك يا تميم بكرهك

عادت لدفن وجهها بالوسادة مرة أخرى لعل أمنيتها تتحقق ويموت جسدها كما ماتت
روحها

متمددان على الفراش يحتضنها بحب وتملك بينما هي تدفن رأسها بصدرة تحترق
خجلا

شعر بحرارة وجهها لتظهر ابتسامة محبة حانية يشتد على ضمها وقد قرر تجاهل كل شيء مر اليوم سوى تملكه لها
فلينسى ما قالته نيرة وليبقى مع سديم خاصته

مر شهر كامل

ازداد مرض عايدة خاصة بعدما علمت فعلة ابنتها الغبية لتنهال عليها بالضرب
أخبر صلاح والده برغبته بالزواج وبعد إلحاح وافق عاصم لكنه منتظر موافقة ابنته شريفة على قصي

عاصم يتمسك بعريس ابنته بشدة فمن يرفض شرطيا ذا مركز ومال

بينما ثريا ترفض لفرق السن لكن ومتى كان لها رأى ببيتها

شريفة مترددة لا تعلم ما تريد ... تملكها الصدمة عندما وجدته يجلس مع والدها طالبا يدها بعدما ترك نيرة

جزء ضئيل جدا سعيد بأنها مرغوبة والباقي يرفض تماما ... حتى وإن تجاهلت فرق السن ... فماذا عن خطوبته السابقة من زميلتها

حتى ولو لم تكن علاقتهما قوية لكنهما تحدثا عدة مرات

إذا وافقت عليه فتلك خيانة لها

وما يزيد الأمر سوءا إصرار والدها عليه وانفراده بالقرار

وأخوها صلاح الذى يسألها كل يوم أن توافق فزواجه مقرون بزواجها

والدها يريد زفافهما بنفس اليوم ليوفر تكاليف الزفاف!

ازداد إعجاب وراحة رحمة مع صلاح حتى تولد الحب الشديد بينهما

استطاع قصى الخروج من أزمة نيرة بسهولة وقد قرر التعجل بطلب الزواج من شريفة والتي لم يتلق ردا منها منذ أسبوع سوى بالتفكير لكن ما يصبره أن كلمات والدها دائما معجبة به مبشرة إياه بالموافقة القريبة

ابتعدت مياسين عن تميم أكثر وباءت مكالماتهم محدودة تكاد تكون معدومة مرات كثيرة لا تجيب بحجة الإنشغال أصبح خروجهم يقتصر على الجامعة فقط ... تريد ترميم قلبها مرة أخرى بعدما حطمه بكل قسوة

تميم يعيش بحالة حزن واكتئاب دائم كلما مرت ساعة بل دقيقة شعر بمدى أهميتها بحياته كلما مرت ثانية زاد شوقه وإدراكه بأنها ليس جزء هام من شخصيته بل هي شخصيته كلها بما بها حياته أصبح عصبيا متوترا وحيدا طوال ذلك الشهر ... لا يعلم لما ان عزلت عنه وتركته هكذا ألا تعلم مكانتها عنده؟! لا يكف عن التفكير بالذهاب إليها وأخذها عنوة لتظل تحت أنظاره يمتع عينيه برؤياها اشتياقه لها جعله يهمل لين التي أصبحت تشعر بالمقت تجاه تلك المياسين التي لا ينفك تميم عن ذكرها أمامها

بينما سديم لا يتغير شيء بحياتها سوى عشقها لساجد الذى يزداد خاصة بعدما ازداد حنانا وأصبح يعاملها كالماسة يخاف عليها من أقل خدش لا يكف عن مغازلتها وكم تعشق ذلك حقا

تغير الكثير والكثير بساجد فقد أعجب بزوجته البريئة التي علمته أن الحب لا يأتي مرة واحدة فقط بل قد يأتي أكثر من مرة

لكنه متيقن من عدم حبه لشخص آخر غيرها
يعمل بجد لإثبات العكس لنيرة والثأر لرجولته
لكن للحق السبب الأقوى هو أن يرتقى بمعيشه سديمه
يريد أن يجعلها تسكن بمنزل أفضل ... يريد أن يغمرها بالمال الكثير
يريد تعويضها عن شقائها معه ورضاها بفقره

يتحمل العمل عند الحقيير معتز لأجلها فقط ... كم يشتعل غيرة عندما يلتقى به
أصبح يحتضن سديم بكل جرأة أمامه غير راحما خجلها لأجل إثبات ملكيته لها ولمعتز
عندما يقف بالموقع بجانب العمال يذهب كل حين وأخرى للداخل يتأكد من أنها وحدها
ولا تحتاج شيئا
حاله أصبح أفضل عما كان سابقا
بالرغم من حرب النظرات بينه وبين معتز إلا أن معتز يعطيه حقه كاملا على كل تعب
ومجهود يبذله والذي يعجب صاحب العمل كثيرا
فساجد ماهر جدا بالتصميم والعمارة

تجلس بصمت تام تستمع لكلمات والدها الحادة:

- شريفة الراجل سايبينه أكثر من أسبوع ده لو مش شاريكى كان سابك ... أنا أكبر
منك وعارف مصلحتك الراجل ميعيبهوش غير جيبه وهو الحمد لله ميسور الحال يبقى
ليه نأجل الموضوع ... أنا هديله الموافقة خلاص عشان أخوكى كمان

عضت شفتها بكاء متحدثة بخفوت:

- بس يا بابا ده سنه كبير أوى عليا

تحدثت ثريا مسرعة:

- أيوة يا عاصم الفرق كبير

زفر عاصم بعصبية مضيضا وصبره قد نفذ:

- هو آخر كلام خلاص وهيجي نقرا الفاتحة ونروح نتقدم لعروسة صلاح

أنهى حديثه وخرج من المنزل بينما شريفة تنتظر لأثره ببكاء ... اقتربت ثريا منها واحتضنتها لتدعمها فانفجرت الدموع من عينيها

كان صلاح يراقب بهدوء مغلف بحزن ليقرب من أخته مربتا على ظهرها

أخرجت رأسها من أحضان والدته تتطلع لأخيها كمن تشكو له من والدها

تحدث صلاح بابتسامة:

- متزعلش يا شريفة أكيد بابا مش هيرميكي فى النار يعنى ... طب اقعدى مع العريس واتكلموا لو ارتحتوا لبعض يبقى كويس والسن مش عائق يعنى

أومات له بفتور ليقبل جبينها قبل أن يخرج لعمله

استيقظ ساجد بكسل على تلك اللمسات الناعمة على وجهه ليبتسم بنعاس وحب

فتح عينيه متطلعا إليها بلمعة عينين متحدثا بمرح:

- مش عيب تستغفلينى وأنا نايم

خرجت منها شهقة خافتة خجولة ليضحك عليها ثم قبل جبينها

ابتعد عنها وما زال يتفحص كل إنش بوجهها مركزا عليه بشكل تام وكأنه موضوع حياة أو موت

خجلت أكثر حتى أضافت بخفوت:

- يلا قوم بسرعة تلحق الشغل

زفر بضيق بعدما كان بحالة هيمان ليتحدث بوجه عابس:

- ماشى بس زى ما ق...

قاطعته متحدثة بملل مغلف بفرحة عارمة:

- زى ما قلتلى ملعبش مع خالد كتير ومتكلمش مع أبو خالد ولا حتى أبصله ولو حصل حاجة أجيلك جرى أعرفك ... ها حاجة جديدة على الأوردر

نفى لها ضاحكا مقبلا وجنتها ونهض مستعدا للعمل

بينما هى نظرت له بحب تحمد ربها فقد تحسنت أحوالهم أكثر وأكثر ماليا وعاطفيا

ماليا؟!!

تهددت بشدة من معتز الذى لا يكف عن إعطائه المال بحجة عمله المتقن

نعم تصميم ساجد مبهر يدل على براعته لكن ليس مقابله كل تلك الأموال

لم يختلط ساجد بذلك الوسط أبدا لذلك لا يعلم شيء عنه

لكنها اختلطت به وتعلم جيدا مقدار المال مقابل عمل ساجد والذي يكاد يكون نصف ما يعطيه له معتز!

لكن لما يفعل ذلك؟! لما يعطيه الكثير من الأموال؟!!

تتمنى لو يكون لأجل عمله ليس لشيء آخر

ارتجف بدنها بعدما رأت اسمه على الهاتف يتصل بها لتجمع شتاتها وتجيّب بجمود:
- أيوة

وضع تميم يده خلف عنقه بتوتر ليتمتم بخفوت:

- احم كنت حابب أقولك يعنى آجى آخذك للكلية

ذهبت كل محاولاتها هباءا بعدما استمعت لصوته فتحدثت بصعوبة:

- لا لا أنا هروح لوحدى نتقابل فى الكلية سلام

جاء ليتحدث لكنها أغلقت الهاتف بسرعة

أغمض عينيه بحزن متنهدا يشعر بثقل فوق صدره ... لما تفعل به ذلك؟

ابتلعت غصتها تزيل دموعها التى فرت هاربة من أسر عينيها

ابتسمت بصعوبة مهونة على نفسها:

- معلش يا مياسين فى الأول صعب لكن هتقدرى تنسيه إن شاء الله

- لا لا يا عمى خلى قراية الفاتحة انهاردة
قالها قصى بسرعة لعاصم الذى أرادها غدا ... يشعر بلهفة وفرحة لم يعهدها مع
نيرة!

تنهد عاصم موافقا طلبه:

- خلاص يابنى تنورنا انهاردة
- بإذن الله على الساعة ٧ هاجى وزى ما وعدتك يا عمى هنتجوز هنا مش فى بور
سعيد

تحدث عاصم بسعادة:

- ماشى يابنى تيجى بالسلامة

أنهيا الحديث ليبتسم قصى بشدة مستشعرا بداية عهد جديد
لا يعلم لما؟! قد يكون لأنها شريفة اسما على مسمى
فالمرات المعدودة التى رآها لاحظ حياءها الأنثوى وأخلاقها
يدعو الله أن تكون نعم الزوجة وتأتى بالذرية الصالحة
أسرع عاصم باخبار بثرى لتجهز كل شيء اليوم فوافقت باستسلام وحزن لحال ابنتها

ما إن ركبت السيارة حتى أمسك يدها مقبلا إياها وتحدث بحب:
- صباح الخير يا حبيبتي

ابتسمت بحب وخجل مجيبة:

- صباح النور يا حبيبي

تحدث صلاح بحماس وعيناه تلمع فرحة:

- خلاص يا قلبي بكرة بإذن الله هاجي أطلبك وهجيب عيلتي

- بجد

صرخت بحماس وسعادة عارمة ليومئ لها حتى أضافت بتوجس:

- طب والسن وعيلتي

تحدث بحنان مطمئنا إياها:

- متقلقيش قتلهم إنك كنتي دفعتي ويعنى ملكيش عيلة وكدة

أومأت له براحة ليقبل يدها مرة أخرى متجه للمطعم حيث عملهم

أوصلها للقصر بينما خرج هو وسط العمال يتابع معهم بعدما تأكد ان معتز ليس بالمنزل

دخل معتز للحديقة فرآه منهما بالعمل ليبتسم بفرحة دالفا للقصر بهدوء

نظر حوله بكل مكان حتى وجدها تجلس بركن مع ابنه تلاعبه

اقترب بهدوء وحب حتى جلس على الأرض بجانبهم
جفلت ناهضة كمن لدغها أفعى بعدما رأتها بجانبها لينهض هو الآخر متمتما بتعجب:
- مالك؟!!

ابتلعت ريقها بخوف من ساجد لتتحدث باختصار وهي تتجه للخارج:
- عن إذنك

كان هو أسرع منها فأمسك يدها بعدما أمر صغيره بالذهاب لأعلى
حارلت الإفلات منه لكنه كان أقوى فتحدث بنبرة حادة:
- هو اللي مخوفك منى صح

صمتت بتوتر وخوف ليتحدث برجاء:
- بتخافى منى ... منى يا سديم أنا معترز اللي كان بيلعب معاكى ... فاكدة لما كنت
بجيبك شوكلاتة دايمًا كل أما أروحكم البيت

حاولت الابتعاد مرة أخرى مترجية إياه:
- مع ... أبو خالد لو سمحت ابعده

زفر بعنف غاضبا من عدم ندائها له باسمه:
- اسمى معترز ... معترز يا سديم ... معترز اللي بيحبك

أنهى كلامه بصراخ لتجذب عيناها صدمة من كلماته

تقابلا بالجامعة وكالعادة اكتفت مياسين ببعض الكلمات المختصرة قبل أن تتركه وتذهب لمحاضرتها

تطلع لأثرها بحزن واختناق حتى أفاق على تلك اليد على ظهره:
- مالك يا تميم

التفت لها متحدثة ببعض التماسك:

- مفيش حاجة أنا رايح المحاضرة

أمسكت لين يده بسرعة متحدثة برجاء:

- تميم خلينا نخرج بعد الكلية انهاردة أجازة من شغلك ... ولا هترفض كالعادة عشان مياسين

زفر بعنف مجيبا بلا مبالة:

- ماشى ماشى

تركها ذاهبا للداخل بينما هي تطلعت لأثره بعدم رضى

كان ساجد يوجه العمال لما يفعلوه ليعارضه أحدهم:

- بس أستاذ معتز كان عايزها دايرة

عقد حاجبيه ليتحدث ببعض التردد:

- متأكد؟! -

أجاب العامل ببساطة:

- هو متهيلى كدة بصراحة ... اسأله يا هندسة أحسن

او ما له يخرج هاتفه ليتصل به فأجاب العامل بتعجب:

- طب ما هو فى القصر روحله أسهل

أبعد الهاتف عن أذنه قبل أن يتصل متحدثا بصدمة وذهول:

- إيه؟

- فى القصر أنا لسة شايفه داخل دلوقتى

التفت ساجد ناظرا للقصر قبل أن يركض للداخل والشياطين تحوم حوله

كانت تجلس بالمحاضرة تنتظر قدوم المحاضر لتجفل ما إن شعرت بجلوس شاب بجانبها

التفتت مستعدة للسباب لتتسع عيناها بعدما وجدته تميم

عقدت حاجبيها بتعجب ليبتسم مقتربا منها بخبث يهمس بأذنها بعدما أرجع خصلة من شعرها خلفها:

- لو مفكرة هتقدرى تهربى منى وتبعدى لسبب أنا مش عارفه تبقى غلطانة

ابتعد ببطئ متطلعا أمامه بينما هي منعت ابتسامة هيام أن تخرج بصعوبة

نظرت للأمام هي الأخرى تتنفس بعمق وتوتر من قرب المميت تدعو الله أن تستطيع
تجاهله كما كانت تعد نفسها دوما

كانت بغرفتها شاردة مشتتة لا تستطيع تحديد ما تريده
أحيانا تسعد به وأحيانا لا

ما إن اتجه تفكيرها له هو شخصا حتى ارتفع الرنين معلنا عن اتصاله

نظرت للهاتف بتردد حتى قررت الرد:

- احم ألو السلام عليكم يا أستاذ قصي

ابتسم قصي بخفوت وبعض الفخر لاختياره حتى أضاف بهدوء:

- بلاش أستاذ ... أنا اتصلت بس عشان أعرفك إني جاي انهاردة نقرا الفاتحة

تنفست صامته لثوان حتى أضافت بجمود:

- عارفة ... بس ليا كذا سؤال

تنهد قصي ملتزما الهدوء:

- عارف هتسألني إيه يا شريفة ... بس خليهما لما آجي أفضل

لم تجادله بذلك فطالما ستحصل على إجابات لا يهم شيء آخر

دلف للداخل ليجد معتز يمسك بيد سديم التى تقاومه يعترف بحبه لها
شعر بالغليان والموت حرفيا ليركض إليهم مبعدا إياه يبدأ بالقتال معه
صرخت سديم بفزع وهى تراهم يضربون بعضهم بعضا خاصة ساجد الذى كان
كالوحش الهائج

ظلت تصرخ بفزع وهى تبعد معتز عن ساجد:
- سيبه سيبه بقولك ... بالله عليك سيبه

ابتعد معتز ما إن شعر ببكائها وكاد ينقض ساجد عليه مرة أخرى لكنها اندفعت
لأحضانه مسرعة تبكى خائفة

دفنها بحضنه يوجه نظراته الثائرة تجاه من ينظر إليها بحزن ليسبه صارخا:
- بقى أنا تتعدى على حرمة بيتى قسما برىبى لأنهيك ... مفيش شغل بينا ابقى شوفلك
حد غيرى وأنا مش هسكت على اللى حصل ده

تجاهله معتز وهو يطالع تلك المرتجفة كالعصفور بأحضان غريمه ليجيب بتهدج:
- اعمل اللى تعمله

زمجر ساجد غاضبا يريد ضربه مرة أخرى لكن اشتدت سديم على احتضانه ليحاوطها
بيده

ظل يتطلع إليه بغضب قبل أن يلتفت معها خارجا من ذلك القصر اللعين بمن به

قبل أن يخرجوا تحدث معتز باختناق:

- باقى فلوس شغلك هتوصلك فى حسابك بالبريد مش أنا اللي آكل حقك عشان
خلافات

تجاهله ساجد وهو يأخذ سديم الشاهقة بكاء للخارج ونظراته متوعدة

حل الليل على الجميع

كانت بغرفتها تحتضن الوسادة مبتسمة ببلاهة تنافى حالتها سابقا
بعدما ترك محاضرتة ليبقى معها أصر على توصيلها تاركا لين الغيبة بالجامعة تشتعل
غضباً

زادت من ضم الوسادة بحب ... حقا كم هى طفلة

أقل فعل يحزنها وأقل كلمة تفرحها

شهقت بفزع بعدما سمعت صوت الرياح الثائرة بالخارج لتتقلب شفتاها خوفا
ابتلعت ريقها محاولة الهدوء لكن ارتفع الصوت أكثر وازداد معها ضربات قلبها
الخائف

وضعت يديها على أذنيها عل خوفها يزول لكن ازدادت خوفا

أمسكت الهاتف بسرعة تتصل بها هو منقذها الذى لطالما كان يجلس معها عند خوفها حتى تهدأ

توترت وترددت عدة مرات لكن حاجتها للأمان انتصرت تلك المرة لتنتظر الرد بنفاذ صبر

ما إن أجاب حتى تحدثت بسرعة بلهفة:

- تميم بالله عليك تعالى حالا أنا خائفة أوى والهوا شديد

منذ أن عادا وهو يحتجز نفسه بالداخل بينما سديم لم تجرؤ على الدخول تكاد تموت خوفا وجسدها يرتعش بينما دموعها تهبط بهدوء مناف لها

جفلت بعنف بعدما سمعت صوت هاتفها لتجيب بسرعة دون معرفة المتصل حتى

جحظت عيناها بعدما وجدته معتز فكادت تغلق الهاتف لكن رجاءه منعها لتستمع لحديثه بصمت:

- سديم أنا بحبك من وإحنا صغيرين بس للأسف اتجبرت أتجوز فى سن صغير والله العظيم ما كنت هأديكى انا بس كنت هعترفلك بحبى

على العموم أنا مش هجبرك ولا عمرى هضرك لأن اللى بيحب بيحب سعادة حبيبته أكثر منه هو

أنا ... أنا كلمت ناس كتير أعرفها ودليتهم على ساجد عشان ... عشان يشغلوه

هم محتاجين مهندسين ويبينوا كتير فهيحتاجوه دائما

أنا مش عملت كدة عشانه ... أنا لو بإيدى أمحيه هعمل كدة لكن

أنا بس عايز أشوف الفرحة فى عينيكى مش عايز أشوفك محتاجة حاجة
عايز تعيش فى نعيم مش فى فقر
هفضل دايمًا بحبك وهفضل منتظر اليوم اللى تجيلى فيه
بحبك

أنهى حديثه ببكاء سرعان ما أغلق هاتفه
تطلعت للهاتف بصدمة لتسقط دمعاتها الحزينة
نظرت مرة أخرى للباب الفاصل بينها وبين حبيبها وزوج عمرها لتقرر الدلوف
يجب أن تنتهى تلك الليلة المظلمة عل خوفها يزول

كان بالمطعم يتناول الطعام مع لين السعيدة بخروجهم أخيرا وهو سعيد
بينما هو ابتسامته من الأذن للأخرى فقد عاد ولو جزء صغير من علاقته مع مياسين
الآن يعلم جيدا كيف يتعامل معها ... إن ابتعدت هى فليقترب هو بدلا من الوقوف
مكانه مكتوف اليدين

أفاق من شروده على رنين هاتفه
لمعت عيناه فرحة يجيب بلهفة عليها:
- أيوة

استمع لكلماتها الخائفة بانتباه شديد ليردف ناهضا بلهفة:
- أنا جاى أهو

أنهى المكالمة ليأخذ متعلقاته معتذرا من تلك الحانقة:

- معلش يا لين مضطر أمشى

تحدثت لين ضاغطة على أسنانها:

- اتفضل

ذهب مسرعا دون عرض توصيلها حتى

تطلعت لأثره غير مصدقة أفعاله لتضيق عينيها مقرررة إنهاء تلك المهزلة

بالتأكيد الموضوع به ... مياسين

أخذت حقيبتها متجهة للخارج وقد قررت فعل ما برأسها

تطلع لشريفة بابتسامة بعدما قرأوا الفاتحة وتركتم العائلة بمفردهما

تقدم للأمام بجسده قليلا متحدثا بهدوء:

- ها كنت حابة تسألني إيه

بللت شفتيها متممة بخفوت:

- ليه سبت نيرة واتقدمتلى و... إنت عارف إنها كانت زميلتى

همهم لها بتفهم حتى تحدث بهدوء:

- عادى متفقتناش والجواز محتاج دماغ فاهمة بعضها فسيبنا بعض

عقدت حاجبها بضيق فلم تحصل على إجابة شافية لكنها خجلت من طلب التوضيح
للتابع:

- طب مش يمكن بسبب السن الكبير اللي كان بينكم واللى هو بينا وأكبر

قالتها ببعض الجمود ليبترسم متحدثا:

- أنا مبيفرقش معايا السن ... المهم إننا نقدر نفهم بعض واللى إن شاء الله هيحصل
... ها حاجة تانية

كان لديها الكثير والكثير من الحديث لكنه تبخر لمجرد رؤياه فتلك أول مرة توضع
بهذا الموقف التزمت الصمت مقررة خضوع تلك التجربة عليها تراح له خاصة أنه لا
يملك مشكلة إن قررت العمل لاحقا

بينما كان صلاح بغرفته يتغزل بمحبوبته سعيدين فقريبا سيتزوج حبهما بالزواج

دلفت للغرفة فوجدته جالس على الفراش بالظلام الحالك لولا الضوء الخافت من
الخارج لما رآته

أنارت المصباح لتراه بوضوح وليتها لم تفعل فقد كانت ملامحها تنافس الظلام حوله

اقتربت ببطئ حتى مثلت أمامه ليظل هو ينظر للأسفل بشرود

هبطت على الأرض أمامه تحتضن وجهه متطلعة إليه برجاء

رفع نظره قليلا لينظر إليها ... شهقت بصدمة بعدما رأت الدموع الحبيسة بعينه
والتي سقطت عندما تطلع إليها

سارعت بإزالة دموعه بحنانها الدائم ليتحدث باختناق:

- بتحبيه؟

نفت مسرعة وارتفعت قليلا لتضرب أنفاسها وجهه متحدثة بلهفة:

- لا لا والله العظيم عمرى ما حبيت ولا عشقت غيرك

هبطت دمعاته مرة أخرى وهو يمسك ذراعها يقبلها بحب ولهفة

ابتعد عنها بصعوبة متمتما بتملك:

- إنتى بتاعتى أنا بس فاهمة

أومأت له بسعادة ليبتسم بصعوبة شديدة لا يريد أن يحزنها أو يخيفها حتى ولو هو
محطم من الداخل

أحاطت وجنتيه متحدثة بعزيمة:

- انسى أى حاجة وهنبداً من جديد وهتشتغل وأكيد ناس هيعوزوك وهتكبر أكثر وأكثر

لمعت عيناه حالمة ليتحدث بأمل:

- بجد

أومأت له بابتسامة سعيدة:

- أيوة بجد

قبل باطن يدها المحاوط لوجنته وشرد بلامحها الجميلة وبداخله ألف تهيدة وكلمة
يريد إخراجها

عاود لتقبيل يدها مرة أخرى وقد عزم على النجاح
سينجح وسيكبر اسمه ... سيجعلها تعيش بمستوى أعلى ... سيوفر كل شيء لها
سيكون أفضل من أي شخص دخل حياتها

متمددة على الأريكة لتنام بينما هو يجلس على المقعد أمامها يراقبها بصمت وحنان
حتى تخلد للنوم

لا تمر ثانية إلا وتتسع ابتسامة تميم لتذكره أنها لجأت إليه هو فقط دوناً عن أحد
غيره

تنهد بخفوت وإعجاب يشاهدها كيف تغمض عينيها ببطء وتتالي لقرب سقوطها
بسبات عميق

انتفض كلاهما ناهضين بفرع ما إن استمعا لصوت طرقات الباب العالية

عقد حاجبية بتعجب واتجه للباب بعدما طمأن مياسين بابتسامة

فتح الباب بحذر لتجحظ عيناه بعدما وجد لين أمامه

دفعته لين ودلفت للداخل لتتطلع مياسين إليها بصدمة
ثوان وارتفعت ضحكات لين تتحدث غير مصدقة:
- بقى سايبنى عشانها

اقترب تميم منها متضايقا لحضورها:
- إيه جايبك يا لين وعرفتى البيت منين

تجاهلت كلماته وهى تقترب من تلك المتييسة بمكانها لتتحدث بقسوة:
- مش مهم ده المهم إن بنت الحرام والملاجئ قدرت تضحك عليك مش كدة؟

اتسعت عينا مياسين شاهقة بعنف ومفاجأة تضع يديها على فمها وهى تتطلع لتميم
بصدمة

شهق هو الآخر بخفوت قبل أن يتقدم منها ممسكا ذراعها بشدة قبل أن تسقط يده على
وجنتها بصفعة مماثلة لقسوة كلماتها

نظرت لين إليه بغضب صارخة:
- بتضربنى عشان بنت الحرام دى أنا سيباهالك مخضرة اشبع بيها

خرجت من المنزل بعدما هدمته وجعلته أنقاضا

تنفس تميم بصعوبة وهو يقترب من المتييسة محلها:
- آا ميا ... ميا صدقيني أنا

رفعت أنظارها إليه تتحدث بجمود لم يخفى كسرتها وتهديج نبرتها:
- إنت اللى حكيتلها

صمت بخزى دون التفوه بحرف يلعن نفسه عندما أخطأ وأخبر لين بكل شيء
حركت رأسها لأعلى وأسفل عدة مرات غير مصدقة ودموعها تهبط ببطئ قاتل

اقتربت منه وشهقاتها بدأت تتحرر من شفيتها المنفرجتين لتتحدث ببكاء قارب
للصراخ:

- إنت نهيت كل حاجة بينا مفيش أى شيء هيجمعنى بيبك تانى

قطع المسافة بينهما وأمسك ذراعيها بلهفة يتحدث بذهول ورعب:

- ميا ميا إيه اللى بتقوليه ده أنا ... أنا مقدر زعلك بس ... بس ... ميا بالله عليكى ...
سامحيني أنا آ .. أنا آسف والله العظيم آسف مش عارف إزاي حكيتلها بس سامحيني
بالله عليكى وحياتى عندك وغلاوتى متزعلنى ولا تبعدى عنى

قربت وجهها منه متممة بهمسة متوجعة وموجعة:

- بكرهك

ابتعد كمن ضربه صاعق وهبطت الدموع غزيرة من عينيه ليتحدث بصعوية:

- إ .. إنتى مش بتكرهينى صح ... إنتى بس زعلانة منى

تطلعت له من أسفل لأعلى بقرف وكره متحدثه:

- بكرهك يا تميم ابعدي بكرهك وكرهت العمر اللي قضيتہ معاك بالله عليك ابعدي
عني متدمرش بقية حياتي

احمر وجهه واختنقت داخله ليركض مسرعا للخارج متعثرا بكل شيء حتى كاد يسقط
عدة مرات ودموعه قد استباححت الهبوط

تطلعت لأثره بشروء قبل أن تضحك بهستيرية تبعها بكاء عنيف وصرخة وجع عميقة:
- آآآآآآه

مرت سنتان ومرت معها الأحداث حلوها ومرها

بمنزل بسيط يعمه الهدوء والحب يستيقظ بكسل إثر تحريكها له بحنان:
- يلا بقي بطل كسل الله

همهم ناهضا يجلس على الفراش يفتح عيناه بصعوبة
ضحكت عليه مقبلة وجنته:
- طب يعني أقول صباح الخير ولا تصبح على خير بمنظرك ده

قهقهه عليها وقد أفاق ليتنهد ناهضا بعدما بادلها القبلة:
- خلاص قمت أهو يادوب ألبس وألحق الشغل ... مدير المصنع ما شاء الله عليه
حاجة زفت يعني

نهضت هي الأخرى مثلت أمامه مربطة على صدره:

- معلش يا قلب رحمة هو الشغل فى البداية بيبقى صعب كدة لكن هتتعود

ابتسم صلاح موافقا إياها ثم ذهب ليرتدى ملابسه

تطلعت رحمة له بابتسامة صافية محبة فقد أثبت لها حبه لا تهوره كما ظنت

ذهبت ابتسامتها رويدا بعدما تذكرت ماضيها الذى يطاردها ولا يجعلها تهناً معه

مر شهران فقط على زواجهما لكن خلالهما تتذكر كل شيء وكل رجل لمسها

حركت رأسها بعنف تطرد تلك الأفكار فقد أمر الله بالستر لها فلتحمد ربها بدلا من أن
تفضح نفسها

عاد للمنزل متعبا ليجدها تجلس بالغرفة متجهمة الملامح

تنهد بتعب وجلس بجانبها مردفا:

- مالك مكشرة كدة ليه ؟!

رفعت شريفة رأسها تتطلع إليه بنظرات حادة:

- وأكثر ليه هو انا ليا حق مثلا ؟!

زفر قصى عنيفا غير قادر على المجادلة لينهض يغير ملابسه:

- طب بطلى نكد بقى ده إحنا عرسان جداد حتى

نهضت هي الأخرى مسرعة متهمكة:

- بجد؟! طب كويس إنك عارف ... شهرين يا قصي شهرين مخرجش أتفسح ليه ها مشبهش أى عروسة ولا مشبهش

التفت إليها مبتسما بلا روح:

- معلىش أسيب الشغل يعنى عشان حاجات تافهة زى دى

اتسعت عيناها غير مصدقة:

- إننا نخرج ولو يوم أو حتى يا أخى نتغدى برة مرة واحدة اسمه حاجة تافهة

أوما بشكل قاطع يضيف بحنق:

- طبعا وشغل عيال كمان مش مقامى أخرج للأماكن التافهة دى ولا نتفسح ... قال نتفسح قال ... يلا يا حبيبتي حطيلي الغدا جعان وفكى وشك ده مش ناقص وجع دماغ أنا

تركها وخرج للمرحاض بينما هي تطلعت لأثره بحسرة وحزن

كانت تستلم بعض المال من أموال محمد الذى يرسلها إليها من السعودية لتستطيع أن تعيش بهم فقد رفضت تماما أى مساعدة ممن كانت تعشقه وقطعت كل صلة به

خرجت وهي تهندم المعطف تنكمش على نفسها من البرد تعدل حجابها

تسير بالطريق شاردة بلا روح أو حياة وقد ذهب كل شيء معه

كل ليلة تنام والدموع تسيل على وجنتيها التي تكاد الدموع تحفرهما
وعيناها المنتفخة من بكائها يوميا

سنتان كاملتان ولم تنسه ... سنتان ولم يفارقها خياله ... لكن محال
لن تنحنى مرة أخرى مياسين ستظلى هكذا وحيدة لكن بكرامتك وأنوثتك

كان يسير خلفها بعدة أمتار قليلة والدموع بعينيه لم تجف أبدا مثلها
وكيف تجف وهي بعيدة كل البعد عنه
يلعن نفسه كل ليلة ... لا تمر ليلة إلا ويفكر بقتل نفسه
كيف فعلت بها ذلك يا تميم؟! ... كيف أخبرت تلك اللعينة بحياتكما الخاصة؟!
كيف أفشيت سرا استأمنته هي عليك؟!
ليتها تعود وسيسقط على قدميه يقبل قدميها لكن تعود فقط
سيكون خادما رهن إشارتها لكن تقبل حتى النظر إليه

لا زال يتذكر تلك المرة منذ سنتان عندما ألهبه الشوق بعد مرور يوم واحد من الفراق
عاد إليها يستسمح عودتها فقابلته بالصراخ حد فقدان الوعي
خاف عليها كثيرا وقرر المحاولة مرة أخرى
لكن باءت محاولاته بالفشل فقد رفضت مقابلته حتى
كيف أصبحت بتلك الجمود والقسوة
ابتسم بتهكم ... أيسأل عن جمودها وقسوتها ولم يسأل عن غبائه

لقد أطفأها جعلها وردة ذابلة ... ليته يستطيع أن يرويها يعيدها أجمل وردة رآها
بحياته والتي لن يرى غيرها أبدا

تنهد بخفوت رافعا رأسها لأعلى فسقطت دمة بطيئة من عينه المنطفئة حزنا

عاد للنظر أمامه يراقب خطواتها الخالية من الحياة مثله تماما

ظل تميم يسير خلفها كعادته يوميا يراقبها من بعيد عليها تناديه ولو مرة تطلب قربه

- آاه

صرخت بوجع إثر صفة قوية من تلك النزيلة المتعجرفة:

- امشى من هنا يا غبية بوظيتلى الفستان اطلعى برة وغلط تانى وهخلى المدير
يطردك

خرجت نيرة ركضا تمنع دمعاتها من الهطول

توفيت والدتها منذ عام ... توفيت ولم تجد أحد بجانبها ... لم يكن سوى سكان
حارتهم فقط

بينما ساجد اكتفى بالاتصال!

ساجد الذى دوما ما سخرت من عمله

لتصبح هى عاملة بفندق تنظف الغرف تحت رحمة الجميع

الكل يهينها كما يشاء

بكت بصمت محاولة التماسك فمازال أمامها عمل طويل بالفندق

بمجمع راق يحتوى على العديد من المنازل الفخمة
كان على فراشه يمثل النوم كالعادة يريد أن يعيش كل لحظة وهى تقترب بأنفاسها منه
تلمس وجهه وتقبله دون خجل ... فهو نائم كما تظن

شعر بفراشات بمعدته يستشعر شفتيها الناعمة على وجنته ليمنع ابتسامته من
الخروج

تنهد بخفوت وحزن فقد بدأت تحاول إيقاظه قاطعة تلك اللحظات الرائعة:
- ساجد ... حبيبي اصحى

رمش بعينه قليلا ممثلا الاستيقاظ
قابله وجهها البرئ الذى لم يتغير أبدا طوال تلك السنتين
مال عليها قليلا متهددا بحب يقبل جبينها:
- يا صباح الجمال

ابتسمت بهيام وخجل متممة:
- صباح النور ... أنا ... أنا جهزت الفطار تحت هتزل تاكل ولا أجيبه

أمسك يدها يقبل باطنها وكم تعشق هى ذلك يجيب مبتسما:
- لا متعبيش نفسك أنا هلبس وأنزل

أومأت له حتى أضافت معذرة:

- معلى يا حبيبى نسيت أسألك عن يومك امبارح

تطلع إليها بعتاب وحزن طفل أهملته والدته:

- وكمان نمتى مش استنتينى زى كل مرة

زمت شفتيها بحزن واقتربت مقبلة وجنته:

- آسفة والله يا حبيبى كنت نعسانة جامد مش هتكرر تانى والله

سرعان ما أضافت بحماس فهو كل عالمها:

- ها احكىلى حصل إيه ؟

تنهد مخرجاً حديث طويل منع نفسه بصعوبة من إيقاظها أمس

كان يشعر بالنقص بعدما نامت وتركته:

- بس ... ده كل اللى حصل ... ادعيلى كدة الراجل ده لو شغلى عجبته المكتب

الهندسى بتاعى هيكبر أكثر وأكثر

ابتسمت بفرحة وحب متممة بهمس:

- بدعيلك يا روحى وحبيبى من كل قلبى

دق قلبه بعنف ليقتررب رويدا منها حتى اختلطت أنفاسهما

أغمضت عينيها لثوان هائمة بقربه حتى ابتعدت بسرعة تردف بخجل:

- يلا يا حبيبى عشان تلحق

أوما لها متفحصا وجهها جيدا لا يمل من ذلك لتتوتر حتى ركضت للخارج خجلة بشدة
منه

نظر لها بضحكة سعيدة محبة ... تنهد عميقا يتطلع لأنحاء الغرفة الفاخرة ككل يوم
ليتذكر ما استطاع أن يصل إليه متحديا كل من اعترض طريقه وقال أنه سيفشل

عداها هي سديمه والبريئة خاصته الوحيدة التي وقفت معه وشجعتة بل وجهته لكل
شيء ولأقل فعل

آه كم هو متيم بها!

ممسكة هاتفها كالعادة تشكو والدتها باكية:

- يا ماما حرام اللي عملتوه فيا ده ... أنا حاسة إنى عايشة مع واحد عجوز بخيل ...
كل همه يحوش القرش مفيش خروج مفيش فسح مفيش شرا وعمال يزن عليا
بالحمل ومبخرجش غير يكشف يشوف أنا حامل ولا لأ

تنهدت ثريا من حال ابنتها فتحدثت محاولة تصبيرها:
- يا حبيبتي مش بعد سنة من الخطوبة قلتي ارتحتيله وهتكملی

أومات شريفة وأردفت مدافعة عن نفسها:
- أيوة ارتحتله بس عشان كان متصنع طول فترة الخطوبة عمره ما بينلى الجانب ده
ومتنسيش أنى قلتلك ارتحتله لكن معرفش هتقبله كزوج ولا لأ

صمتت ثريا لا تعلم بما تجيبها فأى كلمة منها ستأتى بمفعول عكسى

يتناولان الفطور بهدوء لا يخلو من لمساته فأحيانا يمسك يدها وأحيانا يطعمها بنفسه
وسط ابتسامتها المتسعة فرحة

حمحت بخفوت لتبدأ الحديث متوترة:

- احم ساجد كنت محتاجة طلب

همهم لها مستمعا بإنصات لما تريد فأكملت حديثها:

- عايزة مع بداية الدراسة أحضر بقى الكلية زى الباقي

توقف عن مضغ الطعام لثوان حتى استمر بالمضغ لكن ببطئ لتستمر هي متوجسة:

- ها يا حبيبى موافق

ابتلع الطعام ومسح فمه بمحرمة قبل أن يمسك يدها يقبل باطنها متمتا بابتسامه:

- لا

صدمت من رده فقد ظنت أنه وافق لتحاول مجادلته لكن كالعادة استطاع إقناعها
بكلماته الساحرة لكن صادقة:

- سديم أنا مش عايزك تروحي مكان وأنا مش معاكى إنتى بريئة وطيبة افرضى حصل
حاجة أو حد ضايقتك وأنا مش موجود

أنهى كلماته بغيرة حارقة عاقدا حاجبيه ضيقا لكنها أشرق وجهها بكلماته تلك لتتحدث
بلهفة:

- ليه ده كله

صمتت منتظرة الإجابة بشدة لكن أطفئت شعلة حماسها عندما ارتفع رنين الهاتف وأجاب هو مسرعا
تهدت بياس ... متى سيعترف لها بحبه؟ متى سيطمئنها؟ متى تعلم إن كان حتى يحبها أم لا؟

أنهى مكالمته لتسأله مبتسمة لا تريد أن تعكر مزاجه قبل أن يذهب لعمله:
- خير يا حبيبى

تحدث ساجد ببساطة:

- مفيش واحد مفكر إنه هيستغفلى ... عايزنى أشتغل على ملجأ بنص التمن اللى باخده بحجة إن كل حاجة جاهزة وفى الآخر هلاقى ولا حاجة جاهزة

اجتمعا حاجبيها معبران عن ضيقها تجيب:

- أيوة يا ساجد بس ده ملجأ للأطفال ما تبنيه ولو ببلاش حتى دى مش فيلا ولا قصر لناس أغنية ده ملجأ للأطفال بسيطة ملهاش بيت غيره

تنهد غير مقطنعا بكلماتها:

- بس اللى عايز يبنيه معاه فلوس مش فقير يبقى يدفع والراجل ده مش سالك

تطلعت إليه مذهولة غير مصدقة لتتحدث حزينة مختنقة:

- بس حرام أكيد بيوفر فلوس ليهم وللبن والأكل ... ساجد بالله عليك ابنيهوله ...
سواء معاه فلوس ولا لا ده خير

زفر مطولا حتى أسرع يقبل عينيها بعدما وجد الدموع تكونت بهما يبتسم على طيبة حبيبته:

- لا لا خلاص حاضر والله خلاص

- بجد

نطقها وهى تبتلع غصتها ضاغطة على شفيتها ليبتسم بحب مجيبا:

- بجد

أنهت رحمة مكالمتها مع حماتها تلك المرأة الطيبة التى لا تنفك على السؤال عنهما

تمددت على الفراش مغمضة العينان ومازالت تلك الوسوس تدور داخلها:

- يا ترى لو صلاح عرف هيعمل إيه يا رحمة ... أنا مش قادرة أخبى عنه الماضى
بس ... بس لو عرف هيسيبنى وأنا بحبه مقدرش أعيش من غيره

تنفست بعمق قبل أن تنهض لتدير شئون منزلها محاولة تجاهل تلك الذكريات

وصلت للبناية التى أجرت بها شقة جديدة بدلا من تلك التى كانت بها والتى كانت ملك صديقه

كادت تصعد الدرج لتدخل البناية لكن لا تعلم ما الذى أوقفها

ظلت ساكنة بمكانها لثوان حتى التفتت بسرعة تنظر خلفها

جفل تميم عندما وجدها تلتفت مسرعة حتى لم يعلم ماذا يفعل فظل متيبس بمكانه
تهدت مياسين وهى تراه على بعد أمتار منها
ظلا يتطلعان لبعضهما بصمت ورغم المسافة بينهما إلا أن كلاهما استطاعا رؤية
الدموع بعينيهما جيدا

شهقت بخفوت قبل أن تلتفت راکضة للداخل
نظر لأثرها بحسرة وهبطت دموع جديدة بعدما جفت ما قبلها

- تعالى بس

قالها العجوز بطريقة مقززة لتحاول الإفلات منه حتى استطاعت
خرجت ركضا من الغرفة تبكى بقهر
ظلت تتطلع للطابق بتيه حتى ركضت للأسفل حيث غرفة العاملات

دلف للغرفة تحمد ربها عدم معرفة مديرها ... ارتمت على الفراش تبكى بحسرة حتى
لمعت عيناها عندما جاء ببالها

أخرجت نيرة الهاتف من جيبها بلهفة تستجد به لا مفر غيره
ثوان وجاء الرد لتجيب بلهفة:
- ساجد بالله عليك الحقنى أنا نيرة

كان بمكتبه يعطى الأوامر لمن معه ... ما إن خرجوا حتى ارتفع رنين هاتفه باهظ الثمن

أجاب بهدوء ليصعق عندما أتاه الرد ... إنها هي ... من أحبها وكان مخلصا لها
فكانت إجابتها إهانة رجولته
حاول التماسك مجيبا ببرود:
- خير

ابتلعت نيرة غصتها بخوف وتوتر فأخر لقاء لهم منذ سنتين ليس مبشرا أبدا
لموافقته:

- أنا ... أنا شغالة فى فندق اسمه ----- ودلوقتى فى واحد حاول يتهجم عليا
ومينفعش أسيب الشغل معيش فلوس بالله عليك ساعدنى

همهم بانتصار متمما بنبرة باردة غير مبالية:
- والمفروض إنى أعمل إيه؟

اتسعت عيناها بصدمة لتجيب بتوتر:
- ت ... تساعدنى

قهقهة بخفة وجبروت متتهدا:
- بتخلصى شغلك امتى
- ٩ بالليل

همهم بتفكير حتى أضاف وقد بدأ بالتخطيط جيدا لما برأسه:
- ساعتين واكون عندك فى الفندق لو ملقتكيش برة مستنيانى انسى إنى اساعدك

أومات مردفة بخضوع ولهفة:
- حاضر حاضر

أغلق الهاتف دون إلقاء السلام مبتسما بلذة انتصار وقد أتت فرصته دون تعب

تردد كثيرا..أحاول التحدث معها مرة أخرى عله ينجح أم سيلقى الفشل كالعادة؟

حرك قدمه بسرعة وتوتر لا يعلم ماذا يفعل ... لكن الحنين يأخذه إليها
تنهد متشجعا وقد قرر الصعود
صعد تميم قاطعا الدرج الخارجى
لا يعلم لما لم يأخذ المصعد بل قرر استخدام الدرج
لا بل يعلم ... فما يأتى بسهولة يذهب بسهولة وهو لا يريد ذلك
سيأخذ أصعب السبل إليها علها تلك المرة تظل بجانبه دون تركه أبدا

صعد آخر درجة والتفت تجاه شقتها لتجحظ عيناه صدمة سرعان ما تحول لغضب
وهو يجد شابا يقف معها أمام شقتها

كانت تنظف المنزل بكل حب حتى توقفت وقد اشتاقت إليه كثيرا
أمسكت هاتفها مقررّة الاتصال به تضحك بخبث
تعلم جيدا أن صوتها كاف لجعله يتبعثر داخلها وقد يتلقى كلمات حادة من مديره
لكن ماذا تفعل اشتياقها يغلبها!

وضعت رحمة الهاتف على أذنها تكتّم ضحكتها بصعوبة منتظرة انفجاره وقد كان:
- إيبه بتتصلى ليه يا بنتى؟ قلتك مترنيش وأنا فى الشغل

انفجرت ضحكا عليه مجيبة بنبرة مأكرة:
- امم ليه بقى؟

تنهد متحدثا بنصف عين:
- قال يعنى مش عارفة لما بتتصلى بفضل أفكر فيكى ومبعرفش اشتغل والمدير كل
شوية يلف علينا وب...

انتظرت تستمع لباقي كلماته فلم تجد سوى الصمت
عقدت حاجبيها بتعجب وأبعدت الهاتف لتجده قد أغلق بوجهها

انفجرت ضحكا مرة أخرى متيقنة أنه أغلق بسبب المدير الذى بالتأكد يراقبهم

وضعت الهاتف بجيبها واستمرت بالتنظيف تنتهد كل دقيقة حاملة هائمة
وأخيرا حصلت على حياة هادئة تمنتها طوال حياتها الملوثة بالم...

حركت رأسها عدة مرات بهزات عنيفة تمنع اتجاه تفكيرها للماضى
يجب أن ينسى ويندثر

وضعت الطعام على الطاولة ثم جلست بجانبه متنفسة بعمق حانقة من تلك الحياة التى
تمنت عكسها تماما

لطالما كانت تتخيل حالها زوجة محبة ومحبة
زوجة ترعاه فيرعاها ... لكن لم تتل أى شيء سوى الفتور

ابتسمت بأمل عليها تنعش علاقتهما بنفسها
مدت يدها تلتقط قطعة خبز بالجبن وقربتها من فمه تطعمه وتدللّه كأنه طفلها

نظر قصى ليدها الممدودة قبل أن يضيف ضاحكا وعلامات الاشمئزاز على وجهه:
- لا لا بقرف هاكل لوحدى

احمر وجهها إحراجا من جملمته
سقطت يدها على الطاولة منهارة هى الأخرى

حاولت تناول الطعام متجاهلة ماحدث لكن كان لعينيه رأى آخر
بدأت شريفة تبكى بصمت على الطاولة دون تناول ما عليها

كان منهمكا بالأكل حتى لاحظ بضعة شهقات ليتطلع بجانبه
اتسعت عيناه عجا مما يراه ... لما تبكى تلك المرأة!!

- بتعطى ليه؟

أجابته باكية بشهقات:

- عشان حرجتنى وقلت بتقرف

رفع حاجبه من حماقتها ليجيب غير مصدق:

- بتهزرى صح؟! أكيببيد بتهزرى

أنهى جملته صارخا قبل أن ينتفض من مكانه تاركا الطعام:

- دى بقت عيشة تقرف كل يوم نكد وغم وعياط ... أنا نازل القهوة

تركها خارجا من المنزل لكن مازال صوت سبابه يصل إليها

تطلعت لأثره بذهول تام قبل أن تنفجر بكاءا تزيح الأطباق من أمامها بعنف حتى كادت تقع

لم ترد سوى أن يربت على ظهرها

لم ترد سوى تقبيل وجنتها

لم ترد سوى احتضانها ومواساتها لكن كالعادة قابلها بالعكس مخالفا كل توقعاتها

تتمسح به كالقطة دموعها تهبط غزيرا باكية بعنف على فراقه

مخفض الرأس يتطلع إليها بحنان وحب يربت بيده على رأسها والأخرى تضمها إليه بشدة متمسكا بها:

- هرجع علطول والله هو يوم بس

نفت بعنف داخل قميصه تريد الدخول لقلبه تردف معاتبة إياه:

- عمرك ما سيبتنى من ساعة ما اتجوزنا يا ساجد ... عايز تبعد عنى يوم كامل

قالتها لتنفجر بكاء مرة أخرى تندفع لأحضانه أكثر وأكثر وقبضتا يدها الصغيرة
تضربان ظهره الصلب بضعف ليبتسم أكثر وأكثر عليها وعلى عشقها الذى يذوب به

أخفض رأسه قليلا دافنا إياه بشعرها الناعم الذى يهلكه ككل ذرة بها يتنفسه بعمق
ليأخذ أكبر قدر منه يكتفى به

لاحظ سكون جسدها بعدما كان يهتز قليلا لبكائها فأبعدھا عنه بحنان ليضحك بخفوت
على وجهها الملائكى الذى نعس بأحضانه كالعادة

اقترب بوجهه منها مقبلا إياه بلهفة وحب لتبادلہ بخجل وقد تركها النعاس وحل محله
العشق والعشق فقط

مرت مدة طويلة وهما على حالتھما قبل أن يبتعد ببطئ وحزن من الابتعاد
رفع عينيه التى كانت تراقب شفتيها ليتطلع لعينيها اللامعة داعما إياھا

زمت سديم شفتيها رافضة دعمه تلك المرة ... تريد دعمه بكل شيء عدا الدعم
لجعلھا قادرة على الفراق

وضع إبهامه على شفتيها عاقدا حاجبيه برجاء لتزفر مستسلمة تحرك رأسها موافقة

احتضنها بسعادة لتتمسك به أكثر وأكثر مردفة:
- متأخرش عليا عايزة أصحى بكرة الأليك جمبى وأول حد أشوفه

أوما لها بابتسامة محبة ليودعها ذاهبا للنهاية!

تعجبت لغضبه ومواجهته إياها لأول مرة منذ سنتين
قررت مياسين تجاهله وهي تتحدث للشاب:
- شكرا يا أستاذ حسن وألف مبروك لأخو حضرتك

بادل الشاب المدعو حسن نظرات تعجب بينها وبين ذلك المشتعل غضبا حتى تحدث
بابتسامة:
- العفو أنا تحت أمرك آه

صاح بألم بعدما تلقى ضربة من قبضة يد فولاذية تبعها بعدة ضربات أخرى
صرخت مياسين بجزع قبل أن تندفع محاولة تخلص الشاب من براثن تميم بل
والأحق القول الثور الهائج:
- ابعد عنه بقى

صرخت غاضبة ليتركه تميم ففر الشاب لشقته بالأعلى بينما تميم ظل جالسا أرضا
بعدما كان فوق الشاب يبرحه ضربا

زفر عدة مرات وشيء يأكله داخليا ويحرق روحه تماما بينما هي كانت تتطلع لظهره
عاقدة حاجبها بعصبية تامة من عجرفته وتدخله بشئونها

قررت التحدث وبالرغم من الغضب بنبرة صوتها إلا أنه استطاع التقاط ألحان من الوجد القاتل:

- مين سمحك تدخل فى حياتى

كانت الجملة كافية لهدم كل ما حاول تهدئته فاشتعلت ثورته مرة أخرى ثانية واحدة وكان يدفعها للداخل عنيفا مغلقا الباب بقوة تطلعت له بارتجاف بينما هو يقترب ببطء وقد احمرت عيناه من فرط الغضب وضع يده خلف أذنه رافعا حاجبه يجيب بخفوت مخيف:

- نعم ... سمعنى تانى كدة

ابتلعت ريقها خوفا خاصة بعدما التصقت بالحائط ولم تجد مفرا آخر لتجيب متوترة:

- م ... مين سمحل ... ك

انقطعت كلماتها وجحظت عيناها بعدما شعرت بلمس رطب على شفتيها يقبلها؟!!

لم يستطع الاستماع لجمالها التى أحرقتة مرة أخرى فانقض عليها يقبلها بكل قدرة وعنف لديه ليعلمها جيدا أنه كل حياتها وله الحق للتدخل أينما وكيفما يشاء بل وبالطريقة التى تعجبه

غير عابئ بمقاومتها التى لا تقل عنفا عن قبلته والتى قلت تدريجيا

هدأت ثورته لكن شعلة قبلته لم تهدأ حتى تركها أخيرا

كانت بحالة مزرية تضع يدها على فمها غير مصدقة ما حدث بينما هو شارد بوجهها

ثوان وأدرك جيدا ما فعله لينتفض كمن تعرض للصعق والذهول باد على وجهه الذى شحب لونه

ابتلع ريقه بتوتر وعدم تصديق لما فعله ... يتطلع لكل شيء عداها حتى تطلع إليها بالنهاية

أقبل أخته للتو أم أنه يتخيل؟!

أسنتان كانتا كافيتان لجعله يدرك أنها ليست بأخته؟

لم يستطع البقاء أمامها ليركض للخارج مسرعا كمن يطارده وحشا

تطلعت لأثره غير مصدقة ما فعله ... وضعت كلتي يديها على فمها ومازالت زاهلة

هبطت على الأرض ببطئ وبدأت الدموع تهطل من عينيها غزيرا

حتى جسدها لا يعلم ماذا يفعل

أبكي أم يصرخ أم يحطم كل ما حوله

لا تعلم ماذا تفعل فاكتفت بارتخاء جسدها فقد تعبت كثيرا تريد الراحة ليوم واحد ولو بالموت حتى!

كانت منهمكة بعملها قبل أن تشعر بالدوار مرة أخرى كعادتها مؤخرا

ظلت تتنفس عميقا بصعوبة عليها تهدأ لكن يزداد الدوار

قررت رحمة الجلوس تستريح قليلا بعدما تناولت كوب عصير

بالتأكيد أرهقت نفسها كثيرا بتنظيف المنزل

- يووووه متقرفينيش بقى

يئست منه ومن أن يعترف بخطأه فأجاب بضعف:

- عمرك ما هتتعترف بغلطك أبدا ... بقى دى جوازه تجوز بنتك لوحد لا لايق عليها لا
فى السن ولا الطبع ... البنت يا حبة عيني مش عارفة تتأقلم معاه

زفر عاصم بغضب وضيق من حديثها:

- بنتك بتدلع ومش قد المسئولية بكرة تتعلم

تركها وخرج من الغرفة لينهى الحديث تماما بينما ثريا تتطلع لأثره باكية على حال
ابنتها

كانت الأختان مجتمعتين كالعادة تفكران فى كيفية الاقتراب من أخيهما لتتحدث سناء
بعزم:

- لازم نوصله ونخليه يسامحنا ده الواد بقى متريش خالص

تنهدت سامية يائسة:

- ولا هيعبرنا ما إحنا روحناله كذا مرة إنه حتى يقولنا اتفضلوا مفيش ... حتى مراته
منعها ترد علينا

زفرت سناء بحسرة تعلم صحة كلمات أختها لتكمل تنظيف الخضراوات حزينة على
فرصة لجلب المال أصبحت محالة

عاد لمنزله ودلف بنفس الركض ليندفع على الفراش يضع الغطاء عليه كاملا دون
تغيير ملابسه أو إزالة الحذاء حتى
كان كمن يهرب فزعا مما يخيفه
وهل هناك ما يخيف أكثر مما فعله

ما إن حضر بذهن تميم ما حدث حتى أغلق عينيه بعنف مانعا التذكر
ولكن هل نسي ليتذكر؟!

بضعة ساعات فقط وقتلتها الوحدة لتستمر دموعها التي لم تجف لحظة بالهبوط
اشتاقت له كثيرا ... أمسكت الهاتف لتتصل به حتى ولو أخبرها بعدم فعل ذلك
لانشغاله لكن لا يهم ... ما يهم كيفية علاج قلبها المشتاق له
- وحشتنى

قالتها بلهفة وخفوت ما إن أجاب
على الطرف الآخر كان ساجد بالسيارة بعدما أوقفها أمام الفندق يبتسم على جنون
وتمرد وعشق زوجته
كان متيقنا أنها لن تقدر ألا تسمع صوته
كان منتظرا اتصالها ... تحدث بحنان بعدما طال صمته:

- والله مش هتأخر ... وعد هرجع قبل ما تفتحي عينك الجميلة بكرة

أستمعون لتلك الطبول بقلبها ... يدق بسرعة لمغازلته لعينيها:

- بجد؟

أردفت برقة مبتسمة بخجل ليجيب عليها وقد اتسعت ابتسامته حتى ظهرت أسنانه اللامعة:

- بجد ... ها أشوف شغلى بقى

قالها بمرح لتضحك عليه لكن داخلها تحطمت لإنهاء المكالمة

انتهى اتصالها ليتطلع للهاتف متنهدا عدة مرات شاردا ليس بالهاتف بل بها ووجهها الذى يحفظه ظهرا عن قلب

فليفعل ما جاء لأجله ليستطع العيش معها بسلام دون النظر للماضى

فليثأر لقلبه الذى تحطم على أيديهم ليلحق بحياته معها يهنأ بها ... سديم خاصته ونعمته وحده التى وهبه الله إياها

رفع وجهه يتطلع لتلك الواقفة منتظرة إياه أمام الفندق بلهفة فابتسم ولذة انتصار على وجهه

تجلس على الطاولة لأول مرة فقد اعتادت الوقوف أمامها تستقبل طلبات الزبائن وليس أن تكون يوما هى الطالبة

كانت تتطلع لساجد بابتسامة سعيدة مردفة:
- كنت عارفة إنك لسة بتحبني وهتساعدني علطول

همهم لها يتفحصها جيدا وقد ظهر أثر الشقاء على وجهها قليلا ليتحدث لامباليا:
- كل واحد يفكر بالطريقة اللى تعجبه

أومأت له لتتحدث مندفة:

- هتساعدني إزاي هتشغلني فى مكان أحسن صح ولا هتشغلني معاك
انفجر ضحكا على سذاجتها لفترة طويلة حتى اختفت ضحكاته ليعود وجهه للجمود:
- ولا ده ولا ده ... هتفضلنى شغالة هنا لكن فى وظيفة أحسن ... إيه رأيك تكونى مثلا
فى الاستقبال أو كول سنتر أو قسم يعجبك ... أهو أحسن من بهدلة التنضيف والأوض

ابتلعت ريقها قبل أن تجيب بلهفة مقتنعة بحديثه فتلك الوظائف بالتأكيد أفضل
وبمرتبات أعلى:

- ماشى موافقة

- بشرط

- إيه؟

قالتها بتعجب ليقتررب منها متحدثا بهمس كالأفعى:

- جواز عرفى لليلة واحدة

بعدما كان على فراشه محاولا طرد الأفكار من داخله زفر بغضب
كل محاولاته تذهب هباءا خاصة بعدما ارتفع صوت هاتفه

التقطه تميم ليرى المتصل فوجده والده ليجيب:

- السلام عليكم ... إزيك يا بابا عاملين إيه؟

تحدث محمد بهدوء:

- كويسين يا بنى ... أنا خلصت الإجراءات وهرجع فى أقرب طائرة بإذن الله

أوما تميم بفرحة:

- ترجعوا بالسلامة

أكمل الحديث الذى لم يخلو من بكاء زينب لاشتياقها لابنها المحاول أن يواسيها قليلا
فأيام قليلة ويجتمعوا من جديد ... بدونها!

قتلتها الوحدة فقررت الانشغال بأى شيء ولكن لم تستطع لتمسك هاتفها تتصل
بمياسين

لم ترد عليها لتعاود الاتصال أكثر من مرة حتى أجابت أخيرا فتحدثت سديم:

- إيه يا بنتى كل ده على ما تردى

- معلش مسمعتش التليفون

عقدت سديم حاجبيها متعجبة من صوت صديقتها المتحشرج:

- مالك يا مياسين

هنا وانفجرت بكاء تخرج كل ما بداخلها تقص على سديم ما حدث

أنهت حديثها تتبعتها بكلماتها المتألّمة:

- أنا تعبت يا سديم لامتى هفضل أحبه وهو يجرحنى لامتى

دمعت عينا سديم على وجع صديقتها

كانت ستعاتبها لتقبيل تميم لها وارتابهما جرما لكنها تراجعت

مياسين لا ينقصها عتاب يزيد ألمها فحاولت أن تدعمها:

- معلش يا مياسين لازم نتعب عشان نوصل للى بنحبهم معلش

ثم أضافت بحماس لتخرجها من حزنها:

- وبعدين معنى إنه باسك إن خلاص نسي تماما موضوع إنك كنتى فى يوم أخته ودى خطوة حلوة

ضحكت مياسين بسخرية متحسرة:

- هتصدقينى لو قلتلك إنى مبعقتش عارفة عايزة إيه ... حتى حبه ... بقيت مش عارفة أنا عايزاه ولا لأ

همهمت سديم وتنهدت تتحدث معها تنسيها حزنها وتنسى هى الأخرى

أغلق باب غرفة من أفخم الغرف بالفندق بعدما دلفت للداخل

وابتسامة ساخرة على وجهه ... كان متيقن أنها ستوافق وتبيع نفسها لأجل المال

نعم جزء صغير بداخله أخبره أنها لن توافق

لكن ها هى أمامه مبتسمة بسعادة ... تطلع لها من أعلى للأسفل والعكس بازدراء واشمنزاز

لاحظت نظراته لتبتلع غصتها وتستمر بالابتسام فأخيرا ستحيا بمستوى تريده

اقترب ببطئ منها لتردف سريعا:

- الاتفاق

تحرك جانب فمه ساخرا:

- خبر الترقية هيوصلك بكرة ... ولا تنزلى تتأكدى بنفسك

نفت له ضاحكة بفرحة عارمة ليشير للغرفة وشفته العليا رافعا إياها كمن يشعر بالاشمئزاز:

- ادخلى الأوضة استحمى وانضفى على ما أرتاحلى شوية وأجيك

أومات له متجاهلة إهانتته وهى تتجه للغرفة

تطلع لأثرها بضحكات خافتة

ها قد تحقق انتقامه وهو يرى نظرات الذل والمعاناة بعينيها التى تحاول مداراتهما بلمعة الفرحة الكاذبة

زفر بعنف لمحاولاته الفاشلة ... لا ينفك عن التفكير بها ... نهض جالسا على الفراش مسندا ظهره للخلف يغمض عينيه مرهقا من التفكير

كيف فعل ذلك؟!

تلقائيا رفع يده يضعها على شفثيه ومازال يستشعر ما فعله

أزال يده سريعا ليضرب بها الفراش غاضبا

لا يعلم ما يدور بداخله سوى البعثة والاضطراب

تطلع بجانبه حيث الهاتف يتمنى لو يملك الجرأة أن يتصل بها
يريد أن يعرف ردة فعلها أكثر من سماع صوتها الذى كان يتلف له لكن من أين تأتيه
الجرأة

كان يركض خلفها بلامح تصطنع الصرامة بينما هى تضحك عليه معتذرة:
- خلاص والله مش هتصل تانى وإنت فى الشغل

ظل يركض صارخا:
- بقى المدير يهزقنى بسببك
- ههههه خلاص بقى ال...

صمتت بعدما شعرت بتعب ودوار مرة أخرى
سكنت حركة رحمة وهى تميل للأمام قليلا

لاحظ توقفها ليقتررب منها مسرعا خائفا يقف أمامها يسندها بفزع:
- رحمة مالك؟

أسندها للأريكة ليجلسها عليها وهو على الأرض أمامها
أرجع خصلاتها الملتصقة بجبينها المتعرق يضيف خائفا:
- إنتى كويسة

أومات له بنعاس تحاول طمأنته:

- متقلقش تلاقى بس تعب من الشغل هريح جسمى وأصحى كويسة

أوما لها مقررًا معاتبته على كثرة عملها لاحقًا بعدما يزول تعبها
أمسكها من كتفها يدفعها برفق للغرفة لترتاح قليلا ومازال جزء منه يتآكل خوفا عليها

أشرقت الشمس وحل الصباح وها هو الآن يقف أمام مسكنه مرة أخرى
أرجع رأسه للخلف يتذكر عندما استيقظ وهى بجانبه ليدفعها مشمئزًا يشعرها بمدى
نفوره منه

لم يكتف بذلك بل أيقظ نيرة يسمعها كلمات مهينة عن كونها بائعة هوى تركض خلف
المال

أرضاه كثيرا تصلب جسدها واحمرار وجهها غضبا لينهض يأخذ حماما دافئا تاركا
إياها تلغنه خلفه

ما إن تجهز وخرج حتى أمسك ورقة الزواج الغير شرعى يحرقها أمامها ثم يضغط
عليها بحذاءه يتطلع إليها متحديا كمن يخبرها أن مكانتها تحت حذاءه

عاد لمنزله مسرعا فقد وعداها أن يعود قبل أن تفتح عينيها

أمال برأسه للأمام قليلا ... كان يظن أنه سيرتاح تماما عندما ينتقم
لكن أين ذهب الراحة؟!!

ارتاح قليلا وليس كليا ... جزء بداخله يفكر بسديم

ما ذنبها أن يفعل ذلك بها ... نفى برأسه طاردا أفكاره
هو لم يذنب ... أهينت كرامته وقد أعادها اليوم ... لم يرتكب جرما يخاف منه
أعاد كرامته بصمت دون إيذاء زوجته الجميلة ... فلما الذنب؟!!

هبط من سيارته يتجه لمنزله وكله نشاط وحيوية لأن يراها مرة أخرى بعد غياب
ساعات طويلة عنها
كل ذرة به اشتاقت لها كثيرا

استيقظ تميم مبكرا بالرغم من نومه متأخرا
ما زال الوقت مبكرا جدا على عمله ... ترك فراشه ودخل يستحم ثم يصلى

أنهى فرضه فارتدى ملابس رياضية يمارس بعض الرياضة بالخارج حتى يحين موعد
عمله

خرج من المنزل يركض بالطريق الفارغ وهو شارد كعادته

مرت دقائق طويلة ليقف ذاهلا
كيف وصل لمنزلها ... أكان شاردا لتلك الدرجة ... ولما اختارت قدماه منزلها
بالتحديد

ابتلع ريقه مقررًا الابتعاد عن تلك البناية التي تعيش بها

ابتعد للخلف وعينيه على المبنى حتى تأوه بألم بعدما اصطدم أحد بظهره

استيقظ قصي ليتعجب ... لطالما كانت شريفة تظل على الفراش تتطلع إليه فيعنفها
تصيبه بالجزع عندما يفتح عينيه فيجد شخصا يتمعن النظر به
ابتسم فقد تعلمت زوجته سريعا أن تكون صالحة يبقى أن تأتي له بأطفال وتكمل
حياته

بينما شريفة كانت بالمطبخ تحضر الطعام وقد تناست كل أحلامها التي اندثرت
بزواجها منه

كانت تتمشى قليلا بالطريق فقد مرت ليلتها دون أن تنام حتى ولو لدقيقة واحدة

تتطلع للأرض وتسير ببعض السرعة حتى اصطدمت بشخص أمامها

تأوهت مياسين واضعة يدها على جبينها متألمة

أزالت يدها تنظر لمن اصطدمت به وليتها لم تفعل
إنه هو!

اتسعت عيناه بعدما رآها ... شعر بتوتر شديد تحول لعرق غزير

احمرت وجنتاه خجلا كما فعلت وجنتاه

ظلا صامتين لمدة طويلة حتى سارعت بالتحرك من أمامه لتدلف البناية وتهرب منه

تتطلع لظهرها يعنف لسانه ... لما لا ينطق ذلك الغبي؟!

يسبه لينطق وليته لم يفعل:

- بابا وماما راجعين قريب خلال يومين

كاد يدبذب كالأطفال يضرب الأرض غاضبا من لسانه الأحمق الذى يتفوه بما يماثله
من الحماقة

لا تعلم لما ابتسمت شفتاها رغما عنها

كان يجب أن تتألم لذكرى الوالدين

أو على الأقل الغضب لحديثه معها خاصة بعدما أكرم أمس

لكن تلك الحقيرتان ابتسمتا بعدما تخيل عقلها الغبي شكله وهو يتمنى لو يدبذب أرضا
كعاداته عندما يرتكب ما هو أحرق

وللحق لم يعد يهمها والديها أبدا ... تعودت الفراق فاعتادت عليه!

تحكمت بابتسامتها تخفيها بصعوبة ترتدى قناع الجمود قبل أن تلفت له مظهرة
اللامبالاة:

- مبروك

قالتها والتفتت مرة أخرى راكضة لبنايتها بينما هو يتطلع لأثرها بصدمة ... لم يتوقع
أن تكون تلك ردة فعلها أبدا

رفع يده يضرب جبهته بعصبية يتطلع للبناية بحدة

ظل على ذلك الحال لدقائق وعاد مرة أخرى لمنزله قبل أن يتأخر عن عمله لاعنا
نفسه بل كل شيء يعرفه ... عداها هي!

يجلس أمامها يتفحص وجهها الجميل البريء بحب ليقترّب بطيئاً منها حتى قبل وجنتها الناعمة

همهت باستمتاع تستشعر رطوبة لطالما عشقتها على وجنتها المكتنزة

بدأت ترمش بنعاس قبل أن تجحظ عيناها صارخة بحماس تحتضن ساجد الذي انفجر ضحكا عليها وسعادة بعودتها لأحضانها مرة أخرى:

- سااااجد وحشتی اوووی اوووی

صاحت بها مهللة وقلبها يتراقص فرحا بمكانه لتزداد ضحكاته عليها وعلى طفولتها قبل أن يتحدث ببطء متلذذا بتلك الكلمة التي ينطقها لأول مرة:

- وائنتی کمان ... وحشتیینی اوی

تصلبت يداها التي كانتا تحاوطانه بتملك لتبتعد عنه ببطئ

تجمعت الدموع بعينها غير مصدقا

اشفاق إليها ... حبيبها يشعر بالاشتياق تجاهها

لا بالتأكيد مازالت نائمة

ابتلعت غصتها خوفا أن يكون حلما لتتحدث بخوف:

- انت ايه ؟

ابتسم عليها بصفاء لم يشعر به منذ وقت طويل ليقرب بوجهه الوسيم من وجهها الصغير يهمس أمام شفتيها ببطئ قاتل:

- وحشتيبيبييني

جحظت عيناها وانفرجت شفتاها بينما سقطت الدموع التي حاولت أسرها كثيرا
لتضغط شفتيها باكية كالأطفال

ابتسم بحنان عليها وقد شعر بمدى أنانيته عندما منع مشاعره عنها لدرجة أشعرتها
أنه لا يحبها

الغبية كيف لا يحبها وهي من أوقعت قلبه بأغلال براءتها ونقائها

ربت على وجنتها بعدما قبل الأخرى وأخذها بأحضانه مقبلا خصلاتها الناعمة كل فترة

كانت تشتعل غضبا لإهانته لها

حتى عندما أصبحت زوجته لم تشعر منه بالحب أو نظرات دافئة ... كانت نظراته
باردة لا حياة بها

ضغطت على أسنانها بقوة تحاول عدم اتخاذ قرار تندم عليه بقية حياتها

حسنا لا يهم اشمئزازه منها ... ما يهم أنه طلقها وهذا ما لا تريده أبدا

تريد أن تبقى زوجته ... حتى لو زوجة غير شرعية ... ستقتعه أن يعلن زواجهما
فبالنهاية لا يجب أن ينسى قرابتهما!

أمسكت هاتفها تبلل شفتيها تضغط بأصابعها الطويلة على الشاشة بكلمات علها تجعل
قلبه يميل مرة أخرى لها

ظلت بأحضانها باسمه بعشق وعينيها تلمع بالدموع غير مصدقة لما قاله معشوقها هي
وقلبها

ظلا هكذا لمدة طويلة كل منهما مستكين بأحضان نصفه الآخر
مرت دقائق قد تكون تحولت لساعات حقا لا يعلمون كم مر من الوقت

ابتعد عنها برفق مقبلا جبينها قبل أن يتجه للمرحاض عله ينتعش قليلا ليؤدي عمله
اليوم يكفى أغلق مكتبه أمس

راقبت أثره بعشق متهددة هائمة به

جفلت بعدما أفاقت على صوت وصول رسالة بهاتفه لتنهض تراها كعادتها عندما تأتي
له رسالة وهو متشغل فتقرأها نيابة عنه وكم يعجبها ذلك
أن تكون جزءا كبيرا بحياته لا غنى عنه

أمسكت الهاتف تفتحه ومازالت البسمة على وجهها

عقدت حاجبها بتعجب من تلك الكلمات قبل أن ينتفض قلبها فزعا غير مصدقة ما
قرأته

(أنا نيرة يا ساجد ... ميرسى على الليلة الحلوة اللى قضيناها امبارح ... زعلت إنك
حرق الورقة العرفى بس فى أى وقت تعوزنى أنا موجودة 😬💋)

اهتزت رأسها ... بالتأكيد تمزح ... ليلة ... أمس ... ورقة زواج
لا لا بالتأكيد تمزح

سقط الهاتف من يدها التى انهارت بجانبها بينما تنففسها قد علا وتحشرج داخلها
ليخرج بصعوبة

هبطت ببطئ على الأرض تشهق بسرعة وبكاء وعينيها متسعة زاهلة مما قرأته

انكمشت أمام الحائط تحتضن قدميها بيديها المرتعشتان تتطلع لكل شيء حولها تخرج
تنهيدات عالية

شعرت بالاختناق الشديد وصوت تنففسها قد قارب للصراخ

قبل أن يزيل ملابسه تذكر عدم أخذ أخرى نظيفة فخرج من المرحاض
تعجب عندما لم يجدها على الفراش لتجحظ عيناه فزعا عندما وجدها بتلك الحالة بأحد
أركان الغرفة

اقترب ركضا منها متحسسا وجنتها بلهفة وقد تملكه الفزع:

- سديم مالك فى إيه اهدى يا حبيبتي مالك

كانت كمن جن تماما فبدأت تحرك رأسها للأمام والخلف بعنف

تصدم رأسها بالحائط حتى كادت تدميها

حاول إمساكها لكن لم يستطع ليضع يده خلف رأسها حائلا بينها وبين الحائط لتتلقى
يده الضربات العنيفة

انتقلت إليه الدموع خوفا على حالتها وشعر بتقلص معدته وهو يتحدث باكيا:
- سد ... يم ... بالله عليكى مترعبنيش حصل إيه ... مالك

كانت بعالم آخر لا تشعر بشيء كل ما تراه ظلام حالك لا أحد به
تطلع حوله بتوتر وقد أربكه الموقف وحالتها لا يعلم ماذا يفعل

سقطت عيناه على هاتفه بجواره ليلتقطه مسرعا يتصل بطبيب يساعده
ما إن التقطه بيده الحرة بينما الأخرى تحمى رأسها المستمر بهزاته العنيفة

ارتعشت أطرافه بعدما رأى الرسالة بهاتفه
يتطلع للهاتف بصدمة ثم يصوب نظراته الزاهلة تجاهها
ثانية واحدة وألقى الهاتف بعيدا يدفع معشوقته لأحضانة بشدة وعادت عيناه تدمع ...
أسينهار عالمة؟!!

استيقظ صلاح أولا فلم يهدأ باله طوال الليل وهو خائف يفكر بزوجته
كم حاول أن ينهض ذاهبا لعمله دون أن يفيقها لكن لم يستطع فقد مات شوقا وخوفا
عليها

حركها برفق يوقظها حتى فتحت عينيها الناعستين تتطلع إليه بنوم
تحدثت بحشجة إثر نومها:

- صباح الخير يا حبيبى ... هقوم أجهلك الفطار

- لا لا

نفى مسرعا يعيد جسدها الذى نهض يجهز الفطور للفراش مرة أخرى:
- خليكى نائمة أنا بس بظمن عليكى

أومات رحمة مبتسمة بحب:
- أنا كويسة يا حبيبى متقلقش

بادلها الابتسامة وقبل جبينها واستمر على إصراره ألا تعد الفطور وهو سىأكل أى
شياء بالبراد

نهض تاركا إياها تكمل نومها فابتسمت قبل أن تغض عينها على زوجها الحنون
الذى يثبت لها كل يوم أن حبه لم يكن حب شبابى طائش بل حب عذب

وصل إلى عمله وترجل من سيارته فقابل صديقه شادى ليدلفان معا لشركة والد
صديقه

كل خطوة يخطوها تميم يتذكر معها ذكرى جميلة له معها
ولأول مرة يتذكر الماضى دون أن يرى أنه ماضى أخته
بل ماضى أهم فتاة بحياته

على الجانب الآخر استطاعت مياسين أخيرا الخروج من صدمتها لتجلس أمام التلفاز
تشاهد فيلما عاطفيا لكن عقلها شارد بحياتها العاطفية

بمكان آخر بدولة أخرى

كان جالسا بمكتبه ينهى صفقة مع أحد الرؤساء
أنهى المكالمة ليتحدث مع إسلام الجالس أمامه:
- ها حصل جديد

نفى إسلام مجيبا على رئيسه:
- لا يا باشا عايشة مع جوزها عادى

أوما له متوعدا يضع يده أسفل ذقنه يتذكر جيدا عندما استطاع أن يدس رجلا يراقب
من أحبها ولده رحمه الله ليصدم أنها تزوجت
ثار وغضب حتى كاد يفتك برجاله جميعا سرعان ما هدأ
لقد تزوجت وانتهى الأمر ... قرر أن يفكر بعقلانية ويبنى نفسه وينهى كل القضايا
التي عليه ليعود لمصر ويأخذها بعيدا عن كل شيء

أزال مصطفى يده مرجعا رأسه للخلف يتنهد يعتذر لابنه داخله:
- آسف يابنى ... منعتك زمان تعترفها بحبك ... رفضت تتقدملها أو تتعرف عليها
حتى ... ولما ربنا افترك ... مقدرتش أحافظ عليها ليك لما تتقابلوا عند ربنا ... بس
حتى لو اتجوزت مليون راجل هتفضل بتاعتك ونهايتها معايا أنا

كان منهمكا بعمله حتى ارتفع رنين هاتفه فوجده والده ليجيب متعجبا:
- أيوة يا بابا خير فى حاجة

أجاب محمد مطمئنا إياه:

- لا يا بنى كويسين بس حصلت مشاكل مش هنعرف نيجى بطيارة ... بيقلوا الجو مش كويس والطيران واقف لمدة ... والفلوس مقصرة شوية فجينا بأتوبيس

أوما تميم وقد اطمأن قلبه حتى عقد حاجبيه متسائلا:

- جيتوا؟!

- أيوة لقينا أتوبيس طالع من كام ساعة وإحنا فيه أهو ... أمك كانت عايزة تفاجئك بس قتلها افرضى مش عامل حسابه فقلنا نعرفك ... إحنا ساعتين كدة ونوصل

زفر بحنق فلم يجهز أى شيء وللحق قد تعود على بقائهما هناك:

- طيب يا بابا تيجوا بالسلامة أنا هستأذن من المدير وأجهزلكم الأوضة ترتاحوا

- تمام تكلم أمك

نفى مسرعا راجيا إياه بهمس:

- لا لا معلىش يا بابا فى الشغل والله

- طب خلاص ماشى ... سلام

- سلام

أغلق الهاتف ووضع يده أسفل ذقنه ... أكان ينقصه عودة والديه الآن

سينشغل عنها تلك الفترة ... فليحاول ضبط أموره حتى لا يتركها

يجب أن يراقبها ويترصد لكل حركة لها وبالطبع لن ينسى أن يرى من تعرفهم ومن يسكنون بالجوار

يجب أن يعلم الجميع أنه بظهرها وليست وحيدة بانسة

أنهت ارتداء ملابسها ودمعات ساخنة على وجنتها فقد فوجئت به كعادته يطلب منها الذهاب للطبيب لمعرفة سبب تأخر الحمل

خرجت من الغرفة فوجدته ينتظرها بفارغ الصبر وكم تمنى لو أنه ينتظرها لشخصها
هى

أفاقت من شرودها متعجبة

متى وصلت للطبيب بل وأتمت كشفها تماما

ألتك الدرجة شاردة هى بألمها

تهدت شريفة مقررة التركيز بحديث الطبيب سرعان ما اتسعت عيناها مما سمعته
- آسف بس مدام شريفة عندها مشكلة وصعب تخلف

انتفض قصى كمن لدغه أفعى جاحظ العينين ... أزواجه ذهب هباءا

أضاع سنتين بل أكثر من عمره دون فائدة

تحكم بأعصابه يتحدث وعروقه بارزة:

- مفيش علاج

- ده بايد ربنا

أوما له بصمت قاتل ووجهه جامد فأمسك ذراع شريفة المتعركة رعبا واتجه بها
خارجا أمام نظرات الطبيب المتعجبة من فعلته

فقد ظن من شكلهما المنمق أنه سيقبل جبين زوجته يراضيه كما يفعل الأغلب

اشتد التعب عليها لتمسك معدتها خائفة متوجعة
أمسكت الهاتف وهي جالسة على الفراش بوهن تتصل به
ثوان وأتاها صوته الشغوف:
- أيوة يا رحومتي ... إنتى كويسة؟

نفت شاهقة بحزن ودموع تستنجد به:
- صلاح أنا تعبانة أوى تعالى

جحظت عيناه فزعا ليركض للعمارة وكم حمد ربه تعطل السيارة وازدحام المواصلات

صعد الدرج بل أكلها حرفيا وفتح الباب بفرع
دلف للغرفة ليجدها تميل حتى كادت تسقط أرضا
ركض نحوها مسرعا محيطا كتفيها يربت على وجنتها وقد شحب وجهه كما فعل
وجهها:
- رحمة رحمة مالك فى إيه؟

رفعت عينيها تنظر إليه واهنة حتى أغمضتهما تماما تسقط بين أحضانه
صرخ بها خوفا سرعان ما حملها متجها لخارج الشقة يتآكل داخلها خوفا عليها

كان يحتضنها يشهق بخفوت شديد وجسده لا يقل ارتعاشا عنها

مجرد التفكير ببعدها قتله ... ستسامحه ... بالتأكيد عندما تعلم ما حدث ستقدر رغبته بالانتقام

ابتلع ريقه وعروق رقبتة المتعرقة بارزة
ابتعد عنها يتطلع لعينيها الشاردة والدموع تهبط منها كالتائهة لا تعلم أى طريق تسلك
على وجنتها المدمية

لم يستطع إبقاء نظره داخل عينيها ليهبط بمرمى نظره لأسفل يتطلع لساقها
المرتعشتين

سقطت دمعة أخرى من عينيه قبل أن يتحدث محاولا التماسك يغمض عينيه بشدة:
- إنتى ... فاهمة غلط ... أنا بس ... اتجوزتها عشان أنتقم ... مش حب والله ...
والدليل إ... إنى طلقتها علطول

أنهى جملة ضاعطا على شفتيه المرتعشة خوفا من المجهول
فتح عينيه يزفر عنيفا عله يزيح ذلك الجبل عن قلبه

أخيرا تحركت بؤبؤا عينيها تنظر له لثوان
ثوان فقط تمعنت النظر به لينفجر بكاءا رغما عنه وقد ذهبت محاولاته هباءا

ارتفعت شهقاته وصوت بكائه يعلو ويعلو
لم يعد جسده قادرا على الصمود ليميل للأمام مسندا رأسه على بطنها

عادت تهز رأسها مرة أخرى ودموعها تهبط عنيفا

تبلى شفيتها معتقدة جفاف كلماتها ناتج عن جفافهما
لكن داخلها تعلم جيدا أنه لجفاف قلبها الذى تلف على يد من كانت تعشقه حد الموت

بعد كل ما فعلته لتنال رضاه خانها ... تزوج غيرها بحجة الانتقام ... سمح لنفسه
بالنوم بأحضان غيرها

تركها هنا تحترق شوقا إليه بينما هو ... يتمتع بدفى غيرها
غيرها؟! لطالما كانت تلك الكلمة لها هي ... لطالما كانت هي الغير وتلك اللعينة الأصل
لم يحبها ولن يفعل

كل ما يجيد هو بعثرة كرامتها وتدمير كل شيء بداخلها

رفعت رأسها لأعلى لتهبط البقية المتمردات من دمعاتها فيستشعر سقوطها بعنف على
فروة رأسه كمن تحاول حفرها للوصول لعقله الأبله

جاءت الجمرات الحارقة بالرسالة ببالتها مرة أخرى لتضغط على يدها بعنف
شعر بتشنج جسدها وتصلب بطنها تحت جبينه ليرفع رأسه الذى تلوث بدموعه

جحظت عيناه فزعا وخوفا عليها ما إن شاهد شدة تشنجها

أحاط وجنتيها بفزع وكل ذرة بداخله تصرخ خوفا عليها:

- سديم ... سديم مالك ... اهدى اهدى

ارتفع صوت تنفسه العالى المنافى لصوت تنفسها أو عفوا لنقل سكونه

كاد يصرخ بها علها تفيق ليلاحظ دماء تتسرب من بين يديها
ظل يتطلع لكليتهما تارة ولوجهها الساكن تارة حتى انقضت يداه على خاصتها
تحاولان إضعاف قبضتها

استطاع أخيرا بسط يديها لتتكمش ملامحه حزنا وبكاءا ما إن وجد علامات أظافرهما
محفورة بباطن يديها الناعمة
اليدان اللتان لطالما ربتا على رأسه ووجنته
اليدان اللتان تعود على إحاطتهما له
اليدان اللتان لطالما واستاه مقدمتين المساعدة والدعم له
ها هو رد الجميل بإدماهما بكل قسوة ودون ذرة تفكير

خرجت شهقة عالية متألمة منها ما إن لامست أنامله جرحها لينتفض كمن لسعه أفعى

انتفض راكضا للمرحاض ليأتى بقماش ومطهر لها

تطلعت لأثره وهو يركض بحسرة وعينيها تكاد بصعوبة ترى بهما فالدموع قد
أصابتهما بالعمى كغشاء غليظ يمنعها من الرؤية

أغمضت عينيها لتسقط دمعاتها قبل أن تنهض راكضة للخزانة تأخذ عباءة وحجاب

كان بالداخل يلعن نفسه مليون مرة ... تقريبا قد سقط كل شيء بالمرحاض لتعثره
وارتعاش يديه وبالطبع لن ننسى خلاياه التي تفكر بها وعن إرضائها

أخيرا وجد ما يريد ليتمسك بهم ويخرج من المرحاض

تبيس مكانه ما إن وجد الغرفة فارغة ... سقطت الأدوات من بين يديه واحمر وجهه
يتطلع لكل شيء بعدم تصديق يبحث عنها

ابتلع ريقه يرمش بعينه وقد ظهرت ابتسامة خافتة تتم عن قرب جنونه ينادى عليها
بخفوت:

- سديم ... إنتى فىن ... سديم متهزريش معايا اطلعى ... طب أنا هصالحك بس اطلعى
يا ... حبيبتى

سكون ... ما قابله كان سكونا ليس إلا
لا صوت تنفسها ... لا ابتسامتها ... لا لمعة عينيها
لم يقابله سوى الصمت والخلاء

صوت تحطم ... لم يسمع سوى صوت تحطم قلبه

نفى برأسه عنيفا ... لا لا ... بالطبع يحلم ... بالتأكد تجلس بمكان ما بالمنزل

ركض بأقصى سرعته يجول المنزل ينادى عليها بجنون
لم يترك بقعة إلا وبحث بها

والآن ها هو يقف بمنتصف المنزل بعد محاولات من البحث اليائس

ثوان وسقط بعنف على ركبتيه غير عابئ بألمهما

لم تمر لحظة أخرى إلا واحمرت عيناه كالدماء المماثل لوجهه وعروق جبهته تكاد تخرج يصرخ وجسده يميل للأمام ويداه لا تتفك عن ضرب الأرض الصلبة:

- سديييييييم

تجلس بالسيارة لا تعلم أين أخذها فقد تحطم كل شيء بداخلها
لن تكون أما يوما ... لن تسمع أحب كلمة لأى أنثى ... لن تحمل طفلا تلاعبه بين
يديها ... لن تمر بألم الولادة لتعلم جيدا مدى غلو الابن
لن تمر بأى هذا ... لن تنتفخ بطنها فتتدلل مشتكية من سمنتها ... لن تجد من يهتم
بها بحجة تعبها من حملها

ارتفع صوت بكائها تنوح وصرخات خافتة تخرج ... تدمر كل شيء
لم يكن قصى نعم الزوج
والآن لن تكون أما ... ما فائدتها إذا ... لما الحياة
تقبض بيدها على ملابسها بقوة بينما الأخرى تضغط بها على فمها لتحبس صرخات
عالية بداخلها

كان قصى بجانبها يستند بالكامل على ظهر المقعد مريحا رأسه للخلف
تدمر كل شيء
أضاع أكثر من عامين دون جدوى أو فائدة ... يفصل بينه وبين الأربعين شهورا قليلة
ولم ينبج بعد
وقد يأتى الخمسون دون من يحمل اسمه
لن يخاطر ... لن ينتظر ... سينظر لحاله ونفسه فقط

سجد من تتجب له ... لن ينتظر إنجاب زوجته ولو ليوم واحد
لا ينقصه عمرا يزداد على عمره

مال للأمام قليلا يتحدث بشرود ودموع الحسرة بعينه:
- مش هينفع نكمل مع بعض

تصنمت محلها إثر جملته ... ثوان وأريحت يدها لتسقط بشدة على قدميها

تطلعت إليه عاقدة حاجبيها غير مصدقة:
- إيه؟

- إنتى طالق

كانت الفاجعة الكبرى ... كانت الصدمة الأخيرة لها ... كانت الكلمة الأخيرة قبل أن
تفقد وعيها

اشتدت الظلمة حولها ليتلون جسدها بالأزرق والأحمر صدمة
أغمضت عينيها تقابل الظلام بترحيب وقد راق لها الظلام ولأول مرة بحياتها

نظر لجسدها المستكين ووجهه مظلم
فقد الإحساس والإنسانية ... حبه لنفسه ورغبته بالإنجاب أنساه تلك الفاقدة وعيها
بجانبيها

كل ما فعله هو تعديل جسدها يتجه بسيارته لمنزل والدها

لا تمر لحظة إلا وتسقط دمة ليزيلها بجفاء وقد قرر تحكيم عقله
حكم قلبه من قبل واختار شريفة بل واختار انتظارها أيضا
والآن فليستخدم عقله وفقط عله يفلح تلك المرة

- صلاح يلا قوووم هتفضحنا

همست بها والضحكة على وجهها المشرق فرحة بينما زوجها جالس على درج
العمارة التى تحوى عيادة الطبيب

ينظر لها ببلاهة غير مصدق ما سمعه منذ قليل:

- هو الراجل قال إيه؟!!

انفجرت ضحكا عليه قبل أن تخفض صوتها عندما وجدت شخص آخر يهبط الدرج
يتطلع لها ولزوجها بتعجب من جنونهما

مالت ناحيته بجسدها قليلا هامسة أمام وجهه ومازالت عينيها تتطلع حولها حتى لا
يراهما أحد:

- الراجل الدكتور قال إنى ... حااامل

أنهت عبارتها عاضة شفتها السفلى بخجل وفرحة لينتفض من مكانه ناهضا بعنف

صرخت بفزع وتراجعت للخلف فكادت تسقط ليمسكها من خصرها بسرعة محتضنا
إياها بعنف ودمة سعيدة سقطت منه لتهبط على كتفها الملامس جبينه:

- أنا دلوقتى أسعد إنسان ... بعشقك يا رحمتى ... بعشقك وعمرى ما هندم على قرار جوازنا أبدا

قررت التمتع بتلك اللحظة دون الالتفات لإذا كان هناك من يراها
اندفعت لأحضانها أكثر وأكثر كقطة تبحث عن الدفء خلال برد الشتاء
ازدادت إحاطة يديها لجسده وهى تتحدث بفرحة عارمة غير مصدقة:
- بجد يا صلاح مندمتش على جوازك منى

ابتعد عنها نافيا بعنف يقبل جبينها دون الابتعاد عنها وتحدث بحب وشفتيه تداعب
بشرتها الناعمة:
- أموت قبل ما أندم

أبعدت رأسها تضرب كتفه بخفة تنظر لها بشراسة:
- بعد الشر

ازدادت ابتسامته اتساعا وهو يعيدها لأحضانها يهبط بها الدرج:
- تعالى بقى نفرح بابا وماما قبل ما نروح عشان هتدخل البيت مش هتخرجى منه يا
جميل إلا على المستشفى تولدى

ضحكت عليه وعلى جنونه ويدها تتمسك بيده الحرة فالأخرى مشغولة بإحاطة كتفها

يقف أمام باب شقتها بعدما وافق المدير على أجازة له اليوم

كاد يضغط على زر الجرس حتى وجد ذلك الحقير الذى انقض عليه أمس ضربا يصعد
الدرج

ما إن رآه الشاب حتى ارتبك وسارع الصعود لأعلى برغم أن شقته بنفس الطابق
ارتسمت ابتسامة جانبية على شفתי تميم بفخر لخوفه وبعد ذلك الحقير عن ميا
خاصته!

ضغط على الزر ولم يزيل يده ليثير حنقها
لحظة واحدة وكان الباب يفتح بعنف تصرخ دون رؤية الطارق حتى:
- ابييه هي لعبة تررن تررن ترر ...

صمتت بعدما رآته ليحمر وجهها وتتوتر ملامحها
ابتسم بخبت عليها ولا يعلم أين ذهب حرجه منها لما فعله أمس ... لكن قد يكون تقبله
لفكرة أنها لم ولن تكون أخته جعلته يتقبل قليلا تقبله لها:
- سكتى ليه كملى

راقب ابتلاعها ريقها عن طريق التحرك الطفيف برقبته
تحدثت وهى تنتظر للأرض:
- حضرتك عايز إيه؟

رفع حاجبه الأيمن يميل برأسه للجانب غير مصدقا ما سمعه:
- حضرتى؟! اممم

همهم بغيط يكمل وعلامات الضيق على وجهه:

- بابا وماما جايين كمان ساعتين كدة ... حبيت أعرفك بس

بللت شفتيها وصمتت قليلا حتى رفعت رأسها تنظر إليه أخيرا وليتها لم تفعل فقد رأى
كم ألم ووجع أحرقوه داخلها:

- ييجوا بالسلامة

انتقل التوتر له ليرفع يده بعد تفكير يريد تلمس وجنتها عل الأمان ينتقل إليها
تبقى إنش فقط بين يده ووجنتها قبل أن تحوله لأمتار وهى تبتعد عنه كثيرا حتى أنها
أصبحت بداخل شفتها

أنزل يده زافرا بيأس لكن استمر بالابتسامة يعلم جيدا أنها تحب ابتسامته وتسعد لها
... وهذا ما يريده ... سعادتها

- أنا آسف على اللى حصل من سنتين ... اعتذرتلك كتير لكن المرة دى مختلفة ...
كلهم كانوا من قلبى مفيش فرق ... لكن اللى هيفرق بجد إنى مش هعتذرك وأجرى
من كسوفى على اللى عملته ... لا أنا هعتذرك وهفضل حواليكى محاوطك من كل حة

أتبع كلماته بابتسامة جذابة متسعة لتتحرف شفتيها عن مسار العبوس تتجه لطريق
الابتسامة الخافتة

لاحظ ابتسامتها الطفيفة لتخرج ضحكة سعيدة من شفتيه
وكعادة تصرفاته الغريبة مؤخرا ضم شفتيه ملقيا قبلة لها لتنتقل إليها خلال أنفاسه
الحارة

جحظت عيناها من فعلته بينما هو لم يقل صدمة عنها لما فعله
تميم ... لقد أصبحت مختلا على يديها

ضحك لها بنظرة غبية عله يستدرج ما فعله لكن لا محالة
اختار الهروب ليسرع هابطا الدرج تاركا تلك المتييسة ذهولا مكانها

تطلعت لطيفه قبل أن تقفز مكانها كالأرنب تسقف بيديها الصغيرتين لولا أنها بعمارة
سكنية لكانت صرخت فرحة

توقفت مكانها بسرعة بعدما أدركت ما تفعله من هراء لتعدل حجابها بكبرياء ينافى
فعلتها منذ قليل

أغلقت الباب وملامح وجهها مشرقة تبتسم ببلاهة
ما إن أغلقت الباب حتى استكملت قفزاتها الجنونية

- ارتحت ... حسبى الله ونعم الوكيل فيك ... حسب آاه

صرخت ثريا التى احترق قلبها على ابنتها بعدما تلقت صفة قاسية من عاصم
الغاضب:

- اخرسى بقى يا ولية ... ما إنتى اللى خلفتلى أرض بور ولا نافعة جواز ولا خلفه
بقى أنا عيل زى ده يرميهالى زى الشوال ويقولى آجى آخذ ورقة طلاقها

وضعت يدها على خدها الأحمر تتطلع لزوجها غير مصدقة حديثه:

- ده كل اللى فارق معاك ... إنه هانك ... مش فارق معاك بنتك المرمية جوة ... مش
فاارق معاك اللى حصلها هاهنا

رفع يده مرة أخرى ليضربها لكن توقف صارخا:
- قسما بالله كلمة زيادة وأدفئك مكانك ... داهية تاخذكم كلكم

تركها ودلف لغرفته يفكر بتلك المصيبة التى حلت عليه ... أصبحت ابنته مطلقة
وستجلب العار له

وكم من شخص ينظر للمطلقات نظرة ذنب لا يرحم!

نظرت ثريا للفراغ ببكاء شديد حسرة على حال ابنتها
وعلى ذكرها ... انتفضت ما إن استمعت لصوت صراخ شريفة لترفض لغرتها

فتحت الأم الباب فوجدت ابنتها تصرخ باكية جالسة على الفراش تحتضن ساقيها
لصدرها طالبة الحماية

لم تقدر على الصمود لنتهار ثريا هي الأخرى مندفعة تحتضن ابنتها تواسيها عليها
تهداً:

- بس يا روح ماما ... بس يا حبيبتي بكرة يجيلك الأحسن منه

- آااه يا ماما طلقنى ... مش بخلف يا ماما .. مش بخلف ... مش بخلف

ظلت تهذى بها مختنقة من البكاء بينما والدتها تحتضنها وداخلها تلعن كل من سبب
لها تلك الحالة بداية من والدها حتى زوجها أو الأصح يقال ذلك الذنب البشرى الذى لا
يبحث سوى عن رغباته غير عابئ بمن حوله

كانت تسير بالطريق ودمعاتها تهبط دون توقف ... ترفع يدها تزيل الدمعات عل
تمردها يزول فيزداد

صوت شهقاتها يعلو بالطريق الفارغ ليس به سواها
يد تزيل دمعاتها بحنان والأخرى تضرب صدرها موضع قلبها بقسوة
ذلك القلب الملعون بعشقه اللعين لعشقه

كيف مازال ينبض له ... كيف مازال يتنفس لأجله ... كيف يتلفظ اسمه
لقد خسرتى سديم ... خسرتى التحدى ... لم يبادلك العشق أو حتى الحب
لم يمنحك حتى الاحترام فلما يمنحك الهيام

ليتك لم تقمعى نفسك داخل فوهة عشقه
الأم وتوفت ... الأب وتركك ... الزوج و ... خالك

وكم سقطت تلك الكلمة على قلبها كسهام تخترقه وتمزقه
لم يحفظ وعده بصونها ... لم يحافظ عليها

جفلت مكانها بعدما استشعرت صوت احتكاك إطار عنيف بالأرض
تبيست محلها وقد وضحت الرؤية لتجد سيارة أمامها ظهرت من العدم

كانت كمن هى منومة مغناطيسيا لا تعلم ماذا تفعل ولا تستطيع التركيز بشيء

فتح باب السيارة يهبط منها رجل يرتدى نظارة فخمة

هدأت شريفة قليلا بعدما واستها والدتها وقرأت لها آيات الله لتستشعر بالسكينة تجرى داخلها

ارتاح رأسها على صدر والدتها التي لا تنفك عن دعمها وتذكيرها أن حملها ليس مستحيلا بل يحتاج الوقت فقط

تذكر لها العديد من النساء بحياتهم ظنوا الحمل مستحيلا لتأتى معجزة الله فينجبوا الكثير والكثير

بينما عاصم انتهى من تفكيره الذى لم يصل به لحل ليدلف لغرفة ابنته يجلس أمامهم بصمت دون حديث

يراقب حال ابنته الجالسة أمامه بأحضان زوجته أحيانا بحزن وأخرى بحسرة وغضب

ابتعدت شريفة عن والدتها لتتطلع إليها بعينيها الحمراء تتحدث بحشجة تنتظر الأمل فى كلمات والدتها:

- بجد يا ماما يعنى مرات عمى محمد كانت فعلا صعب تخلف ومع ذلك خلفت

أومات ثريا باندفاع واتسعت ابتسامتها لإخراج ابنتها من الحزن:

- أيوة ... زينب برغم جوازها قبلى بسنين لكن مخلفتش إلا بعد ما أنا اتجوزت وخلفت أخوكى ... وبعد ما خلفت تميم قالوا خلاص مش هتخلف تانى ... لكن أديها جابت مياسين

شوفتى بقى ... وبكرة ربنا يعوضك عن قصى ... يمكن ده سبب عشان تخلصى منه ... مش دايما كنتى بتشتكىلى من قصى ومش عايزاه

أومات شريفة وقد ابتسمت على كلمات والدتها ليعود الأمل إليها

معها حق ... قد يكون الله أراد أن يخلصها من لعنة زواجها ... قد تجد من يصونها ... قد تنجب من الزوج الحق الذى يستحقها

تهدت براحة شديدة وقد ذهب القليل من حزنها وستتناسى الجزء الأكبر من حزنها

تنهد عاصم وقد سعد قليلا بهدوء ابنته:

- متقلقيش يا شريفة ب...

قاطع كلماته اندفاع صلاح الذى لا يعلمون من أين أتى:

- رحمة حالامل

قالها والضحكة على وجهه لا تفارقه فانتفض عاصم ركضا يحتضن ابنه مهلا بفرحة
عارمة فولى العهد قد قارب الوصول

تفاجأت ثريا مما سمعته بل صعقت ... سقطت دمعة عاجزة من عينيها ... لا تعلم ماذا
تفعل ... أتفرح لابنها أم تتعس لابنتها التى لم يحالفها الحظ يوما

اتسعت عينا شريفة وقد شعرت لثوان بالضغينة والغيرة

لما يحصل على كل شيء بينما هى لا تملك سوى نفسها

عند تلك النقطة وعنف نفسها بشدة ... أوصل بها الحال أن تغار من أخيها وزوجته؟!!

لا ... لن تسمح لمشكلاتها أن تدمرها من الداخل ... لن تعطى المشكلات الفرصة أن
تدمر علاقتها بمن حولها

خرجت شهقة خافتة باكية منها قبل أن تتجه لصلاح بعدما خرج بصعوبة من أحضان
والده الذى خرج ليذيع الخبر بكل مكان يتباهى بذلك الحدث ناسيا من تحمل اسمه
ودمه

احتضنت أباها بحب تربت على كتفه مبتسمة بفرحة يتخللها بعض الحزن:

- مبروك يا حبيبى يتربى فى عزكم

بادلها الاحتضان للحظة عاقد الحاجبين ... لم يتعود على تلك النبرة الحزينة المختنقة من أخته ... اتجهت شريفة لرحمة الواقفة مكانها متعجبة كزوجها فحماتها وشريفة لا يبدوان بخير

احتضنتها شريفة لتبادلها رحمة بابتسامة متوترة من تلك الأجواء الغريبة

ابتعدت البائسة وعادت بهدوء للفراش تجلس عليه تتطلع للواقفين بابتسامة هادئة جعلت تعجبهما يزداد أكثر وأكثر

قرر صلاح الصبر قليلا وسيعلم ما يحدث فاتجه بعدما أمسك يد رحمة لوالدته الشاردة محلها على الفراش

هبط بجسده قليلا يقبل جبينها معاتبا إياها:

- إنتى مش فرحانة ولا إيه يا ماما

أفاقت من شرودها لتعلم الجرم الذى فعلته فتفكيرها بابنتها جعلها تنسى حقها عليه لتنهض فورا تبارك لهما والدموع بعينيها

انتهت المباركات وعاد عاصم ليجلسون على المقاعد بغرفة شريفة بينما هى ووالدتها مازال على الفراش غير قادرين على الحركة

عم الصمت قليلا قبل أن يتحدث صلاح بنفاد صبر:
- لا لا ... فى حاجة غريبة ... مالكم إيه اللى حصل وشريفة بتعمل هنا إيه مش قصى
المفروض فى أجازته ... مش قاعدة مع جوزها ليه

ابتلع الجميع ريقهم بتوتر دون تحدث حتى قرر عاصم التكلّم بحسرة:
- أختك ... قصى طلقها طلعت صعب تخلف

يتحرك بسيارته بكل الطرق كالمجنون يبحث عنها
يجذب شعره للخلف بشدة كمن يريد اقتلاعه ... أين ذهبتى سديم
لما تركتى نصفك الآخر وحده وحيدا دون مأوى أو ملجأ
للمرة التى لا يعلم عددها هبط من سيارته يتوغل بالأزقة والشوارع الضيقة يبحث بكل
مكان عنها

عقله الغير واعى يقوده لأماكن يستحيل أن تكون بها
لكن عندما يوجد العشق يغيب العقل
يتحرك بذلك الشارع الضيق المظلم برغم حلول النهار
لا يهمله شيء ... لا خوف ولا حذر
ما يهمله هى ... أن يجدها يضمها ل صدره يستشعر دفئ جسدها لينتقل إليه فيطمئنه

لولا خوفه أن تهرب منه لكان صرخ مناديا عليها
وصل لنهاية الشارع ولا أثر لها ليضع كل يد على جانب خصره عاجزا
أين ذهبت ليذهب هو ... أين يبحث عنها

من تملك غيره؟ ... كان عائلتها وسندها

عاد مرة أخرى لسيارته يركض بأقصى سرعته والهواء البارد يضرب وجهه لتزيل
دموعه من على وجنته الحمراء كباقي جسده

دلف للسيارة يغلق الباب بعنف يستند برأسه على المقود وصوت نحيبه يعلو:

- آسف والله آسف ... ارجعيلي أبوس إيدك ... آسف

وليت الأسف يرجع ما مضى

يجلس على مقعد ملاصق لجانب الفراش التي تنام عليه بسكينة

يراقب وجهها الذي اشتاق إليه

من كان يظن أنهما سيتقابلان مرة أخرى ... من يعلم أنها ستعود لقصره مرة أخرى

تنهد بحزن بعدما تذكر حالتها ... يقسم أن ذلك الساجد هو السبب

ولو تأكد فسيقتله لما فعل بسديم الملاك

لا يحق لأحد جعلها تبكى

زفر طويلا يميل للأمام يستند بذقنه على يديه المستندتين على ركبتيه

يتمتع النظر إليها

وجهها شاحب برغم تلونه باللون الأحمر دلالة على عنف بكائها

يكاد يستشعر البرودة المنطلقة من جسدها تجاهه بل تجاه الغرفة كلها

قاطع شروده ذلك الدخول العنيف تبعه خطوات راكضة ليلتفت مبتسما لابنه:

- تعالى يا خالد

ركض ابنه لأحضانه يقص عليه ما فعله بالنادى وعدم اعتناء المربية الخاصة به
وانشغالها بالتبضع والتحدث مع صديقاتها
زفر معتز بضيق يجب أن يبحث عن مربية غير تلك الفتاة
يسجل ابنه بالمدرسة ثم يبحث عن مربية تعلم ابنه بالمنزل وتعتنى به وقت انشغاله
جفل من صراخ ابنه ليضع يده على فم خالد الصغير المتسع العينين وهو يتطلع لمن
على الفراش غير واعية لحديثهم

أزال خالد يد والده والتفت برأسه إليه يهمس بخفوت طفولي:
- بابا دى سديم

أوما معتز له وهو يحمله للخارج حتى لا يقلق نومها وقد شرد بجملته صغيره وهو
يلقبها بسديم دون إتباعها بكلمة (ماما)
فخلال تلك السنتين عنف صغيره كثيرا حتى استطاع إقناعه ألا ينادى أحدا بتلك الكلمة
وها هو ينفذ كلماته حتى على من تعلق بها

أفاق مرة أخرى على الصغير يجذبه من قميصه لينتبه إليه عابسا بطفولة:
- يا بابا رد عليا

أوما معتز مبتسما يقبل وجنة صغيره:
- أيوة يا حبيبى هى سديم

جحظت عينا الصغير وأشرق وجهه مردفا:

- هي هتعيش معانا هنا

صمت معتز قليلا قبل أن يجيب بحيرة فهو لا يعلم الإجابة:

- لسة يا حبيبى هنشوف ... لسة

- نعم ده أنا هقتله

صرخ صلاح بها عازما على قتل ذلك الذى تخلص من أخته وكأنها وباء قاتل فقط
لأنها لا تستطيع الإنجاب

اندفع يريد الخروج من الغرفة سرعان ما أوقفه عاصم ليردعه عن قراره المتهور:
- اهدى يا صلاح هو طلقها خلاص كلامك ولا هيقدّم ولا هياخر

زفر صلاح يشعر بالنيران تحرقه بالكامل ... ربت على كتفه بضربات متتالية ليتجه
معه للمقاعد يجلسون عليها

كانت رحمة تراقب بصمت وحزن قبل أن تتجه لشريفة تحتضنها وتواسيها بينما ثريا
صامتة بعجز لا تقدر على النطق

كانت رحمة تربت على ظهر شريفة التى دفعتها برفق وعزيمة تبتلع غصتها:

- الحمد لله على كل شيء ... أنا مش زعلانة

سقطت دمة من عيني أخيها يستشعر الكسرة والشجن بصوت أخته

تقدم منها وهبط على الأرض أمامها يحيط وجنتيها بيديه يبتسم بتشجيع:
- أيوة يا حبيبتي إنتى متزعليش هو اللى يزعل إنه خسرك وبكرة ربنا يعوضك

نفت شريفة مضيئة وهى تنتهد عل تلك الخنقة تزول عن قلبها المحطم:
- ربنا إن شاء الله هيعوضنى بس ... فى شغلى مش فى جواز تانية

عقد الجميع حاجبيه بتعجب مما تفوهت به لتتحدث تزيل الظلمة التى تحيط حديثها:
- أنا من بكرة هدور على شغل ... أنا طول عمرى نفسى أشتغل وق ... قصى كذب
عليا قاللى هشتغل عادى ومرضاش بعد جوازنا
دى فرصة أبنى نفسى وأعملى كيان

ابتسم عاصم مشجعا إياها وقد رافت الفكرة له:
- أيوة أيوة عشان حالك ميقفش خالص كدة فى ناس هتاخذك عشان الوظيفة

لم ينتبه لكلماته الجارحة التى كسرتها ووالدتها وأثارت حزن وغضب صلاح وزوجته
تجاهل صلاح كلمات والده السامة وهو يتحدث إليها بحنان:

- بصى يا حبيبتي لو عايزة تشتغلى عشان نفسك مفيش مشكلة ... لكن لو عشان
فاكرة نفسك عالية يبقى لا مستحيل أوافق

اتسعت عيناها فقد استطاع شقيقها لتوصل لما يجول بداخلها
تريد العمل لعدة أسباب أهمها الهروب من نظرة والدها القاتلة بكلماته التى تزيد
جرحها سوءا
لا تريد رؤية نظراته ... لا تريد أن يطلب منها يوما العمل لأنها تمثل عالية عليه

أفاقت على نظرات أخيها الشاكة منتظرا إجابتها لتتصنع الابتسامة نافية برأسها:
- لا طبعا عالة إيه إنتو عيلتى ... أنا عايزة بس أكوّن نفسى مش أكثر

تنهد صلاح مستسلما برغم علمه بعدم صدقها لكن لا يريد الضغط عليها يكفى تلك
الفاجعة التى حلت عليهم والتى حقا يتعجب كيف تخطتها أخته خلال ساعات قليلة
انتقل ببصره لوالدته الصامته يبتسم إليها ممتنا ... متيقن أنها من ساعدت أخته على
تخطى تلك الأزمة

انتشلهم من الصمت صوت رحمة العالى بعدما تذكرت شيئا هاما لتشاركهم إياه
بانفعال:

- صلاح االح فاكركلام اللى الست قالتة فى عمارة الدكتور

تعجب محاولا التذكر لكنه نسى تماما لتجيب رحمة بسعادة وهى تهز جسد شريفة من
فرط فرحتها:

- فى ست كانت واقفة فى العمارة وقالت إنها رايحة تحجز معاد فى مدرسة
انترناشونال فتحت جديد فى المنطقة هناك عشان تقدم على وظيفة لإنهم محتاجين
مدرسين ... إيه رأيك تجربى يا شريفة

أشرق وجه شريفة بفرحة عارمة ولأول مرة تظهر ضحكتها وابتسامتها الجميلة
تجيب بلهفة:

- أكيد موافقة

ابتسم صلاح لزوجته بامتنان لما فعلته فبادلته الابتسامة بحب قبل أن تلتفت لشريفة
متحدثة:

- أنا هبعثلك على النت وأعرف مكان المدرسة فين وهبعثلك مكانها واتس تمام ...
هبعثلك انهاردة بإذن الله عشان تلحقى تروحي بكرة تشوفى الشروط

أومات شريفة وقد شعرت بالإثارة والسعادة لتلك التجربة الجديدة عليها وداخلها
تتمنى لو تكون بداية جديدة دون مشكلات أو آلام عازمة على هدم كل ما مضى والبدء
من جديد

عاد لمنزله بعد اليأس من إيجادها ... يلعن نفسه مليون مرة ... لقد دمرها تماما
يكاد يفقد صوابه ... يتمنى لأول مرة لو كان لها أحد غيره عله كان يطمئن قليلا أنها
ذهبت إليه

لكن سديم وحيدة لا تملك غيره

ألقي جسده على الأريكة يخفى رأسه داخل يديه كمن يشعر بالخزي من نفسه
ثوان وبدأ بالبكاء كالطفل الضائع ... يشعر بالفراغ يقتله ... يشعر بالظلام يقتله

يحبها ... يعلم ذلك

لكن الآن فقط تأكد أنه مهووس بك

لقد فزتي سديم وامتلكتي قلبه ... بل امتلكتيه بأكمله

قطع الصمت صرخته العالية المتألمة عل الألم الداخلى ينفذ من جسده المتآكل وجعا
حتى ولو بقى الفراغ داخله أهون من تلك الجمرات التى تحرقه

توقف عن الصراخ بعدما انقطعت أنفاسه لتستكمل شهقاته ودموعه العمل

رُمشت عدة مرات تستيقظ بعد نوم عميق تخلله كوابيس خبيثة لم تتركها

فركت عينيها بوجع من كثرة البكاء قبل أن تتطلع حولها بخوف وفزع
أين هي؟ كل ما تتذكره توقف سيارة أمامها وكان صاحبها ... معتر!

ابتلعت غصتها لا تعلم ماذا تفعل لتخرج سديم من الغرفة بسرعة
هبطت الدرج تتطلع حولها بفزع لتتقن أنها بقصره
ذلك القصر الذى كانت به منذ سنتين ها هي عادت إليه

سارعت الهبوط مقررة الركض للخارج بأقصى سرعتها لتتوقف فجأة على حديثه
الهادئ:

- مش همنعك تخرجى بس قولك حاجة واحدة ... شوفى هروبك من مين أصعب
وأوجع وأهربى

ظلت متييسة محلها قبل أن تلتفت إليه ووجهها مختنق محمر اللون ليكمل معتر حديثه
وهو يقترب منها:

- شوفى هترتاحى امتى لما تهربى منى ولا منه واثأكدى لو خرجتى من هنا هيجيبك
... ده مش اللى اتجوزتیه من أكثر من سنتين ... ده ساجد جديد بنفوذ تجيبك لغاية
عنده

ابتلعت ريقها بخوف وقد ارتعش جسدها لمجرد التفكير أنه قد يصل إليها ويرغمها
بالعودة معه

لا تريده بعد الآن ... كلما تذكرت ما فعله سمعت صوت تكسر قلبها وانهيار روحها

تريد الابتعاد عنه عليها تعتاد فراقه فترتاح بحياتها

تريد أن تحيا لنفسها لأول مرة ... تريد التخلص من قيود عشقه الذى يؤلمها ... تريد الكثير والكثير ولن يتحقق سوى بالفراق والابتعاد عنه لتستطيع التنفس والعيش

كانت تتطلع للأرض طوال الوقت حتى رفعت رأسها تجيب بعزيمة:

- عايزة أهرب منه هو

ابتسم وقد قفز قلبه فرحا ليجيب بحنان:

- مش هسألك عمل إيه لإنى متأكد إنه ارتكب فى حقك جريمة لكن كل اللى هقوله إنى جمبك وهساعدك

أومات له شاهقة بخفوت تمنع نفسها من الانفجار بكاء بعدما ذكرها بما فعله

لم تنسى ما ارتكبه ذلك الساجد بحقها لكن حاولت التناسى

وبحديث معتز قد أنهى كل محاولاتها وأتبعها بالفشل

لاحظ قرب بكائها ليتحدث مسرعا عنه ينسيتها:

- فيلا خالد اتجهزت تقدرى تقعدى فيها ... أنا عارف إنك مش هتقبلى تعيشى معانا فى القصر ... وفى نفس الوقت مش هظمن عليكى برة فاسكنى فى الفيلا جمبى عشان أظمن عليكى

تنهدت مجيبة بنبرة خافتة تشعر بالحزن والإحراج:

- مش عايزة أتقل عليك ... هى فترة بسيطة بس على ما أرتب أمورى

نفى لها مبتسما ببساطة:

- مفيش تقل ولا حاجة إنتى حفيدة الغالى ... الفيلا جاهزة تقدرى تروحي دلوقتى تسكنى فيها وأنا هبعثلك مع الخدمة أكل وشوية حاجات تحتاجيها

أومات له بصمت ليشير إليها يقودها للخارج حيث منزلها الجديد بينما هى تسير خلفه شاردة بكل شيء بمعشوقها الخائن وعاشقها الذى تحمد ربها أنه لم يأخذها بذنب آخر لقاء بينهم ولم يذكر ما حدث منذ سنتين

- إنت بتقول إيه!

صرخ تميم بها منتفضا من مجلسه بعدما كان جالسا ينتظر اتصال والديه يخبراه
بوصولهما ليذهب لأخذهما

وكانت الفاجعة

انقلبت الحافلة التي تحملهما واحترقت لتحترق روحه معهما

سقط الهاتف من بين يديه وقد توقف الزمن وتوقف قلبه معه

حل الصباح بأحداث غير معتادة فكان الأمس يوما عصيبا على الجميع جعلهم يخافون
ملاقاة الغد

تطلعت للمدرسة برهبة يبدو عليها الفخامة الشديدة

ابتلعت شريفة ريقها بحوف بل غصتها خائفة من الرفض

تلك آخر فرصة لها لاستعادة روحها الضائعة

تلك آخر فرصة تستطيع فيها إعادة كيائها المهدور

كانت تسير شاردة حتى خرج صوتها مع صوت ضئيل متألم

أمسكت بطنها التي اصطدمت بشيء ما بوجع وأخفضت رأسها لتجد طفل صغير ساقط
على الأرض بعدما اصطدم بها

شهقت بخفوت وخوف تميل بجسدها لتساعد الطفل على النهوض

أمسكته من ذراعه وكادت ترفعه معذرة منه لتشهق بوجع بعدما شعرت بدفع شخص
لها لتسقط أرضا

كان يبحث عن ابنه المشاغب بالمدرسة بعدما قدم له بها واستطاع بنفوذه جعل قبول
ابنه وشيكا

يتطلع لكل إنش بالمكان عله يراه لتجحظ عيناه ما إن رآه متمددا على الأرض وفتاة ما
تمسكه من ذراعه

تملكه الغضب بعدما هيئ له أنها تضرب ابنه ليركض ناحيتها يدفعها بغلظة محتضنا
ابنه يساعده على النهوض

ظلت تتألم من وجع يدها واحمر وجهها وأوشكت على البكاء

رفعت رأسها تتطلع لمن يقف أمامها ويطالعها بنظرات حادة غاضبة تبعثها لهجته الغليظة:

- إنتى مجنونة إزاي تمدى إيدك عليه يا حيوانة

شهقت عنيفا وقد سقطت دموعها أخيرا تشعر بالمذلة وعدم القدرة على رد كرامتها حتى

تتابع شهقاتها وهى تستند لتنهض دون الاستماع لبقية سبابه تركض بالأروقة تاركة إياه يحرق ظهرها بنظراته

أثير حنقه لترك تلك الغبية إياه يتحدث لولا انشغاله للقتها درسا لن تنساه

تطلع الرجل لابنه يتحدث بخوف:

- إنت كويس يا خالد يا حبيبى

أوما الطفل له زاما شفتيه بحزن ليتحدث معتز متعجبا:

- مالك زعلان ليه ... متزعش أنا أخذت حقك

نفى خالد مسرعا بحدة وهو يتمل بين يدي والده الذى أنزله أرضا وزاد تعجبه منه

وقف خالد يرتب ملابسه كرجل ثلاثيني قبل أن ينظر لوالده صارخا بحدة:

- إنت خليتها تعيط يا معتز

ارتفع حاجبيه من أفعال ابنه الذى يناديه باسمه عند الغضب منه ليتحدث متنهدا
واضعا كل يد على جانب الخصر:

- طب ما تعيط يا أستاذ خالد ... فيها إيه؟

جحظت عينا خالد ليصبح شديد اللطافة يجيب بحق يرفع السبابة بوجه والده:

- هى مش كان قصدها أنا كنت ماشى بدور عليك وخطب فيها بالغلط وهى كانت
هتساعدنى أقوم ... بس إنت اللى دخلت زى التور الهايج

وهنا وانتقل الجحوظ إليه ليصرخ على ابنه:

- ولد احترم نفسك أنا أبوك

أشاح خالد بيده يدير وجهه الناحية الأخرى عاقدا يديه أمام صدره:

- مش مهم مين أبو مين المهم إنك غلطان يا معتز وأنا مش هكلمك غير لما تصالحها

تنهد معتز ضاربا جبينه بغیظ من أفعال ولده وحزنه على تلك الجميلة التي أبكاها حتى
تحدث مستسلما يبتسم بغیظ:

- حاضر يا أستاذ خالد ... يا بابا خالد ... يا خالد بيه

تحرك بؤبؤا عيني ابنه ناحيته قبل أن يعاود النظر للجهة الأخرى

تنهد معتز ورغم حنقه إلا أنه ابتسم لأفعال ابنه التي تتم عن رجل حكيم ليس طفل
صغير

هبط رافعا إياه رغما عنه بأحضانته يتجه به ناحية المكان الذي اختفت به الفتاة

ما زال على حاله ... يجلس بلا روح منتظرا عودتها ... بالتأكيد ستعود

محال أن تتركه ولا يحق لها ذلك

انكمشت ملامحه بكاء ليحاول تمالك نفسه ... يجب ألا يكسر لأجلها

لطالما ... لطالما أخبرته ألا يضعف ... تكره الضعف خاصة منه هو

انتفض فزعا ما إن استمع لصوت الهاتف الملقى أرضا ليركض ناحيته بلهفة علها
تكون هي

قبض على يده بشدة حسرة ... ليست هي

- يعنى مفيش جديد ... ماشى

كلمات مقتضبة تفوه بها للمتصل المكلف بالبحث عنها

يخبره بكل قسوة أنهم لم يجدوا زوجته بعد

أغلق الهاتف وكاد يعود يجلس على الأريكة ليتراجع مرة أخرى

يريد الشعور بها ... حتى لو تركت المنزل فروحها تسكن داخله

صعد الدرج عازما على احتضان وسادتها الحاملة عبق رائحتها الناعمة الطيبة

منكمشة على الفراش تبكى بألم تلحق دماء جرح قلبها النازف بلا توقف

يا الله سديم لمتى ستظلين هكذا

يجب أن تعيش حياتك باستمتاع

لما كتب عليك الشقاء؟

ازداد انكماشها وقد عاد كل شيء من الماضي لها

موت والدتها ... ترك والدها لها ... خيانة زوجها

الجميع تولى عنها وها هي الآن وحيدة مشردة كالأطفال بلا ملجأ

أزالت دموعها ففتح الطريق لغيرها

تتنفس بعمق وعنف على تلك الغصة تزول

لكن هيهات ... كل شيء يزول عداها

تجلس أمام المراة تمشط شعرها الناعم لتتوقف يدها عن العمل بفعل خاصته

رفعت رأسها تتطلع لانعكاسه بالمراة ليميل يقبل أعلى رأسها يربت عليها ليميل
وجهها متنهدة باستكانة كقطة وديعة

ابتسم جانب فمه عليها ليهبط على ركبتيه خلفها يديرها ناحيته

نظرت له بابتسامة واسعة ازداد اتساعها بعدما أخذ الأداة من يدها يمشط شعرها
بحنان

ظلا صامتين لدقائق قبل أن يضع صلاح يده على بطنها مبتسما بفرحة وحب ونظرات
الإعتذار بعينيه:

- أنا آسف عارف إنك مأخدتيش حقك فى الفرحة بابننا بس ... إنتى شايقة الظروف

وضعت يدها على فمه نافية بعتاب لكلماته:

- أنا وإنت واحد واللى يزعلك يزعلنى ... إزاي عايزنى أفرح وإنت زعلان

ابتسامة خافتة على شفتيه جعلته أوسم رجل بعينيه لتميل مقبلة وجنته بحب

ابتعدت عنه ليكمل عمله بترتيب شعرها

تهددت بخفوت ليستشعر رغبته بالحديث فتوقف عن العمل يهتم لها رافعا حاجبيه
وينزلهما متسانلا

بالت شفتيها قبل أن تتحدث وتشعر أن جبلا فوق قلبها:

- أنا خائفة

- من إيه يا روى

قالها متعجبا يرجع تلك الخصلات الفارة تتلاعب على وجهها لتستكمل حديثها حزينة:

- خائفة أموت بدرى وأسيبك الفرق بينا كبي... آه

تأوهت بألم بعدما أمسك ذراعها بعنف تبعها بنظراته الحادة:

- الأعمار بيد الله أنا ممكن دلوقتى وأنا نازل الشغل أموت ... مش بالسن ... ولو
كررتى كلامك قسما بالله ما هكلمك تانى ... طلعى عقدة السن دى من مخك ... أنا
جدتى ماتت قبل جدى برغم إنها كانت أصغر منه بعشرين سنة وأكثر ... عمر ما كان
السن مقياس للموت ... الأعمار ... بيد الله

أنهى كلماته منتفضا من مجلسه ليخرج من الغرفة فسارعت بالنهوض تمسك يده
معتذرة ببكاء:

- خلاص آسفة والله مش هقول كدة تانى ... آسفة

نبرتها الحزينة المختنقة كافية لجعله يردع عن غضبه فالتفت محتضنا إياها يزفر
طويلا طاردا الغضب داخله

اشتدت على احتضانه تتمم بكلمات الإعتذار حتى ابتسم وبادلها الاحتضان بعنف كمن
يعاقبها على كلماتها

أسندت رأسها على صدره مغمضة عينيها براحة وحب تحمد ربها فقد نالت أخيرا
السعادة وحصلت على نعم الزوج والحبيب

خرجت من الفندق جامدة الملامح عيناها حمراء غضبا وبكاءا

طردت من الفندق ... ذلك الحقير أخلف وعده ... جعل مديرها يطردها بعدما تلقت
ترقيتها

ساجد ... أقسم سأقتلك ... سأجعلك يوما مشردا كما فعلت معي

أسرعت بخطاها عازمة على الذهاب إليه ... ستدمر حياته وتخبر زوجته الحمقاء أنه
خانها ... ستجعله يبكي دما ندما على ما فعله

الحقير بعدما تزوجها وأخذ ما يريد ... أمر مديرها بطردها بكل بساطة غير عابئ أنها
ستصبح بلا مال

التفتت يمينا ويسارا تبحث عن سيارة توصلها القاهرة عازمة على ما قررت

تأوهت متألّمة بعدما استشعرت أحداً يمسكها من ذراعها يقف خلفها

التفتت برأسها مبتلعة ريقها بخوف تتلملم محاولة الإفلات من قبضة يده القوية لكن لم تستطع

نظرت لوجه الرجل المخيف الضخم ليرتجف بدنها خاصة بعدما تحدث:

- ساجد بيه بيقولك ده درس بسيط للى عملتيه ولو فكرتى تظهرى فى حياته هتنتهى هو عامل حساب خالته لكن بيقسمك حركة منك وهيقتلك

أنهى كلماته التى أمره رئيسه بها ليدفعها بعيدا حتى سقطت أرضا

تطلعت لأثره جاحظة العينان قلبها يرتجف خوفا وترددا

ابتلعت غصتها تتطلع للطريق تارة ولأثر الضخم تارة

لحظة واحدة واحمر وجهها باكية بعنف

لقد خسرت كل شيء

يقفان بالمشفى يبكيان خوفا وألما لا يصدقان ذلك الخبر المفجع

مياسين تبكى بعنف جالسة أرضا تمسك قلبها بشدة من فرط الألم

لطالما كان والداها بعيدين عنها لكن على الأقل تعلم أنهما يتنفسان حولها

تستشعر بالأمان لمجرد التفكير أنهما على قيد الحياة

لكن الآن انتهى الأمان مع انتهاء حياتهما

لا تصدق ... كانت تتجهز لمقابلتهما حتى لو لم يردها أيا منهما

كانت تفكر في مقابلتهما وكيف ستكون وبما تتفوه

لكن كل شيء زال ... لا حديث ... لا لقاء ... لا هما

تميم ... الجبل الذى تهدم ... يقف بضعف يستند برأسه على الحائط بل كامل جسده

لازال بصدمته ... لا زال صدى كلمات الرجل تتردد بأذنه

توفي والديه ... توفي وتركاه دون مأوى

أصبح بلا أب يحتوى به ولا أم يأمن بداخل أحضانها

ضغط على شفتيه مانعا صرخة وجع من فمه لتتحرك الدموع من قيود عينيه تسيل
على وجنتيه

أغمضت مياسين عينيهما تشعر بصداع وألم بكل أنحاء جسدها

تريد الموت ... لا تريد الحياة بعد الآن ... لا تصدق أنها استطاعت الذهاب معه
للمشفى

ظلت ساعات تصرخ ما إن ألقى الخبر عليها كالصاعقة

انهارت وانهار بجانبها

علا صوت شهقاتهم حتى تجمع الجيران أمام شقتها

بكاء ودموع وألم هو كل ما يغلفهم الآن

أفاق كلاهما على صوت رجل وقور:

- الباقية فى حياتكم

أغمضا أعينهم مظهرين عدم رغبتهم بالاستماع

تنهد الطبيب بحزن على حال الشاب والفتاة المبكى ليكمل حديثه:

- الأهالى عرفوا بعض الجثث ما عدا خمسة ... ٣ رجالة و ٢ ستات محتاجين DNA
عشان نحدد مين والد ووالدة حضرتك

تنفس بعمق يمسح وجهه بيده ليزداد احمرارا يومئ للطبيب بضعف

ابتسم الرجل بأسف يربت على كتفه يشير بيده لغرفة فى نهاية الطابق:

- التحليل فى الأوضة دى ... اللى هيحلل ييجى هناك الممرضة مستتية

أوما تميم دون حديث وشهقات خافتة تخرج منه

تركه الطبيب ليظل مكانه دون حركة حتى التفت أخيرا لتلك الجالسة أرضا دموعها
تسقط بهدوء وانتظام

هبط على ركبتيه أمامها يربت بيده على رأسها لتفتح عينيها الداميتين

ابتسم لها وشفتيه ترتعش محاولا بث الدعم والطمأنينة لها لكن فشل كعادته

بلل شفتيه قبل أن يتحدث وكلماته ترتجف كجسده:

- ربنا يرحمهم يا ميا ... بلاش نعيط و... نعذبهم ... ادعيلهم وإن شاء الله هيكونوا
فى مكان أحسن من هنا

- يا ... رب

أخيرا خرجت عن صمتها تتحدث ببكاء عنيف ليحتضنها بسرعة يشاركها الألم والبكاء

ظلا على حالهما حتى ابتعد يزيل دموعه محاولا الابتسام:

- أنا هدخل أحلل وراجع خليكى هنا ماشى

أنهى كلماته وجاء ينهض لتمسك يده مانعة إياه

عاد للجلوس مرة أخرى منتظرا حديثها لتضع يدها على فمها تكتم شهقاتها

أبعدتها لتبدأ الحديث باختناق:

- مينفعش إنت

عقد حاجبيه متعجبا حديثها وقرر الصمت مانحا إياها فرصة الشرح وليته لم يفعل:

- أنا اللي بنتهم مش إنت

- يعنى مفيش أى فرصة ليا

نطقها شريفة بيأس لتجيب الموظفة بابتسامة معذرة:

- آسفة يا فندم بس شرط يكون معاكى لغتين على الأقل

أومات لها شريفة وخرجت شهقة خفيفة منها لتحاول منع البقية

التفتت لتخرج تزيل الدمعة المتمردة على وجنتها

كان يراقب من بعيد حديثهما ليحزن عندما وجدها تبكى بعدما لم تلق فرصتها بالعمل

ثوان وظهّرت ابتسامَة واسعة على شفّتيه بعدما وصل لقرار هام

ركض وهو يحمل صغيره الحائق ناحيتها ليصرخ:

- يا آنسة

كانت تسير ظنا منها أنه ينادى على شخص غيرها لكن تكرر النداء لتقرر الالتفات

نظرت لمن ينادى لتجده ذلك الوقح الذى أبكاها وكاد يضربها منذ قليل

جاءت تتحرك مبتعدة عنه إلا أنه ترجاها أن تستمع إليه لتتهد عاقدة يديها منتظرة حديثه

ابتلع معتر ريقه بتوتر وهو يقترب منها يردف باعتذار:

- أولا أنا آسف ... أنا فهمت غلط بحسبك بتضربى ابنى

- آه والله ومعتر طيوب أساسا ومش بيزعل حد منه بس هو بيحبنى بشوية أفورة بس

رفع معتر حاجبه لابنه الذى أخرجّه أمام الفتاة لينظر خالد له بتحدٍ

التفت معتز وخالد بسرعة لها ما إن استمعا لضحكتها الجميلة لبيتسما عليها

كانا شديدي اللطافة فلم تتمالك نفسها لتخرج ضحكة خافتة منها تبعثها بقولها:

- خلاص ولا يهم حضرتك

اتسعت ابتسامته أكثر ليتحدث متحمسا:

- طب أنا آسف يعنى بس سمعتك عايزة تقدمى هنا ومقبلوش

أومات له بحزن ليستكمل حديثه متوترا:

- طيب أنا ابني قدمته هنا فى المدرسة وكنت محتاج دادة ليه وفى نفس الوقت تكون متعلمة كويس تساعد فى المذاكرة

عقدت حاجبيها تتحدث منتظرة توضيحه:

- يعنى!

حمم بارتباك يجيب:

- يعنى لو ينفع يكون الشخص ده حضرتك

- هيببييه أيوة أيوة

صاح بها خالد سعيدا بقرار والده فقد أحب تلك الجميلة ويخطط للزواج بها!

اتسعت عينا شريفة ذهولا مما تفوه به ذلك الغريب سرعان ما نفت مسرعة:

- لا لا شكرا حضرتك

انقلبت شفتا خالد حزنا بينما تحدث معتر مسرعا وهو يخرج بطاقة من جيبه يعطيها لها رغما عنها:

- بصى ده الكارت بتاعى فيه رقم التليفون وعنوانى ... هتاخدى ٤ آلاف فى الشهر مرتب حلو ويكفيكى ده غير إنك هتعيشى مع خالد فى القصر يعنى الإقامة والأكل علينا وده شرط لأنى بغيب كثير فى شغلى فلازم حد يفضل جمبه ... فكرى كويس ومنتظر اتصالك

ألقى كلماته وتركها متحركا لخارج المدرسة بينما هى التفتت تتطلع لأثره بتعجب

كان يسير يفكر أستوافق على عرضه أم لا؟! ... يتمنى لو تفعل ستزيل عنه حملا كبيرا

بينما كان خالد يحتضن والده فيلتصق صدرهما ببعضهما

رفع وجهه قليلا يضعه على كتف والده ينظر للقاتنة المصدومة مكانها

ابتسم بهيام قبل أن يلقي لها قبلة مضحكة فى الهواء

جفلت مكانها وانتفض جسدها من فعلة الصغير المضحكة

لو كانت بحال أخرى لانفجرت حتما ضحكا عليه

ارتدت ثريا ملابسها وخرجت من غرفتها ليقابلها عاصم:

- رايحة فين؟

أجابت باقتضاب دون النظر إليه:

- هروح لصلاح أشوف رحمة وأحوالها إيه وبالمرّة أطبخلهم أكل يكفيهم كام يوم
عشان ترتاح

لمعت عينا عاصم متحدثا بفرحة عارمة:

- أيوة أيوة وخلي بالك منها ومن حفيدي

أومات له متهددة تتجه للخارج:

- شريفة لما تيجي أكلها في التلاجة خليها تفطر لحسن مكلتش حاجة

- طيب ... يارب بس تتقبل في الشغلانة أهى أى حاجة تنفع فيها

ابتلعت ثريا غصتها بألم وتجاهلت كلماته القاسية

جلست بغرفتها داخل ذلك المنزل الذى كان يحتويها مع والدتها رحمها الله

الآن أصبح البرود حولها وحيدة لا أحد معها

نظرت لكل جانب بالمنزل والدموع تهبط غزيرا

لا مال ... لا عمل ... لا حياة

وضعت نيرة كلتي يديها على وجهها تشهق ببكاء تحاول الوصول لحل تستطيع خلاله
كسب المال

ستصبح مشردة لا محالة لو استمرت دون عمل

ليس معها من المال سوى ما يكفيها بضعة أيام لا أكثر

جحظت عيناه لينتفض من مكانه كمن لدغه أفعى يصرخ بها غضبا:

- ميااا ... إنتى اتجنتى ... عمرى ما كنت أتخيل إن الحقيقة توجعك لدرجة تحاولى
تقلبيها

نفت برأسها منكمشة الملامح ببكاء عنيف تشهق بشدة تبادله الصراخ:

- أنا مش كدااااا ... إنت مش ابنهم أنا اللى بنتهم أنا اللى من لحمهم أنا مش إنت

ظلت تصرخ بها بينما هو يتنفس بسرعة يشعر بالاختناق ينظر حوله بكل مكان
كالتائه لتستكمل حديثها بشرود وضعف وصوتها متحشرج:

- من سنين ... لما مرات عمى عاصم خلفت صلاح ... جدو كان ... كان فرحان أوى
إن بقى عنده حفيد ولد ... لدرجة بابا سمعه بعد سنة من ولادة صلاح بيتكلم مع
المحامى ... عايز يخلى معظم الورث لعمى وابنه

كانت ماما مش خلفت لسة برغم جوازها اللى مر عليه أكثر من سنتين ... وقتها بابا
اهتم بموضوع الخلفة وبدأوا يعملوا عمليات لحد ... لحد فعلا ما حملت بسرعة

أخذت أنفاسها تتحدث بالجزء الموجه بينما هو مائل أمامها يتطلع إليها بصدمة:

- الحمل مش كمل وسقطت ... وقتها بابا خاف لو جدو عرف يكتب وصيته لصالح
عمى عاصم ف ... قرروا يوهموا الكل إنه كان نزييف عاды وإن ماما لسة حامل

عدت الشهور وجه وقت الولادة ... نقلوها المستشفى وبابا أصر محدش يروح معاه

وهناك ... كانوا متفقين مع ممرضة وشخص مجهول يجيبولهم ... طفل لسة مولود
ويقولوا لأهله إنه مات

والطفل ده كان ... كان

تراجع كمن صعق جسده منتفض يتحدث بذهول:

- أنا

أومأت له باكية بعنف تجيب:

- أيوة إنت ... الممرضة خلال ساعات وصلتك وقالت لعيلتك الحقيقية إنك مُت

بابا وماما فرحوا جدا وأخذت اسم بابا والدنيا كويسة

وبعدها بمدة ماما حملت تانى وفرحوا أكثر وأكثر وكانوا بيروحوا لشيوخ عشان
الحمل يثبت و ... عشان يكون ولد

بس للأسف طلع بنت ... لكن مش مهم كدة كدة معاهم الولد اللى عايزينه ... كانوا
بيحبوك وبيعتبروك ابنهم أكثر منى ... كانوا زى جدى بيعشقوا الولاد وبيعتبروا البنت
عار

عدت سنين وجه اليوم اللى دمر كل حاجة

كنت رايحة أوضة ماما و ... سمعتهم بيحكوا كل حاجة

كنت لسة طفلة ... جريت على جدو وقتلته اللى سمعته

ومعدهاش يوم إلا ولقينا نفسنا فى الشارع ... جدو طردهم ... وكتب معظم ورثه لعمى
وقرر ميقولش لحد حاجة عن السر ده عشان ابنه ميتسجنش

و ... قال لبابا إنه عرف منى ... فزاد كرههم ليا ... عرفت ليه كانوا بيعاملونى كدة

عرفت ليه بيكرهونى ... عشان أنا ... أنا اللى...

توقفت عن الحديث منفجرة بكاء تخفى وجهها بيديها وصوت شهقاتها يعلو

بينما هو ... سكون ... صمت ... لا ردة فعل

يقف كالصنم دون حركة وكلماتها تتردد بأذنيه

ليس ابنهما ... خطف من عائلته ... خدع كل تلك السنوات

كلماتها تجول برأسه حتى أهلكته ليضع يديه على أذنيه صارخا بألم:

- ليبييه؟!

ظل يصرخ حتى تجمع العديد حولهما ... كلاهما منهاران دموعهما تكاد تغرق الأرض

خفت صوته تدريجيا وضعف معه جسده ليسير كالعجوز للخارج كالمنوم مغناطيسيا
غير واع لما يدور حوله

تطلعت مياسين لأثره باكية متحسرة على حالهم

متى تزهو حياتها ويزول الظلام منها؟!

- اقعدى إنتى يا حبيبتي هجيبلك الروشة

قالت ثريا لزوجة ابنها التى نست أن تشتري الدواء

اتجهت ثريا لغرفة نوم ابنها بعدما وصفت رحمة أين تجد الورقة بينما
انشغلت بالتحدث مع زوجها ليأتى يجلب لها الدواء

كانت ثريا تبحث عن الورقة وسط العديد من الأوراق لتقع عينها على شهادة ميلاد
قديمة

أمسكتها مبتسمة فرحمة كانت جميلة فى صغرها كما هى الآن

جاءت تضع الورقة محلها لترتشف يدها ما إن وقعت عينها على تاريخ الميلاد

كيف ذلك؟ بالتأكد هناك خطأ؟

إنها ثلاثينية ... لكن ابنها قال أنها فى نفس عمره

اتسعت عينها صدمة ... أكذب عليهم كل ذلك الوقت

سارعت للخارج لتجد رحمة تتحدث مع ابنها ضاحكة لتقاطعها بصرامة وهى ترفع
الورقة بوجهها:

- ايه اللى أنا شايفاه ده ... ده تاريخ ميلادك فعلا ... انطقى

أنهت كلماتها صارخة لترتجف رحمة محلها واحمر وجهها مشرفة على البكاء:

- ما ... ماما حضرتك فاهمة غلط

ارتجفت وهى تتفوه بعبارتها لتلقى ثريا الورقة أرضا صارخة:

- غلط؟! غلط إيبه ... بقى تضحكى على الواد ... أكيد عملتيله سحر ... ابنى طول عمره عاقل ... مستحيل يتجوز واحدة أكبر منه ييجى بخمستاشر سنة

شهقت رحمة تبكى بصمت بينما دفعتها ثريا وهى تتجه للخارج غاضبة

- ألو ... ألو ... رحمة فى إيه؟!!

كان ذلك صوت صلاح المتعجب فى الهاتف لتجيب عليه باكية بشدة:

- صلاح الحقنى

مر أسبوع كامل كل بمشاعر مختلفة وليال صارمة لم ترحم أحدا

طرق الباب بتوتر يحرك ساقه يدبذب بها الأرض وقلبه يكاد يخترق صدره يشعر
بالارتباك الشديد

فتحت بعد مدة بسيطة وكالعادة بوجه شاحب يتخلله حمرة البكاء وعينان منتفخة تشبه
الدماء بلونها

انبسطت شفثيه بأسى على حالها ... كان معه حق عندما شعر أن ساجد ليس الاختيار
الموفق لها ... لو اختارته هو لما مرت بكل هذا ... حتى لو اختارت غيره ... لكن
على الأقل يكون شخصا مناسبا لها يحمل أفكارها وشغفها

تنهد متحدثا بابتسامة مترددة وهو يمد يده بطبق عليه أصناف من الطعام:

- اتفضلى الأكل

تناولت الطبق الكبير من يده وأومات بضعف غير قادرة على الحديث ليشعر بالأسف
الشديد عليها

وضع يديه على خصره وابتلع ريقه متحدثا بحنان:

- انسى يا سديم ... أو على الأقل تناسى اللى حصل ... سيبنى كل حاجة على ربك ...
متفكريش كتير ... عيشى أيامك اللى بنعيشها مرة واحدة

ضغطت على شفثيها المرتعشة تمنع شهقة من الخروج تجيب وهى تنتظر للجانب
الآخر محاولة التماسك بنبرة شديدة الخفوت:

- صعب

عقد حاجبيه فلم يسمع كلمتها ليتحدث:

- إيه؟!!

أخذت نفسا عميقا وأغمضت عينيها بعنف لثوان قبل أن تفتحهما وتعاود النظر إليه
تتحدث بنبرة أعلى:

- صعب ... صعب أنسى إن كل أحلامي اتدمرت ... صعب أنسى إن أقرب شخص ليا
بل الوحيد الذى فى حياتى يعمل معايا كدة ... صعب أنسى وأتناسى الذى حصل ... الذى
حصل أكبر من قدرتى ... أكبر من كل حاجة ... أقدر أنسى كل حاجة إلا ده ... لإمتى
يا معتر هفضل كدة ... لإمتى الكل هيفضل يتخلى عنى ... لإمتى الكل هيفضل يكرهنى

سقطت دموعها الوحيدة كصاحبته ليتحدث باندفاع ودفاع معا:

- أنا مش بكرهك ... أنا معاكى ... وهفضل معاكى

جفلت من كلماته لتتوتر ملامحها تتحدث بارتعاش:

- آا احم عن إذنك

احمر وجهه حرجا وهو يبتعد عن الباب بخطوات للخلف:

- آه ... اتفضل

التفتت متجها لقصره وتجمعت كل يد بقبضة وملامحه منزعة مما تفوه به

بينما هي نظرت لأثره بشروء وغامت عيناها بالدموع تتحدث متمنية:

- يا ريتنى أقدر أحبك ... ياريت بمقدرتى أختار الشخص اللى أكمل معاه ... لكن ده السبب

أنهت جملتها مشيرة لقلبها قبل أن تضغط عليه بيدها متمنية لو تنزعه تماما

جالس على الأرض يستند بظهره إلى الحائط بيده كرة ضغط يعتصرها بعنف ملامحه غاضبة لا تتم على الخير أبدا

كان مغفلا طوال حياته ... تربى بين من اختطفوه ... استمر ليومين حزينا على وفاتهم مصدوما مما علمه

لكن الآن حقد وكره فقط ... كيف يشعر بالشفقة على من اختطفوه من عائلته

لو كانوا أحياء لقتلهم لا محالة

لعذبهم بمقدار تلك السنوات التى عاش بها معهم ... مع من انتزعوا منه دفء عائلته
الحقيقة والتى لم ولن يعلم عنهم شيئا طوال حياته

ليست له فرصة بالوصول إليهم

زاد ضغطه على الكرة حتى كادت تصبح مستوية كالأرض الصلبة تحته

تلك اللعينة كذبت عليه هى الأخرى ... من كان يحتويها بحنانه استغفلته

كانت تعلم كل شيء والتزمت الصمت ... ألم تشعر بالذنب ناحيته؟! ألم تشفق عليه
يوما؟!

سأنتقم منك مياسين ... سأجعلك تندمين على فعلتك

سأجعلك تتوسلين الر...

هنا وارتخت يده تاركة الكرة تسقط من يده التى وضعها على قلبه الذى آلمه من شدة
ضربات

كمن يعاقبه على كلماته! كمن يلقيه درسا لا ينساه حتى لا يتحدث عن صغيرته هكذا
مرة أخرى! كمن يتحداه أن ينفذ كلماته فيتوقف عن النبض قاتلا إياه فورا!

اعتصر بيده صدره موضع قلبه وزم شفتاه عائدا للبكاء كالطفل الحائر لا يعلم ماذا
يفعل أو لأين يذهب

ترتدى الأسود وتجلس على الفراش تحنى ظهرها للأمام كالعجوز

تنظر لصورة جمعتها مع تميم ووالديها فى صغرها

هبطت دماعتها لتغرق كل من بالصورة

دُفن والديها ... لم يحضر الغزاء سوى عمها عاصم وزوجته ثريا التى أخذتها
بالأحضان باكية على حالها ومشتاقة لها

حتى أولاد عمها لم يأتوا

أزالت دموعها ووضعت الصورة بجانبها بعدما قبلت كل من بها وازدادت دموعها
عندما قبلته هو حبيبها الذى أخفى كل الحنان والاحتواء عنها وقابلها بالجفاء ... لا
يرد على مكالماتها ... لا يتتبعها مثلما كان يفعل ... لا يطمئن عليها ولو باتصال حتى

أمسكت الهاتف متصلة بها ... صديقتها التي تشاركها أحزانها وآلامها والتي لا تمر فترة عصبية بحياة أى منهما إلا وتمر الأخرى بفترة مثلها

تهدت بوجع لصديقتها التي لا تقل حياتها ألما عنها فقد قص كل منهما حكايته للآخرى عل الوجع يخف لكن لم يقابلهم سوى مضاعفته

ابتسم بخفوت عندما جاءها الرد الواهن من سديم لتتحدث متهددة:

- فاضية أجيلك

ضحكت سديم بتهكم وهى تزيح الأطباق بعيدا ليس لها قدرة على تناول الطعام:

- لا مشغولة بجوزى و عيالى

عضت مياسين شفتها حزنا على صديقتها لتتحدث:

- هاخلص شغل البيت وأجيلك نقعد مع بعض شوية

- تمام

أغلقا الهاتف لتعود كل منهما لأوجاعها وحياتها المدمرة

وضع الغطاء عليها بعدما نامت بعد فترة طويلة من البكاء الذى يلازمها طوال الأسبوع ولا تردد سوى أن والدته ستجعله يتركها

قبل جبينها الدافئ وربت على كتفها تاركا إياها ليجلس خارج الغرفة

ألقي جسده على المقعد زافرا بحزن فرحمة بطبيعتها تخاف أن يتركها

والآن زادت والدته الأمر سوءا

لكن يعلم جيدا أنها قد تقبلت الأمر قليلا

لو كانت مصرّة على رفضها لأخبرت والده الذى سيبتكر كل الطرق لأن يطلق زوجته الحبيبة

لكن كونها لم تخبر والده إذا فهي قد تقبلت قليلا تلك الفكرة

وضع الهاتف على أذنه منتظرا صوتها حتى جاءه بحة:

- نعم

قهقهه بخفوت متحدثا برجاء:

- خلاص يا ماما بقى بالله عليكى

- خلاص! خلاص إيه؟! خلاص إنك رايح تتجوزلى واحدة أكبر منك بده كله ... ولا خلاص إنك ضحكت علينا ها

تنهد مجيبا بتعب وإرهاق:

- يا ماما بالله عليكى بقى والله العظيم أنا بعشقها وهى بتعشقنى ليه مكبرة الموضوع ... ما الفرق بينك وبين بابا كبير برضو والحمد لله بخير ... طب طول فترة جوازنا عمرى جيت إشتكتلك مرة ولا قتللك فى مشاكل بينا

صمتت ولم تجب فمعه حق بتلك النقطة لطالما كان صوتهما ينم على الفرحة العارمة ليكمل حديثه بحماس بعد طول صمتها:

- شوفتى بقى يعنى إحنا كو...

صمت بفرع بعدما استمع لصراخ بحجرتة ليلقى الهاتف على المقعد وانتفض ركضا للداخل:

- صلااااا صلاااا ايه الصوت ده ... صلاااا

صرخت بها ثريا قلقة على ابنها بينما هو دلف الغرفة بفرع ليجد رحمة عروقها بارزة تصرخ ألما

اتجه ناحيتها مسرعا وقلبه ينتفض خوفا:

- رحمة حبيبتي مالك

لم تقدر على الحديث ألما لتستمر بصراخها فسارع بإزالة الغطاء ليحملها لكن كانت الصاعقة

الدماء تملأ الفراش ليسقط قلبه بين قدميه وشعر بجسده يتجمد فزعا

ثانية وحملها مسرعا ودمعت عيناه محاولا طمأنتها:

- بس بس بس يا حبيبتي

ألبسها عباءة وركض بها للخارج يدعو ربه فسيهلك لو حدث مكروه لهما

- بجد ... طب بسرعة أنا منتظر اتصالك

أنهى بها ساجد حديثه مع رجله الذى توصل لأول خيط للقاء زوجته

ارتخى جسده ليسقط على المقعد وأنفاسه تتسارع كمن كان يركض لأميال

خرجت ضحكة صغيرة من شفتيه المبتسمتين بغير تصديق تتبعها عدة ضحكات أخرى

رفع رأسه ينظر لأعلى غير مصدقا

أخيرا سألقاكي سديم ... ستعودين لأحضانى ولن أتركك أبدا ... سأعتصرك بين
ذراعى أعاقبك على جفائك وبعدك ... سأقيدك بين ثنايا قلبي لأمنعك من الابتعاد مرة
أخرى

لكن قبل كل هذا سأغمرك بعشقى ... عشقى الذى منعه عنك ... سألقيه دفعة واحدة
داخل قلبك حتى يرتوى

لن أتركك سوى وأنا مفرغ كل دماء عشقى داخلك ليستقبل جسدى المزيد منك
يشعر بشرايينه ستنفجر من فرط العشق داخله
مسح بيده على وجهه وابتسامته لم تزول ولن تزول مرة أخرى

فاللقاء قريب

- إيه؟ حفيدى

صرخ بها عاصم بعدما تلقى خبر من زوجته بصراخ رحمة

بكت ثريا خوفا وندما متيقنة أن ما حدث لها يد به فقد كانت شديدة القسوة عليهما

تحدثت شريفة بخوف:

- أنا هلبس بسرعة على ما صلاح يرد

جاءت لتتحرك لغرفتها لكن تصنمت مكانها إثر كلمات والدها الغاضبة:

- اقعدى إنتى يا وش النحس تلاقىكى بصيتيلها وحسدتيها

ألقى كلماته بلا رحمة وركض لغرفته يرتدى ملابسه بينما انفجرت ثريا فى البكاء أكثر وأكثر لا تعلم أتواسى ابنها أم زوجته أم ابنتها أو نفسها!

زفرت باكية تتجه لشريفة الساكنة محلها تحتضنها معذرة باختناق:

- معلش يا حبيبتي أبوكى مش قصده هو بس زعلان متز...

- أنا رايحة انهاردة أشتغل عند أستاذ معنز

قالتها شريفة بجمود فقد ملت دموعها من الهطول لتكف عن ذلك بينما ابتعدت ثريا بصدمة:

- إيه؟ لا طبعا مستحيل ... إزاي عايزانى أقبل تعيش فى بيت راجل غريب

- بس بابا قبل كدة لما قتلتم من أسبوع

نطقها باتهام لتبتلع ثريا ريقها بتوتر:

- يا حب...

أمسكت شريفة يد والدتها تحتضنها بين يديها راجية إياها ببكاء:

- ماما أنا لو فضلت هنا والله العظيم هموت ... بالله عليكى سيبينى أشوف حياتى ...
ابقى زورينى كل مدة ... لكن مش هقدر أقعد هنا أبدا ... حاسة بخنقة وإنى هموت
حرفيا

- بعد الشر عليكى يا حبيبتى

شهقت شريفة متحدثة بابتسامة حزينة:

- ماما إنتى مربيانى كويس وعارفة إن عمرى ما هعمل حاجة غلط ومتقلقيش هناك
فى ناس بيشغلوا وعاشين فى البيت يعنى مش هبقى لوحدى

تطلعت ثريا لكل شيء بتشتت حتى تنهدت مستسلمة:

- ماشى يا شريفة وأنا هقتع أخوكى ... بس لو حسيتى بحاجة مش مضبوطة ترجعى
علطول على ما نخلص من المصيبة دى وآجى أظمن

أومات شريفة بسرعة وسعادة وقبلت وجنة والدتها وركضت للداخل:

- أنا هلبس بقى هروح دلوقتى أتأكد بنفسى إن البيت فيه شغالين كتير وجاية علطول

تطلعت ثريا لأثرها بحزن شديد قبل أن تذهب لغرفتها لتتجهز وقد عاد القلق لقلبها
مرة أخرى

بسط يديه يستشعر رائحة وهواء الوطن

ابتسم بخبث يتحدث بنبرة كالأفعى المكر يغلفها:

- نبدأ الشغل يا حبيبة ابنى

زفر للمرة التى لا يعلم عددها بغضب لينتفض من مكانه مقررا الذهاب إليها

لا يعلم لما ... لا يعلم ماذا يقول عندما يراها ... لا يعلم ما ردة فعله عندما يتذكر أنها
اشتركت بالجريمة

لكن شيء بداخله يخبره أن يذهب إليها

أنهى تميم ارتداء ملابسه فأغلق باب شقته وأخذ الدرج ركضا وعلى وجهه الغضب الشديد

تطلعت شريفة لزجاج سيارة الأجرى تراقب الطريق بصمت

أغمضت عينيها تفكر بمستقبلها وما ستفعله

يجب أن تتقوى بنفسها لا تستند على غيرها ... يجب أن تتعلم الجفاء والصرامة

لا يجب اقحام مشاعرها بكل شيء

فلتلغى قلبها وتدع الطريق لعقلها

علها تنجح بحياتها الآن ... كمطلقة

قبل جبين زوجته التي جاءها نزيف بسبب حزنها وإضرابها عن الطعام

ابتعد عنها ناظرا لها بحزن وبعض اللوم لتبتسم له ببراعة قطة فضحك نافيا برأسه
عدة مرات يائسا من فشله بالغضب كالعادة

لا يملك القدرة للصمود أمام نظرتها الجميلة

ربت على رأسها متحدثا بحنان:

- ألف سلامة عليكى يا حبيبتي

- ههههه الله يسلمك

نطقتها ضاحكة بسعادة لمسامحته إياها وقد قررت عدم الحزن مرة أخرى فلن ينفعها
أحد عندما تفقد ابنها وعشق زوجها

تنهدت ثريا بخفوت وهى تراقب نظراتهما لبعضهما لتغمض عينيها بحزن مما فعلته

بسببها كانت ستفقد حفيدها الأول ... كانت ستقتل روحها

ابتسمت مقررّة تناسى ما عرفته ... ابنها ليس طفل بل رجل واعٍ يستطيع تحديد ما
هو أفضل له

فلتنسى ثريا

اقتربت منهما لينتبهها أخيرا لوجودها

انكمشت رحمة قليلا على الفراش تضغط على يد صلاح بخوف الذى بادلها الضغط
ليطمئنها

جلست ثريا على جانب الفراش وسكنت لدقائق كانت سنوات مريرة على الزوجين

وأخيرا ابتسمت الأم وهبطت تقبل جبين رحمة متممة:

- ألف سلامة عليكى يا حبيبتي

جحظت عينا رحمة التى كانت تنتظر التوبيخ منها ليصدمها العكس

نظرت لصلاح غير مصدقة ليبترسم لها بشدة وانتصار فقد كان متيقنا أن والدته لن
تطيل بضيقها

ابتلعت رحمة ريقها بتوتر وفرحة تجيب مبتسمة:

- الحمد لله يا طنط

عقدت ثريا حاجبيها بضيق مرددة بلوم:

- دلوقتى بقيت طنط؟! فين ماما اللى كنت بسمعها منك ... ولا خلاص بقى راحت عليا

نفت رحمة مسرعة ضاحكة بفرحة عارمة:

- لا طبعا ماما وأحلى ماما كمان

كادوا يستكملون الحديث ليقاطعهم اندفاع عاصم المهمل فرحة:

- الحمد لله الدكتور طمنى مفيش حاجة فى الجنين

ابتسم صلاح ورحمة له بمجاملة بينما وضعت ثريا يدها على وجهها بيأس من أفعال زوجها قبل أن تتذكر شيئا هاما

أزالت يدها لتتحدث بارتباك:

- كنت عايزة أقولكم حاجة ... شريفة قبلت الشغل عند اللى اسمه معتز وزمانها دلوقتى هناك بتشوف البيت وتطمئن

أغلقت الباب وهبطت بخطوات هادئة جسدها كالموتى هزيل لا روح به

وقفت بالطريق تنتظر سيارة أجرى حتى وجدت واحدة فركبتها بهدوء متجهة لسديم

كان تميم بسيارته يحرك قدمه بتوتر لا يعلم ماذا حل به ليأتى لها

كان يجب عليه أن يقطعها بل يعاقبها على فعلتها

لكن ها هو كالغبي تحت باب شقتها يجلس كالطفل لا يعلم ماذا يفعل

اتسعت عيناه وارتفعت ضربات قلبه وهو يجدها تخرج من البناية

تفحص جسدها الذى برغم اتساع ثوبها إلا أنه يتضح خسارتها لبعض الوزن

غامت عيناه حزنا على حالتيهما الغير سارة أبدا

كلاهما ميتان

عقد حاجبيه بتعجب عندما وجدها تهبط وتركب سيارة ليحرك خاصته يتتبعها بفضول

يجلس بغرفتهما التى شهدت حبهما المشتعل يتطلع لكل إنش به

هنا كانت تضحك ... هنا سقطت وبكت كالأطفال ليحملها مربتا على ظهرها آخذا إياها
بين أحضانه ... هنا قبلها بحب ... هنا ركضت تجاهه تحتضنه بشوق

كل ركن بالغرفة شهد لحظات عشقهما

نظر ساجد للصندوق بين يديه والذي اعتادت زوجته على وضع كل ما هو غال بها

فتحه بشوق ليجد كالعادة صورته تحتل أعلى درجة بالصندوق كله

ابتسم بحزن وسقطت دمعة من عينيه ليزيل الصورة

اتسعت ابتسامته يجد العديد من اختبارات الحمل

زوجه الحبيبة لطالما احتفظت بهم لتخوض اختبار كل فترة متمنية طفل صغير

أصرت عليه أكثر من مرة بالذهاب لطبيب لكنه رفض بشكل قاطع فالإنجاب بيد الله ولا
يجب التعجل

لكن الآن يلعن نفسه على فعلته

ليته استمع لها لكان معهما طفل قيدها ما جعلها تتركه أبدا

لكن صبرا جميلا ساجد ... ساعات وتصل إليها ووقتها لن تغفل منك أبدا

صبرا جميلا مماثلا جمالك سديمي

أوقف تميم سيارته حيث محل نزولها ليتطلع حوله بتعجب

ما علاقتها بذلك المكان الفخم الذي يحتوى على قصر ومنزل ضخم متجاورين

تعجب عندما وجدها تحتضن فتاة ما ليزداد تعجبه أكثر عندما اكتشف من هي

إنها شريفة ابنة عمه ... لا لا ليست ابنة عمه ... فالتنس كل من عرفتهم تميم

ظل يراقب الأحوال بفضول ومازال متعجبا من ذهابها لهذا المكان

كادت مياسين تدلف للقصر حتى أوقفها صوت تعرفه:

- مياسين!

التفتت لتجد ابنة عمها شريفة تتطلع لها بذهول قبل أن تركض تحتضنها مربتة على
ظهرها بحزن:

- البقاء لله يا حبيبتي معلش معرفتش آجيلك والله

- ولا يهمك

قالتها مياسين بحزن لتبتعد شريفة مردفة بتعجب:

- صحيح بتعملى إيه هنا

أشارت مياسين للداخل حيث موضع المنزل الضخم:

- جاية أزور صديقة ليا مأجرة البيت ده ... وإنتي؟

توترت شريفة قليلا قبل أن تجيب بابتسامة:

- أنا هشتغل عند صاحب القصر ده ... مدرسة ودادة لابنه

أومأت مياسين لها قبل أن تضيف مبتسمة:

- على فكرة هو شخص كويس جدا

أشرق وجه شريفة عندما تلقت المدح عنه فقد كانت خائفة ألا يكون طيبا

دلفا معا للداخل وكل اتجه لطريقه واعدین بعضهما باللقاء مرة أخرى

- نعم یعنی إیه تعيش مع راجل غریب هی اتجننت ولا إیه؟!!

صرخ بها صلاح غاضبا من قرار أخته المتهور لتتهد ثريا بنفاذ صبر وحزن على ابنتها فجميع من حولها يفكر بنفسه قبل أن يفكر بها وها قد أيد تفكيرها حديث عاصم الخالي من الرحمة:

- وفيها إیه الشغل مش عيب وبعدين الراجل ده سمعت عنه وغنى ومشهور ومحترم ده غير فى ناس تانية عايشين فى القصر

اتسعت عينا صلاح غير مصدقا يتحدث بجنون:

- إنت بتقول إیه يا بابا شغل إیه اللى مش عيب هتفرح لما تجيلك بفضيحة و..

هنا وكفى ... علا صراخ ثريا عليهم تتحدث بقهرة وبكاء:

- بس بقى بس ... دلوقتى هى اللى غلطانة ... دلوقتى كلکم خايفين على مصلحتها ... كنت فين يا عاصم لما أجبرتها تتجوز على مزاجك ... وإنت يا أستاذ صلاح ... كنت فين لما أبوك جوزها ها ... أقولك أنا كنت فين ... كنت بتدور على حالك وھتجوز امتى ... كنت أناى مش بتفكر غير فى نفسك

محدث فيكم اهتم بيها .. يبقى ملكوش حق تقولى تعمل إيه

بنتي من انهاردة حرة ... من انهاردة هي هتقرر اللي عايزاه ومحدث ليه يتدخل

أنهت كلماتها وصوت تنفسها يقطع الصمت والسكون الذي حل

عاصم يقف مكانه يظهر الجمود لكن داخله يتردد كل ما تفوه به وكسر قلب ابنته

صلاح يشعر بالخزي الذي منعه من الحديث

معها حق والدته كان يركض خلف ما يريد تاركا شريفة وحدها تواجه قرارات والده
الخاطئة

دمعت عينا رحمة فقد قالت ثريا الحقيقة التي لم تستطع هي التفوه بها عندما علمت
كل شيء عن شريفة

تنهدت ثريا متحدثة بصراحة:

- أنا هعرف أتابع بنتي وأسندها وزى ما سيبتوها زمان لوحدها هتسيبوها دلوقتى
برضو ... شريفة لو حبت تشتغل عنده هتشتغل ... ومحدث فيكم يقدر يمنعها ... أنا
اللى هقفلكم

أوما صلاح لها مستسلما بحزن لكلماتها التي مست قلبه فدمرته

حقا لا يصدق عينيه ... أحقا تجلس أمامه الآن؟! مر أسبوع على مقابلتهم ولم تأت أو
ت هاتفه فظن أنها رفضت واستعد للبحث عن أخرى

لكن ها هي الآن تجلس بخجل أمامه تستكشف المنزل

أفاق على كلماتها الخجولة:

- بس مش بدرى أشتغل من بكرة

تنهد متحدثة بابتسامة معذرة:

- خالد محتاج حد يتابعه ومينفعش أستنى أكثر من كدة

ثم أضاف بمكر مضيقا عينيه:

- وبعدين إنتى جيتى على فجأة أهو من غير ما أعرف عشان تتأكدى إن فى ناس فى
البيت

ابتلعت ريقها بتوتر فقد كشف فعلتها ... لم ترد الاتصال به خوفا من أن يأتى
بأشخاص للقصر يوهمها أنهم مقيمون به

فقررت مفاجئته لتعلم كل الحقيقة

زادت ابتسامته اتساعا يراقب جحوظ عينيها كالأطفال وتوترها

بالتألق العلوى كان خالد يرتدى أفضل ما عنده يتجهز ويضع عطر والده الفواح

ينظر للمرأة يهندم ملابسها ويرتب شعره جيدا ليصفق بفرحة هابطا لأسفل ليقابل
حبيبته!

قطع صمتهما صوت خطوات صغيرة ليلتفت معتز لابنه الذى يسير بطريقة غريبة

يحرك يده للأمام والخلف يحبس أنفاسه فانتفخ صدره الصغير

عقد حاجبيه من فعلة صغيره الذى اتجه ناحيتها يصافحها برزانة:

- أهلا ... أنا خالد الذى هياخد باله منك ... قصدى يعنى هتاخذى بالك منه

ضحكت بشدة على براءته قبل أن تعبت بشعره لتتكلمش ملامحه ضيقا من فعلتها

أعتقد طفلا لتفعل ذلك!

نهضت من مجلسها تتحدث بتهيدة:

- خلاص تمام بإذن الله هجهز حاجتى انهاردة وبكرة الصبح هاجى

أوما معتز لها وقد نهض هو الآخر بينما حزن خالد على ذهابها

أوصلها معتز للخارج ثم عاد ليجد صغيره على ذلك الحال فزفر بيأس

خلال عامين علّمه ألا يعتبر أى أنثى والدته

وليته لم يفعل ذلك

فها هو صغيره ينظر لها كحبيبة!

كم هو أحمق!

اقترب منه وضربه بخفة على وجنته ليزمجر خالد كالجرو الصغير مما جعل والده
ينفجر ضحكا عليه

- هوووف هو أنا جياالك عشان تنامى

قالتها مياسين محتجة لنوم سديم وصمتها لتتحدث سديم بتعب:

- نامى يا مياسين أنا مش قادرة

زمت شفتيها بضيق لتلقى جسدها على الفراش متحدثة بتهيدة:

- حاضر هتخمد

ثم أضافت بهمس وألم داخلى:

- يمكن الوجع يخف

بالرغم من همسها إلا أن سديم التقطت كلماتها لتغلق عينيها بشدة حد الاعتصار

لا تريد أى كلمات تتذكر بها وجعها ووجع صديقتها

وكالعادة هربت من دنياها البائسة بالنوم ... النوم العميق المشابه للموت

تعجب تميم فقد حل الليل ولم تخرج بعد

لولا أنه رأى من البوابة الحديدية خروج تلك التى كانت تعيش معها منذ عامين من
المنزل الضخم لتقابل مياسين لما ظل بهذا الهدوء بل لدلف مسرعا آخذا إياها عنوة

تنهد رافعا رأسه ينظر لأعلى حتى شعر بالنعاس ليغمض عينيه مستسلما دون الحاجة
لصراع النوم كما كان يفعل سابقا لأجل قضاء الوقت مع ميا خاصته

احتضن الوسادة وابتسامة بهاء تداعب شفثيه لم تزل بعد ... مجرد التفكير أن بالغد
ستكون معه تتوج منزله يجعله يكاد يطير فرحا

اشتد ساجد على احتضان الوسادة يشتمها بوله وجنون حيث رائحتها الجميلة الطيبة

تنهد متنفسا بعمق يأخذ أكبر قدر داخله لتسرى بكل ذرة بجسده

فرائحتها هى أنفاسه وإدمانه

أخيرا أشرقت الشمس لكن لم يعم نورها عنده فسوى الظلام لن تجد داخله

يقطع الطرقات وصوت احتكاك إطارات سيارته يعلو ويعلو حتى كاد يصبح صريخا

لا يهमे أى أحد ... لا يهमे الموت ... لا يهमे وشوك اصطدامه بأى سيارة أمامه ...
لا يهमे سوى أنه سيلقنها درسا لن تنساه!

لازالت الكلمات تتردد بعقله ... لازال صوت الرجل وهو يمليه عنوان المكان الذى
يحويها يدور بخلده

سقط الهاتف من يده وجحظت عيناه صدمة

ذاك العنوان يخصه ... غريمه الذى تشاجر معه لأجلها منذ عامين

تركته وذهبت لذلك الحقير ... تركت من تعشقه لأجل من يحبها

أقسم بربى لو اقترب منك أو تحدث معك لأقتله سديم

سأنتزعك من بين يديه ... بالتأكيد هو من جعلك تجلسين عنده

أوما برأسه ووجهه ينفجر عرقا يحاول ترسيخ تلك الفكرة برأسه

هى لم تتركه لأجل معتز الحقير ... بالتأكيد قد هددها بشيء أو أجبرها

زادت سرعة سيارته ليعلو صوتها مزمنة مع خروج صرخة غاضبة متألمة منه:

- سدييييم

حل الصباح وتجمعوا بالمنزل يودعونها بدموع مشتاقة

تحدث ثريا لابنتها بحنان واختناق:

- ابقى خدى أجازة يا حبيبتي وزورينا وأنا كل شوية هتصل بيكى أطمئن وهجيك كمان

أومات شريفة لها تحتضنها لتبث لها حنان يكفيها المدة التى ستغيب بها والتى قد
تكون سنون طويلة

اتجهت لوالدها واحتضنته بلا روح سرعان ما ابتعدت عنه ليخفض بصره بحزن

التفتت لتجد أخاها دامع العينان حزين الملامح فألقت نفسها بين ذراعيه تحتضنه
بعنف طويلا ليبادلها إياه بشغف:

- هجيك كتير وهنطلك لغاية ما يزهرق ويطردك

ضحكت شريفة عليه وهى تتركه وتحتضن رحمة التى أوصت كل منهما الأخرى
بالاعتناء بنفسها

أمسكت شريفة حقيبتها وقد أصرت ألا يوصلها أحد

يجب أن يشهد اليوم استقلالها واعتمادها على نفسها منذ أول ثانية

خرجت من المنزل لتنفجر ثريا التي حاولت التماسك بكاء

ربت عاصم على كتفها بينما أمسكت رحمة يد صلاح التي متيقنة أنه ينزف داخليا ألما
وبكاءا

استيقظت سديم تتثاءب بنعاس ... بمجرد أن نهضت من الفراش حتى سقطت عليه
مرة أخرى بخمول

كان قلبها ينبض بهدوء ونعاس يماثل حالة عينيها حتى صرخ نابضا بعنف عندما
صرخت الغبية التي بجانبها:

- عووووو

- آآآآه

صرخت سديم فزعا من تلك التي كانت تمثل النوم حتى انتفضت من مكانها ترعبها

سقطت مياسين على الفراش ضاحكة بعنف حتى أمسكت بطنها التي تقلصت من فرط
ضحكها

نظرت سديم لها بغيظ قبل أن تنقض عليها تضربها ليعلو صوت الصراخ المختلط
بضحك وقد قرر كل منهما تناسي ألمهما ولو قليلا

ثوان واستمعا لصوت ضجيج بالخارج فتوقفا عن الحركة عاقدين حاجبيهما الفاتنين
بتعجب:

- إيه الصوت ده؟!!

تساءلت مياسين لتحرك الأخرى كتفيتها بعدم معرفة لينهضا مسرعين يرتدان حجابهما
ليريا ما بالخارج

وصلت شريفة للمنزل وقد رحب بها معتز مبتسما لتشعر بالتوتر

- اعتبرى البيت بيتك ... أوضة خالد اول أوضة فوق على اليمين وأوضتك هتكون
جمبه عشان لو احتاجك فى حاجة

أومات له ووجنتها حمراء فلم تتحدث مع رجل غريب مطلقا من قبل سوى قصى

أغمضت عينيها بألم لا تريد تذكره خاصة بعدما أرسل لها أوراق الطلاق منذ أيام قليلة

ابتسم بخفوت عندما شاهد خجلها ووجنتها الحمراء ليتعجب عندما لاحظ الألم على
وجهها

شعر أن تألمها داخليا وليس جسديا فقرر عدم السؤال

قد يكون بسبب طليقها

بالطبع يعلم أنها مطلقة ويعلم سبب طلاقها وهو صعوبة إنجابها

لن يجعل أى شخص يقترب من ابنه الحبيب سوى وهو يعلم كل شيء عنه

كم شعر بالشفقة عليها وتمنى لو يقبض على رقبة قصى يخنقه حتى الموت

فمن الغبى الذى يجرح أنثى جميلة مثلها؟!!

أفاق على تحرك شريفة بخطوات هادئة لأعلى حيث غرفتها تريد أن تريح جسدها
وتنام قليلا

جاء ليتحرك للمطبخ يخبرهم بإعداد وجبة لها عند استيقاظها ليتسمر مكانه من صوت
الضجيج بالخارج ليتحرك للباب بهرولة مسرعا

- سديييييم

يصرخ بها بعنف وغضب يحاول إزاحة أفراد الأمن عنه ... يريد الركض بأقصى سرعة للداخل لينتشلها من يدى غريمه

كان تميم يراقب من بعيد وجاء يهبط من سيارته لكن فضل الجلوس حتى لا تكبر المشكلة التي لا يعلم سببها وبداخله يتأهب للتدخل إذا مس أحدهم مياسين بسوء ... لكن لا ننكر توتره وخوفه من الآن عليها

فتحت الفتاتان الباب وخرجا مسرعين ليصعقا محلهما

جحظت عينا سديم تراه يقف أمامها مقيد من الأمن يصرخ باختناق دال على قرب مكانه

أخرجت أنفاسها بتقطع متوترة تستشعر ارتجاف كل شيء بها حتى قلبها ... لم تكن مستعدة للقاء

احمرت عيناها تسقط الدموع ببطئ وتناغم تنظر إليه بخيبة أمل... ألم ... غضب

لما عاد؟ لما يصر على إلزامها الوجع؟ لما لا يتركها بحالها؟

ابتلعت ريقها بألم شديد وانعقد حاجبها ببكاء تنظر لكل إنش به خاصة ذلك السواد تحت عينيه والتي لم يترك عينيها هي الأخرى

التفتت برأسها تنظر للأرض تارة وللغراغ تارة وللسماء تارة أخرى

رفعت يدها المرتعشة تضعها على رقبتها المغطاة بحجابها تشعر بالاختناق الشديد

توقف عن الحركة ... توقف عن التملل ... توقف عن الصراخ ... حل السكون
والصمت عدا صوت وارتجاف قلبيهما ... ظل لدقائق غير مصدق أنها أمامه يراها
تشع نورا رغم الضعف البادى عليها

انفرجت شفتاه بابتسامة مشتاقة وضحكة غير مصدقا لما يراه

أحقا هي أمامه الآن؟! استجاب الله لدعواته فأعادها إليه

رفع رأسه للسماء وأنفاسه تخرج متتابعة وسريعة ليغمض عيناه بضعف وتنهال
الدموع منهما

اتسعت ابتسامته أكثر وكثرت دموعه

أنزل رأسه مرة أخرى يتمعن النظر بها ... كم اشتاق إليها

كم يرقص قلبه فرحا لرؤياها يتمنى الخروج لاحتضانها

كم تتململ كل ذرة من جسده تريد التخلص من قيده لاستقبال قيد جسدها برحابة صدر

يريد الكثير والكثير ... يريد ضمها وتقيلها ... يريد عتابها على قسوتها

ابتلع ريقه يشعر بالاختناق وعدم قدرته على التنفس

ابتسم لها مرة أخرى فكان طفلا وجد والدته بعد عناء

استطاع بصعوبة أن يفلت يد من أياد الأمن اللعينة ليملأها إليها داعيا إياها بالعودة
يومي برأسه عدة مرات يشجعها

تطلعت ليده بألم لتنفجر بكاءا وذهبت محاولاتها بالتماسك هباءا

ارتفعت صرخات خافتة منها وأشاحت برأسها عنه ليتبعها بالانفجار هو الآخر

يلو صوت البكاء بكل مكان ومياسين قد دمعت عيناها لذلك المشهد المؤثر

انتبه الأمن لإشارة معتز رئيسهم الذي كان يراقب الوضع بألم أمرا إياهم بتركه

ما إن تركوه حرا ليركض مسرعا إليها راضيا بقيودها هي

ثوان وكانت بين أحضانه يعتصرها بعشق ووجع أهلكاه الأيام السابقة بل منذ أن
قابلها

بكت بأحضانه ... وضعت رأسها على قلبه تصرخ داخله ... تشكو إليه ما فعله
صاحبه وقسوته عليه

تمرده على صاحبه أن يتركه ويذهب إليها

كادت تضعف وترفع يدها تبادله الاحتضان لكن كل ما فعله يأتى ببالها فيردعها

بينما هو ... أخيرا وجد مرساه ... وجد سفينة تنقذه من الغرق

وجد طبيبا يعالج قلبه المكدوم ... وجد كل ما يريد

يحرك يده على ذراعها وظهرها ورأسها بتعثر كمن يريد الوصول إليهم جميعا بنفس اللحظة

وأخيرا الدفئ ينتقل لجسده ... وأخيرا أتى الفرج ... وأخيرا سيحيا من جديد

هدأت قليلا وبقت شهقات خافتة

كان الهدوء كافيا لجعلها تدفعه بعنف عنها وقد تحولت لمعة عينيها المشتاقة لظلام دامس ابتلعه دون رحمة أو شفقة

نظر إليها برجاء يستحلفها بأعلى ما تملك أن تعود لأحضانها مرة أخرى

لكن قابلت نظراته بجمود وغضب مردفة بكلمة واحدة أشعلت نيران غضبه مرة أخرى:

- طلقنى

جحظت عيناه غير مستوعبا لما تفوهت به ... ثوان وصرخ بها غاضبا ودموعه تهبط:

- فى أحلااااامك ... هتفضلى مراتى لغاية ما نموت مستحيل أطلقك

سرعان ما أضاف بأنفاس متقطعة يشير لغريمه المراقب بصمت:

- عايزة تطلقى عشانه ... صح

أنهى جملته بتهدج وعاد ضعفه مرة أخرى لتشريح وجهها عنه بجمود

أوما عدة مرات مبتسما بشر وهو يركض ناحية ذلك اللعين الذى بالتأكيد جعلها تنمرد عليه

قبل أن يصل إليه كان الأمن يمسكوه مرة أخرى لينفجر بالصراخ بهم سابا رئيسهم:

- هقتلك ... وربى لأقتلك يا معتز الكلب ... إنت اللى بتعصيه على

تطلع معتز إليه ببرود قبل أن يوجه الحديث لتلك المحطمة تماما:

- عايزاه ولا أطرده؟

هنا وارتفع جواب العاشق يصرخ به وأشعل فتيل غضبه:

- متكلمها الاش ... إيااك تكلمها ... هي عايزانى وهتروح معايا ... مش كدة يا سديمي؟

سألها بنظر راجية ألا تكسر بخاطره وترفض مطلب قلبه وجسده

انكمش وجهها ببكاء بعدما استمعت لاسمها بياء ملكيته التي عشقتها منذ أن قالها مؤخرا قبل خيانتها لها

ابتلعت ريقها بتماسك متحدثة وهي تدلف لمنزلها بخطوات واثقة غير ما بداخلها من
ترزعزع:

- اطرده

- طلعه برة

قالها معتز هو الآخر ببرود لتعنف حركة ساجد ينتفض بمكانه يصرخ باسمها محاولاً الوصول إليها

لكن كلها محاولات فاشلة وها هو الآن خارج القصر الذي أغلقت بوابته بوجهه

ركض ناحية البوابة مرة أخرى يضربها بعنف لكن لا من مجيب لتحمر عيناه يصبح
كالثور الهائج

ظل يبحث بجيبه عن هاتفه ليصرخ غاضبا فقد نسيه ببيته

تطلع لسيارته تارة وللقصر تارة أخرى بجنون قبل أن يبتسم وقد تحول لشخص بلا عقل

سيجمع أقوى الرجال ويقتحم القصر ... سيهدمه على رأس غريمه اللعين ...
سيأخذها حتى ولو عنوة

ركض لسيارته يريد الإسراع بتجميع الرجال حتى لا يتركها ولو لثانية معه

لولا علمه بمدى تكاسل وتأخر الشرطة لاتصل بهم

لكن لا داع ... طردوه بالعنف وسيأخذها بما هو أعنف

عقد تميم حاجبيه من تلك الأحداث متعجبا سرعان ما تحول لغضب عارم وهو يجد
معتز سيدخل المنزل الذي يحويها

هبط من سيارته مسرعا طارقا البوابة بعنف حتى جاء له أحد أفراد الأمن ليردف
مسرعا:

- أنا قريب مياسين اللي مع البنت اللي عايشة هنا عايز أدخل

أوماً الرجل بصمت قبل أن يتجه للمنزل يأخذ الإذن من معتز

ثوان يقف على نار يتخيل ماذا يفعل بالداخل وهل يحدثها؟

حتى خرجت مياسين بصدمة وذهول من وجوده

تطلعت له باشتياق شديد بادلها إياه وقد ذهب الحزن والغضب من قلوبهما

تنهدت محاولة التماسك وأومات لفرد الأمن الذى ركض له يفتح البوابة

اندفع للداخل مسرعا ووجهه لا يبشر بالخير ولكن قبل أن يصل إليها هربت لداخل
المنزل

تريد أن يكون معهما شخصا يساندها حتى لا تنهار أمامه

زفر بغضب ودلف وراءها للمنزل متوعدا لها ... نظر بالأنحاء ليجد الغريب يقف مع
تلك الفتاة بينما هي قد أخذت جانب وحدها تقف به وتنظر بطرف عينها له خلصة
سرعان ما تبعدها ليبترسم رغما عنه فقد عادا لمشاكساتهما

حرك رأسه بئأس من طفولتهما فوسط تلك الفوضى مازال كل منهما متهاون
ومشاكس للآخر

اتجه ناحيتها ووقف بجانبها بصمت لتبتعد مسافة قليلة عنه

لم تمر ثانية إلا وقطعها ليتلامس كتفاهما ينظران لسديم ومعتز كل منهما يتجاهل الآخر

متمدد على فراشه والحزن يغلف وجهه ... ذهب لعمله لكن لم يستطع فعاد مرة أخرى ... تفكيره بكلمات والدته ألهبته حتى حرقته

دلفت الغرفة لتجده على حاله لتتنهد بحزن لحزنه

اقتربت منه حتى نامت بجانبه تحتضنه ... وضعت رأسها على صدره ليبتسم عليها بحب وخفوت ووضع يد على رأسها والأخرى على بطنها حيث طفله

قبلت رحمة موضع صدره متحدثة بحنان:

- ماما ثريا مش قصدها اللي قالتة ... ده من حرقته على بنتها بس

أوما بحزن متحدثة بسخرية:

- وأنا وبابا السبب فى الحرقه دى

ارتسم الأسى على ملامحها لا تستطيع نفي كلماته ... لم تجد سوى الاشتداد على
احتضانه ليغمض عيناه بمزيج من التعب لتفكيره والراحة لقربها

كانا يتحدثان ومعتز يتطلع كل مدة بتعجب لذلك الشاب الواقف بجانب صديقتها يرمقه
بنظرات حارقة

ابتسم معتز بسخرية فالجميع يغار على حبيبته منه!

أفاق على كلماتها الحزينة المختنقة:

- معرفش بس ... محتاجة أفكر هعمل إيه

أوما لها متحدثا بحنان وابتسامة مطمئنة:

- أنا معاكى فى أى قرار

ابتسمت له با متنان شديد تفكر فى الخطوة القادمة والقرار القريب والذى سيكون
الطلاق بلا شك أو تهاون

برغم ألم قلبها من حالته إلا أن عقلها قد ظفر وانتقم لنفسه برؤية حالته تلك

كانت نائمة لتستقيظ بفزع على أنفاس شخص أمامها

نهضت مسرعة بخوف لتجد ذلك المشاكس يتطلع لها متسع العينان

وضعت يدها على قلبها تتنفس الصعداء ليتحدث خالد مباشرة بلهفة:

- إنتى هتعيشى هنا خلاص

أومأت له بابتسامة تربت على شعره الناعم:

- أيوة يا حبيبى

أرأيتم تلك القلوب التى خرجت من عينيه تجاهها قبل أن ينهض راقصا بمرح صارخا
بفرحة عارمة أضحكها

يقود سيارته يبكى كالطفل ... أصبح ضعيفا هزيلا ... يرفع يده يزيل دموعه بأكمامه
زام الشفتين

كسرت قلبه عندما التجئت لذلك الحقير ... الآن أدرك مدة مرارة الخيانة ... فعلت ما
لم يعادل واحد بالمئة بما فعله ... فكان جرحه عظيما لا يداوى

ما بالك بجرحها هي

شهق بخفوت ... لو بموقف آخر وحال أخرى ومشاعر سعيدة لتمنيتم أكله من لطافته
وهو يبكي

لكن عذرا فلتزموا الصمت بحضرة ألم العشق ... فلتتنحوا لجرحه الغائر

أزال ساجد دموعه مرة الأخرى يقود بأقصى سرعته ليصل للمنزل حيث هاتفه

سيصل بكل الرجال الذي يعلمهم ... سيتجمعون بالقصر ليأخذ حقه ... يأخذ ضلعه
وقلبه ... يأخذها للأبد

مازالا يقفان وكلما لامس كتفه كتفها ابتعدت خطوة ليفعل عادته بقطعها

انكمشت على نفسها ليبسط عضلاته أكثر وأكثر

تنهدت زافرة بعنف وغضب ... ألن يتحدث الأحق ... يضايقها لتبدأ الحديث لكن أبدا
... مستحيل ... فليحلم بذلك ... السماء أقرب له من حديثها أولا

- ممكن تبعد شوية يا أستاذ

قالتها لتلعن لسانها وعقلها الخائنين ... ألم يتعهدا بعدم الحديث ... ها هي الآن بمأزق
لا تحسد عليه ... ستقطع ذلك اللسان وتقتلع صديقه الأحمق الذى يكف عن التفكير
بحضرته

تطلع لها بطرف عينه باستهزاء قبل أن ينظر أمامه مرة أخرى ببرود

حسنا ... ارتحما الآن يا وجهى النحس ... ها هو يتجاهلكما ويجرح القلب معكما

وما ذنبه بغائكما و ... غبائى

نعم غباؤها هي شخصيا فبدلا من الصمت محافظة على بقية كرامتها بعثرتها بالتحدث
مرة أخرى حتى لو حاولت إظهار البرود:

- لو سمحت يا أستاذ لو مش هتتكلم فاطلع برة

تنهد عميقا يرتفع صدره ويهبط يعقد ذراعيه تحت صدره الصلب

تطلعت له باستعداد للانقضاء عليه ما إن يتفوه بحرف

انتظرت كثيرا ولم يتحدث لتقلد حركته فى التنهد أتبعته بالتفوه ببلاهة:

- بس كدة؟!!

كاد ينفجر ضحكا عليها لكن أبدا لن تنالها ... مازال غاضبا منها لما فعلته

وكان فى خضم تلك الأحداث قد نسى الجرم التى ارتكبتها هى وعائلتها ليعود الحزن والغضب الجديان على وجهه يتجاهلها تلك المرة بغضب لا بمشاكسة

لاحظت تحول تعابير وجهه للحقيقة فتهدت بخفوت وحزن ... وهى التى ظنت أنه سامحها وعاد لمشاكستها مرة أخرى

عقدت حاجبيها بغضب وأتبعها بعقد ذراعيها أمام صدرها فكانا كطفلين تعاركا للتو وينتظر كل منهما أن يبادر الآخر بالصلح

- خلاص يا باشا ربع ساعة ونوصل

قالها الرجل بجمود ليبتسم رئيسه بخبث وانتصار مجيبا:

- جدع يا إسلام ... البنت رقيقة بلاش دم ... ومش عايزين جرايم تانى تدخلنا فى مشاكل

همهم إسلام لرئيسه يجيب بتساؤل:

- فاهم بس ... لو لقينا حد فى طريقنا يا مصطفى بيه

ضيق مصطفى عينيه بتفكير قبل أن يجيب ببرود:

- خلى الرجاله يجيبوهم معاك ونخلص عليهم بعيد عن الدوشة لكن سديم ...
محصلهاش خدش حتى

انتهى الحديث ليزفر مصطفى وقد جاءت اللحظة التى سيطلق بها حبيبة ابنه من
الحقير الذى أخذها والذى لا يعلم ما المشكلات التى جعلتها تترك البيت

لكن لا يهم

سيأخذهم جميعا يقتلهم ... سيجعلها يطلقها قبل أن يقتله هو أيضا

وصل ساجد للمنزل ليهبط بسرعة دالفا للداخل يبحث عن هاتفه حتى وجده

أزال دموعه مبتسما بأمل يتصل على صديق سيساعده

- آآآآ

صرخ بألم ما إن استشعر ضربة قوية على رأسه ليسقط أرضا فاقدًا الوعي

حملة رجلان بينما الثالث اتصل بإسلام يعلمه بتمام مهمته

بعيد عن كل تلك الأحداث كان رجلا يراقب من بعيد بتعجب حتى اتسعت عيناه عندما وجد ثلاثة رجال يخرجون حاملين رجلا آخر فاقد الوعي ليهاتف بسرعة رئيسه:

- أيوة يا محمد باشا كان عندك حق رجالته خارجين من بيت جوز بنت شريكه زمان ... ومعاهم جوزها مغمى عليه

ابتسم محمد بنصر متحدثا بلهفة:

- قتلتم اللى زى مصطفى مش هيرجع مصر إلا لمصلحة ... إسلام وبقيت رجالته رايعيين ناحية سديم ... توفيق مراقبهم وإنتم خد العربية وافضل وراهم وقولى رايعين فين ... هاخذ إذن وأجيب قوات نراقب الوضع ... أكيد مش واخدهم ضيافة

- حاضر يا فندم

أغلقت الهاتف لينهض الضابط محمد والذى كان مسئولاً عن جميع قضايا مصطفى التى أحرقت جميعها لكنه لم ييأس وظل مترقباً لآى خطأ له

وها هو الخطأ قد وقع وأنت لحظة كشف جرائمه

هبطت شريفة تمسك يد خالد الوديع بعكس مشاكسته فلا يريد أن يظهر كالطفل لها!

دلفت به للمطبخ وكم حمدت ربها أن رب عملها ليس بالمنزل فكم تشعر بالإحراج
والخجل أمامه

بدأت تعد الطعام بعد إصرار منها على الخادومات بتركها واللاتى أحباها كثيرا

كان خالد يساعدها بفضول ولهفة ينتظر كعكة الشوكولاتة التى وعدته بعملها يتلمس
شفته الصغيرة بلسانه بلطافة

بينما هى أخيرا شعرت بالضوء ينير قلبها وكيانها والألوان تزيل الظلام ... ذلك الطفل
الصغير يشعرها بأمومتها المهدرة المفقودة

أخيرا استطاعت نسيان ألمها ... تحمد ربها أنها تسرعت ووافقت على العمل هنا ...
ساعات قليلة قضتها أدركت بها أنه أفضل تسرع فعلته بحياتها

أغلقت ثريا مع ابنها تعتذر منه على كلماتها القاسية وتطمئنه فشريفة قد اتصلت بها
منذ قليل تطمئنها عليها

وكم انشرح قلبها عندما التقطت السعادة والراحة بصوت ابنتها ليذهب كل الخوف
والقلق الذى كان بداخلها عليها متمنية لها الأفضل دوما

فى خضم تلك المشاعر التى تفجرت بذلك البيت قرر عديمو القلب مقاطعتهم

انتفض الجميع ما إن شعروا برجال ضخام الجثة ملثمين يدخلون المنزل

وقف تميم أمام مياسين بقلق بينما تقدم معتز يتساعل بشك:

- إنتو مين وإزاي دخلتم؟!!

ثوان وكان غاز ينتشر بالمنزل ليسقط الجميع على الأرض فاقدين وعيهم

اقتربوا يحملونهم بيد والأخرى يحكمون بها القماشة على وجههم ليخرجوا من المنزل
مارين بأفراد الأمن على الأرض ساقطين ورجل ملثم يجذبهم لمكان خفى لا يراهم أحد
به

ركبوا سياراتهم دون أن يلاحظهم أحد سوى تلك العيون الناقبة للمسمى توفيق

ما إن تحركت سياراتهم حتى خرجت سيارة من العدم ركبها توفيق بسرعة يتبعونهم

كانت نيرة تسير بالطريق شاردة جائعة لا طعام ... لا عمل ... لا مال

دمعت عيناها بجوع ... ليتها ما لجئت إليه ... دمرها ... لم يهتم حتى أنها من لحمه
ودمه ... لم يهتم بالقرابة ولا لروح خالته

تسمرت مكانها ما إن رآته أمامها

قررت تحايله والتظاهر بعدم معرفته تكمل طريقها حتى توقفت إثر مناداته لها:

- نيرة

زفرت بضيق وحنق قبل أن تلتفت له بنفاذ صبر رافعة حاجبها

سقطت عيناها على يديه لتبتسم بخبث وسخرية عندما وجدت يديه خاليتين لتتحدث
بابتسامة مستهزئة:

- أهلا يا قصى بيه عاش من شافك ... أومال فين دبلتك؟

زفر بعنف قبل أن يتحدث بنفاذ صبر:

- عايزك فى موضوع

ضاقت عيناها قلقا وفضولا لتتجه معه مباشرة تريد معرفة فيما يريد لها بعدما تركها
بأبشع الطرق منذ عامين

وسط عملها المتقن لصنع قالب من الشوكولاتة له حضر سؤال ببالتها حاولت طرده
لكن فضولها تغلب عليها لتلتفت للصغير المنهمك فى تحريك العجين ببعثة طفولية:

- آآ خوخة هو باباك فين؟

عقد خالد حاجبيه بغضب متحدثا بحدة وصوت رفيع:

- اسمى خالد مش خوخة شايفانى عيل قدامك

رفعت يديها الملطخة ببواقى الشوكولاتة كمن يعلن الاستسلام وملامحها منصمة
ليزفر الصغير متحدثا ومازال غاضبا منها:

- تلاقيه راح الشغل

همهمت له وهى تراقب تعابير المتجهمه لتبتسم بخبث قبل أن تتجه ناحيته بهدوء
شديد فأصبحت بجانبه ملاصقة له

نظر لها بطرف عينه مضيقا إياها كمن يستعد لمعركة شرسة

وضعت يديها المعقودين خلف ظهرها ضامة شفتيها تخرج صوتا منهما كالعصفور
وتتظر للجانب الآخر

ضاقت عيناه أكثر غير مطمئن ليتوقف عن التقليل يزيل يديه الصغيرة من الإناء
مستعدا لأي هجوم ... وقد كان

ثانية وكانا ينقضان على بعضهما كل منهما يلوث وجه الآخر بما يلطخ يديه

كانا يلهوان وضحكاتهما تعلو بالقصر بينما الخادما في الخارج ينظران بحب لهما
فكانا كوالدة وابنها الحبيب

بدأت عيناه ترمش إثر صوت التأوه حوله ... ذلك الصوت ... يعلمه ... يعلمه جيدا

سديمه!

ما إن توصل لذلك حتى فتح عيناه مسرعا بفزع ليجد نفسه جالسا على الأرض يستند
على الحائط مقيد اليدين والقدمين

نظر حوله بلهفة وآثار الضربة مازالت عليه تؤلمه لكن لا يهم ... المهم الوصول
لمكانها

نظر لكل جانب ليجد الجميع معه في العرفة مقيد جالس مثله

ابتلع غصته بخوف قلبه ينتفض رعبا عليها عيناه تبحث بكل الأوجه عنها حتى ..

حتى وجدها أخيرا

تجلس أمامه بعدة مترات تستند على الحائط الآخر تصارع لفتح عينيها تنن بألم

جحظت عيناه رعبا ليبدأ بالصراخ خوفا عليها:

- سديييم ... سديييم مالك ... سديم فوقى يا حبيبتي

تستمع لصوت صراخ لكن لا تستطيع التركيز بسبب المخدر

بدأ الجميع يستيقظون على صوت صراخه

دقائق يصرخ بها ووجه أحمر عروقه بارزة يكاد يتحطم داخليا وقد تملكه الفزع

أخيرا أفاق الجميع لينظرون حولهم بخوف وتعجب

زفر عنيفا براحة ما إن وجدها قد أفاقت ليتحزح من مكانه محاولا الوصول إليها
بصعوبة وقلبه يتعثر فى الوصول إليها

أفاق معتز ينظر حوله بتأهب وخوف على ابنه الذى بالقصر قبل الخوف على نفسه
... يتساءل أين هو ومن الذى اختطفهم وما مصلحته

والحال لا يختلف عند تميم الذى يتفحص مياسين الجالسة بجانبه بلهفة يحاول طمأنة
قلبه أنها بخير ليتحدث أخيرا:

- مياسين إنتى كويسة؟

أومات له برعب تبكى خائفة من ذلك المكان:

- احنا فين ... أنا خائفة

نفى مسرعا يلتصق بها أكثر عله يبث الأمان داخلها يتحدث مطمئنا إياها:

- متقلقيش يا ميا أنا جمبك اوعى تخافى ... بصيلى

تنهدت وهى تنظر له فقط حتى لا تفكر بأى شيء آخر مرعب بينما هو لم يزيح عينيه من عينيها حتى لا يعود لنقطة الصفر معها فبالكاد ارتاح قليلا عندما هدأت ملامح الزعر عنها ولو بنسبة ضئيلة

أخيرا وصل ساجد إليها بعد معاناة بينما هى لا تنتبه سوى لذلك المكان الموحش وشعور الخوف بداخلها

أصبح أمامها مباشرة ليقترب بوجهه وأنفاسه تخرج مضطربة يضع رأسه بجانب رأسها فوق كتفها يطمئن نفسه قبل أن يطمئنها

جفلت رعبا بعدما انتبهت لقربه لتميل برأسها تدفعه عنها

ابتعد مرغما يتحدث بتوتر وخوف ينظر لها وقد تجمع قلق العالم بداخل قلبه:

- سديم ... إنتى كويسة

أومات له بجمود منافى قلبها المرتجف لكن لا يخفى ذلك الارتجاف عنه فلم يهدأ بل سارع بقذف كلمات مغلقة بأمان وحب وحنان يزيل خوفها:

- متقلقيش إن شاء الله خير ... مش هسمح أى حد يأذيكى ... أنا ... أنا

تنهدت بعنف غير قادرة على استماع المزيد وتغلب ألم قلبها منه على ألمه من الخوف لتتحدث بعنف:

- اخرس بقى وحل عنى ... ليه مش قادر تسيبنى فى حالى ... ليه كاره راحتى ... عايز إيه تانى منى ... يا أخى سيبنى فى حالى بقى ... سيبنى أعيش براحة ولا أموت حت...

- بعد الشر عليكى

همس بها مسرعا بنحيب وصوت باك ودموعه تهبط ألما من كلماتها القاسية العنيفة المغلفة ب... الكره

لأول مرة يرى منها الكره ... دمرتها ساجد ... دمرت كل جميل داخلها ... حولت نقاءها لظلام داكن ... لكن أقسم أن أستعيدك ملاكى البرئ ... أقسم بإعادة كل شيء كما كان بل أفضل

ابتلع غصته وقد اندمجا بالعتاب والإعتذار غافلين عما هما فيه ليتحدث مرة أخرى:

- سدي... آاه

صرخ بألم ما إن أمسكه أحد يجذبه للخلف بعنف بقبضته والأخرى تهبط عليه ضربا

انتفض الجميع ومياسين تصرخ بفزع ورعب من ذلك الذى دخل فجأة ينقض على زوج صديقته ضربا ليتحرك تميم مسرعا يجلس أمامها يمنعها من رؤية ما يحدث بينما هو ومعتز قد زاد رعبهم

سديم ... وهل تكفى الكلمات لوصف ما بداخلها أو حتى ما يخرج منها من صراخ عنيف

تصرخ ... تصرخ وفقط محاولة التحرك منع ذلك الذى يضرب معشوقها عنيفا .. نحيب عال يخرج منها ودموع غزيرة كالشلالات وجهها أحمر مختنق كصوتها الذى كاد يختفى

تبكى بعنف تتوسل ذلك الرجل بتركه حتى لو ينقض ضربا عليها لكن يترك معشوق الروح والقلب بحاله

تنتفض فى مكانها كمن لدغها أفعى تصرخ بانهيار تام

أخيرا ابتعد الرجل تاركا ساجد ممدا على الأرض يئن بألم ووجع شديد ودماء تغطى وجهه وأنحاء جسده

تتنفس بعنف وتوابع صرخات خافتة تخرج لتحاول الاقتراب منه منكمشة الملامح
ببكاء لكن ... توقفت فزعة إثر ذلك الصوت المألوف لها:

- جربى تقربى منه وهموته المرة دى

رفعت رأسها فزعة لتجد رجل يدخل من الباب والظلام يغطيه

ظل يقترب رويدا رويدا حتى ظهرت ملامحه لها لتجحظ عيناها صدمة

مصطفى شريك والدها!

ربتت على ظهره مبتسمة بفرحة عارمة تتحدث بهدوء:

- شفت الحال انصلح إزاي ... ماما ثريا طمنتنا عليها الحمد لله ... ماما نفسها كان
باين على صوتها الراحة

أوما صلاح بلهفة مجيبا بحماس وضحكة مرتاحة:

- أيوة معاكى حق فعلا نبرتها اتغيرت خالص

تنهد مضيفا يدعو لأخته:

- ربنا يفرح قلبك يا شريفة ويعوضك يا حبيبتي يا اارب

- آمين

رددتها رحمة بسعادة لأخت زوجها وبمقام أختها فقد كانت حزينة عليها والأهم لتلك
الإبتسامة التي ظهرت على وجه زوجها الحبيب أخيرا

فقد كان العبوس يغطي وجهه حتى كادت تنسى ابتسامته الرائعة

يجلسان على طاولة بمطعم فخم لم ترى مثله وكانت تظن أنها لن ترى أبدا

تحتسى كوب العصير بتلذذ لينظر قصى لها لدقائق قبل أن يتحدث بجمود:

- طبعا لسة متجوزتيش ولا اتخطبتى حتى بعدى

ابتسمت بسخرية تشير ليده بمكر:

- أحسن ما أخطب وأتساب

ضحك بلا روح على كلماتها القاسية ليجيب رافعا حاجبه:

- اتجوزتها

اهتزت يدها ليسقط القليل من العصير عليها فتركت الكوب على الطاولة بتعثر

- وطلقتها

أكمل جملته يناولها محرمة لتجحظ عيناها متطلعة له بغير تصديق

أخذت المحرمة تزيل بقع العصير وما زالت تنتظر له ليكمل حديثه بتهيدة مستندا بذقنه على يديه المستندة على الطاولة:

- فى بينا مصلحة مشتركة

- يا محمد لازم نتحرك مينفعش ... إنت مش سامع الصراخ

قالها الضابط توفيق لصديقه محمد الذى يصر على التأخر قليلا عل التهم تزداد على ذلك المصطفى

نظر محمد له بضيق يتحدث:

- اصبر شوية نمسك عليه أكثر

اتسعت عينا توفيق ذهولا قبل أن يضيف بصرامة:

- لا مش هنستنى أكثر من كدة ... إنت عايز مصلحتك على حساب مصلحة الناس اللي جوة

رفع توفيق يده يعطى الجنود الإشارة للتحرك بينما زفر صديقه بضيق يتأهب هو الآخر

التفت توفيق لرجاله يوزع كل شخص على كل جانب للمخزن مضيفا على حديثه:

- الرهاين اللي جوة على قد ما نقدر تطلع من غير خدش ... مصطفى لازم يطلع عايش ... هيوصلنا لناس كتير

- تمام يا فندم

صاح بها الجنود وقد تحرك كل شخص لأداء مهمته مستعدين للانقضاء

- اسم الله عليكى ... أيوة أنا

قالها مصطفى بخبث وهو يتجه ناحية ساجد المتألم ليضربه بقدمه ببطنه فصرخ ألما
للتبعه سديم ببكاء على حاله تتمنى الاقتراب منه لكن تخاف أن ينفذ ذلك المصطفى
عقابه

ابتلعت ريقها محاولة طرد خوفها ترجو ذلك المجرم:

- بالله عليك سيبنا فى حالنا ... عايز مننا إيه

صرخ معتر هو الآخر بغضب:

- إنت مين؟ واحنا عملناك إيه؟

تطلع مصطفى للجميع رافعا حاجبه قبل أن يشير لإسلام الذى كان يضرب ساجد:

- فتشهو ملى

أوما إسلام وتقدم ناحية كل منهم يأخذ كل ما معهم دون سديم التى حذره مصطفى من
الاقتراب منها

ابتعد إسلام وبيده بطاقات الهوية لكل منهم عدا مياسين التى لم يكن معها شيئا

أمسك مصطفى البطاقات يقرأ البيانات بتركيز لينظر لمعتر بابتسامة:

- شرفتنا يا معتز ... ياريت ضيافتنا تعجبك

قالها بسخرية يمسك البطاقة الأخرى ينظر لساجد بغضب:

- إنت بقى المحروس جوزها ... اترحموا عليه

- لااااا

صرخت سديم بها خوفا بينما ساجد قد تحامل ليجلس أرضا بدلا من التمدد ينظر لمصطفى بغضب ووعيد

زادت السخرية على وجه مصطفى وهو يمسك الهوية الأخيرة

وقد كانت أكبر صدمة له

ظل يتطلع إليها كثيرا وقد تلون وجهه وظهرت الصدمة عليه

تعجب كل ما فى الغرفة من شكله ليرفع رأسه ببطئ ينظر لتميم

ثوان وكان يضحك بهستيرية حتى مال للأمام مستندا على ركبتيه

استمرت ضحكاته لوقت طويل حتى اختنق وسط تعجب الجميع

توقف عن الضحك ينظر له بجمود يتحدث بشر:

- أهلا بتميم محمد صلاح ... ولا ... نقول تميم نادر الصقر

انتفضت سديم محلها تنتظر لتميم بصدمة وهو يبادلها النظر بتعجب واستنكار ليضحك مصطفى على حالهم متحدثا بتهيدة ومعالم الشر على وجهه:

- يااه يا تميم فات وقت طوييل على آخر مرة شفتك ... تؤ تؤ يا سديم ... وأنا اللي قلت هتاخدي أخوكي بالحضن

احمر وجه تميم وسديم بينما صدم الجميع ينظرون لهما بذهول لحديث ذلك المجنون

تضحك بعنف على زوجها الذي عاد شغفه إليه مرة أخرى تتحدث متعجبة:

- طب براحة طيب الله

أجاب صلاح بابتسامة وهو يغلق الباب ويأخذها معه للأسفل:

- لا لا خلينا نلحق نوصل عشان نقضى وقت كثير معاها

نفت برأسها يائسة منه لتتحدث مبتسمة:

- طيب اتصل بشريفة على الأقل لتكون مشغولة

توقف عن السير وما زال ممسكا يدها لتتوقف هي الأخرى

نظر لها عاقدا حاجبيه يتحدث بضيق:

- هو أنا هستأذن عشان أشوف أختي ولا إيه؟

اقتربت منه تدفعه بكتفها متحدثة وهي تخرج لسانها تغيظه:

- قفووووش أووووى

دفعها هو الآخر ضاحكا بمرح مصطنع وعاود السير:

- ها ها ها خفة

ضحكت تلك المرة بحق عليه وعلى جماله تتمنى لو تأكله لتتنهد تميل برأسها على كتفه يسيران متجاوران وقد حاوط كتفها بيده الحانية

ابتسمت ثريا بفرحة شديدة بعدما أغلق عاصم مع ابنته شريفة يطمئن عليها وقد
تخلّى عن بعض قسوته

يوما ما سيكون أبا حنونا يقذف ورودا بدلا من كلمات سامة

فلينتظروا فقط الفرج ... متأكدة أنه قريب

- تتجوزيني

قالها بصوت لا حياة فيه لتعتدل جلستها جاحظة العينين والصدمة بادية عليها:

- إيه؟!!

تنهد قصي متحدثا بنفاذ صبر:

- بقولك تتجوزيني

ضاقت عيناها بعدما خرجت من صدمتها تجيب متوجسة:

- ليه؟

صمت قليلا ينظر للطاولة قبل أن يرفع عينيه يتحدث ببرود:

- أنا واحد كبير مفيش بنت هترضى تتجوزه ... وعايز عيل يشيل اسمى وإنتى واحدة محدش هيقبل بيكى فى الوضع ده ... وعايزة تعيش

ضيق عينها متحدثة:

- قصدك نتجوز أجيبك العيل وإنى توفلى اللى عايزاه

أوما لها لتبتسم خفية وتحول وجهها للجبروت فأخيرا يوجد من هو بحاجتها

حل الصمت والسكون يقطعه صوت مصطفى المجنون يتحدث بابتسامة شريرة:

- مالكم مستغربين كدة ليه؟!!

اقترب من سديم وجلس أمامها يستند على ركبتيه ويده يملس بها على رأسها بينما هى الذهول يطغو عليها لا تشعر بشيء حولها حالها كحال من يقال عليه شقيقها

انكشيت ملامح ساجد بغضب صارخا:

- ابعد عنها يا حيوان

كاد يتحرك ناحيته ليبعده عن محبوبته لكن جذبه إسلام للخلف بعنف لينظر مصطفى له باستهجان

تنهد ناهضا من مكانه يقف بخيلاء وفخر يتحدث شاردا بالماضى:

- يااه مين كان يصدق تتقابلوا تانى!

ابتلع تميم غصته بألم يتحدث كعجوز قارب على الموت:

- هو ... هو إنت بتقول إيه؟

نظرت مياسين له ببكاء صدمتها هي ومعتز بالحديث لا تقل عن صدمته

كاد معتز أن يتحدث لكن لاحظ حركة غريبة عند الباب المفتوح لينظر بتأهب

اتسعت عيناه ولمعت فرحا عندما وجد رجل بزي ضابط يشير له بالصمت قبل أن يبتعد الضابط عن الباب

ظل معتز ينظر لأثره بتوتر قل قليلا داعيا ربه أن يتم إنقاذهم

زفر مصطفى أنفاسه متحدثا بتعجب من القدر:

- أكثر من عشرين سنة عدوا ... لكن كل حاجة بتظهر أهو

هبط ببصره لها هي وتميم يتحدث بشروء:

- نادر أبوكى رفض يشاركنى زمان ويدخلنى فى تجارة المخدرات ... كنت لسة صغير
مليش اسم ... كنت محتاج فلوس ... ورفض يساعدى ... كان لازم أنتقم منه وأكسره
... كنت براقبه من غير ما يعرف لغاية ... لغاية ما مراته حملت ... فى شهرها
الخامس كانت بتكشف فى المستشفى وهو معاها وكالعادة ... كنت براقبهم
مشوا من هنا ولسة همشى وراهم بس القدر ليه رأى تانى ... وقتها سمعت واحدة
بتعيط عشان سقطت ... مش عارف إيه اللى وقفنى لكن ... كويس إنى وقفت

ابتسم بشر متجها لتميم يميل تجاهه يتحدث بحفيف أفعى:

- كانوا زينب ومحمد ... اللى ضحكوا عليك وفهموك إنهم أبوك وأمك ... فهمت من
كلامهم إنهم بيتفقوا هيشترخوا عيل ويمثلوا إنه ابنهم وإن النزيف كان حاجة عادية
ملقتش نفسى غير وأنا بظهر وبقولهم هجيلكم الطفل

اترددوا فى الأول وخافوا لغاية ما وافقوا

لحسن الحظ زينب حملت فى نفس وقت حمل روما ... لما روما وصلت للتاسع كانت
هى مفهماهم إنها كمان فى التاسع وهتولد
اتفقت مع الدكتور والمرضة اللى هيولدوا روما ...

صمت معتدلا يتجه لسديم يجلس أمامها على ركبتيه متحدثا بكل سهولة وكأن ما
يقوله ما هو إلا أقصوصة طفولية:

- يقولوا لنادر وروما الطفل مات ... وفعلا كل حاجة حصلت زى ما خططنا ... أول ما
روما راحت المستشفى تولد زينب راحت نفس المستشفى ... الموضوع مشى تمااام
... والبيه بقى ابن محمد وزينب رسمى ... برغم الفلوس اللى دفعتها للدكتور
والمرضة إلا إن محمد وزينب عوضونى ... ما هم مش هيفلخوا وأنا جبتلهم وريث
ههههههه

انفجر ضحكا نافيا رأسه متعجا من الزمن بينما صعق الجميع مما تفوه به
لا كلمات تصف مشاعرهم خاصة سديم وتميم
ينظرون لبعضهم بصدمة غير مصدقين ما استمعوا إليه

بالطبع يمزح

لا بالتأكيد يريد تدميرهم ليس إلا
لم يكتف مصطفى بذلك بل دمر كل ذرة متبقية منهم بحديثه:
- ونادر مش سابك وسافر لأ... أنا قتلتته

كانت الصاعقة الكبرى التي جعلتها تنفجر بكاء صارخة بألم ودمع الجميع عليها بينما
تميم تسقط دموعه بصمت كساجد المتألم لحال ملاكه ينظر إليها مذهولا يتوجع لأجلها

ثانية واختلط صوت تحطم قلبها بتحطم النوافذ حولهم يدلف منها أعداد هائلة من
الجنود ويقف الآخريين عند الباب محاصرين إياهم يطلقون الرصاص على إسلام ومن
معه من الرجال ليسقطون موتى

نظر الجميع للجنود البعض بفرحة والبعض بصدمة وعدم وعى لكثرة الحقائق
المؤلمة التي حلت عليهم

ها هما يجلسان مع أخته على الأريكة الفاخرة يحتضن شريفة من جانب ورحمة من
الجانب الآخر

قبل رأسها يسألها للمرة المليون عن حالتها وصحتها وإن كان أحد يضايقها لتزفر
بممل تنهض من بين أحضانها متحدثة بضجر:

- خلاص يا صلاح الله ... يا بنى كويسة والله وهنا مرتاحة جداااا ... ده كفاية خالد
عليها

قالتها تشير للصغير المختبئ خلف الباب لكن رأسه الضئيلة الفضولية التي تتطلع
عليهم ظاهرة ليخرج من خلف الباب مبتسما بخرج

ضحكت شريفة عليه ونهضت تجذبه من يده وتجلسه بجانبها على الأريكة تداعب
شعره

ابتسم صلاح عليهما ... يظهر السلام والراحة الشديدة على أخته والسعادة التي غابت
عنها طويلا تغلفها الآن

تحدثوا بأمور عديدة وخالد صامت بخجل لكن شريفة لا تتركه سوى وتجعله يشاركهم
الحديث ليأخذ راحته فأصبح هو المتحدث الوحيد يشعر بالألفة والثقة بينهم

انفجروا ضحكا عليه يصف إليهم كيف اعترف لصديقه بالروضة عن حبه لها لتتقيا
عليه!

انكشيت ملامح خالد بطفولة واشمنزاز عندما تذكر ذلك الموقف متحدثا:

- ومن ساعتها يا ريرى وأنا حالف مش هحب واحدة صغيرة تانى

أنهى عبارته ينظر لها رامشا عدة مرات برومانسية ونبرة ذات مغزى لتضحك رحمة
وصلاح الذى صفعه بخفة على وجنته ضاحكا:

- متبصلهاش كدة يااض

امتعضت ملامح الصغير يعقد يديه تحت صدره بغضب ليضحكون بشدة على فعلته

هنا وارتفع صوت محمد المنتصر بالمكان بعدما دلف من الباب بين جنوده:

- سلم نفسك يا مصطفى المكان كله محاصر

نظر مصطفى حوله بجنون وغضب قبل أن يجذب سديم ناحيته بسرعة مخرجا سلاحا من جيبه يضعه على رأسها

شهق ساجد وتميم خوفا عليها يصرخون به لتركها لكن لا حياة لمن تنادى

كانت بلا روح تقف أمامه مقيدة وهو يحاوطها مهددا بقتلها إن اقترب أحد لكن لا فائدة من الحياة فليفعل ما يريد

- اللى هيقرب منى هقتلها وسعوا الطريق

غضب محمد بشدة وهو يتحرك للجانب مبتعدا عن الباب يشير لجنوده بعدم التحرك من مكانهم

نظر مصطفى لهم بجنون يتحدث بصراخ:

- قولهم يبعدوا هقتلهااا ... ارمى سلاحك إنت وكل اللي معاك

أشار توفيق لهم فألقى الجميع سلاحه بينما هو ومحمد يتحركون بالغرفة رافعين أيديهم باستسلام

وقف محمد خلف ساجد الذى ألجمته الصدمة لينفجر بكاء غير قادر على الحديث أو الصراخ به يرجوه لترك قلبه ... فليقتله هو ويتركها بشأنها

تنفس عميقا وجاء يصرخ لكن ... شعر بحركة غريبة خلفه حيث يقف الضابط

رفع رأسه ينظر له ليتطلع له محمد بطرف عينه يومئ برأسه ببطئ ليعاود النظر لأسفل يتنفس بتوتر يدعو ربه أن يحمى سديمه

بينما محمد قد أمال قدمه ليضغط على زر ملتصق بجانب حذائه فخرج سكين صغير من مقدمته

نظر لمصطفى يحاول تشتيته وتهديته وقدمه تتحرك على الحبال التى تقيد يدي وقدمي ساجد من الخلف:

- اهدى يا مصطفى ... إنتى بتضر نفسك أكثر ... متفكرش بالطريقة دى هتعرف تهرب

تراجع مصطفى للخلف ينظر حوله بجنون يتحدث بهستيرية:

- خليهم يطلعونى ... هقتلها

أوماً محمد له وهو يتحرك لرهينة أخرى وينظر بطرف عينه لتوفيق الذى يسير خلف الجميع يقطع الحبال كصديقه

أنهيا العمل بينما الجميع أصبحوا أحرارا ليتحدث توفيق محاولا تهدئة ذلك الذى يثور غضبا ينظر حوله بتشتت يتحرك بكل مكان وتلك المسكينة مستسلمة له تماما:
- سييها يا مصطفى وهساعدك تطلع من هنا

انفجر مصطفى ضحكا عليه يتحدث صارخا:
- فاكرنى أهبل لو مط...

صمت يستشعر شيء غريب ... ذلك التميم ... سقطت يديه بجانبه لشدة صدمته
وانهياره بكاء متناسيا كل شيء ومياسين تبكى لأجله

كيف فُكت قيوده؟!

اتسعت عيناه غضبا عندما أدرك أن الضابطين يتلاعبان به

ابتسم مصطفى بجنون متحدثا:
- بتلعبوا معايا؟

لحظة واحدة وكانت رصاصة تخرج من سلاحه متجهة لجسد يدميه يسقط صريعا تبعه
رصاصة أخرى من توفيق تجاه مصطفى ليسقط جسدان مدميان على الأرض ترتفع
الصرخات بكل مكان

- موافقة بس بشرط

قالتها نيرة بابتسامة ظافرة ليزفر بضيق محاولا الهدوء يبتسم بدون مرح:
- قولى

ابتسمت باتساع متحدثة بجشع:
- آخذ ١٠٠ ألف جنيه غير المهر والشبكة والمؤخر اللى هنحدد هيكونوا كام

جحظت عيناه صارخا:
- نعم!

رفعت حاجبها الأيمن متطلعة للجميع حولهم لينتبه أنهم بمكان عام فتنهد محاولا
الهدوء:
- كثير

حركت كتفها مستفزة إياه تقترب بجسدها مضيضة:
- والله محدش جبرك ... روح شوفلك واحدة تقبل بيك

كادت تنهض لكن داخلها تتمنى لو يوقفها وقد كان

أمسك يدها يدفعها على المقعد لتجلس بعنف تنظر له بامتعاض

زفر عدة مرات متحدثا:

- ماشى ... موافق

ابتسمت بنصر تتحدث براحة:

- يعنى نقول مبروك؟

نظر لها بكل حقد وغضب لكن لا مفر:

- مبروك

حالة من البعثرة وحركة بكل مكان وصراخ يعلو وضربات قلب عنيفة

ركض ساجد ناحية سديم الساقطة أرضا يبعتها عن جثة مصطفىة يحتضنها ببكاء خائفا
يتفحص كل إنش بها:

- إنتى كويسة يا حبيبتي

تنفست عنيفا تنظر لجسد صديقتها الدامى ساكنة كالموتى لتصرخ بانهيال شديد
تتململ بين أحضانه تحاول الوصول إليها بينما ساجد يتمسك بها باكيا يحاول حجب
عينها عن رؤية ذلك المنظر البشع

ثوان وسكنت بأحضانه فاقدة الوعي ليشند على احتضانها

أتشعرون به؟! أتعلمون ما داخله؟ أستمعون صوت انفجار قلبه وروحه وكيانه؟

ينظر تميم لها وما زال بصدمته

ابتلع غصته برعب وعرقه يسقط غزيرا يحرك جسدها الساكن بيده منتظرا نهوضها

اقترب يميل عليها يحركها مرة أخرى يبتسم بارتعاش شفتيه:

- آا م... میا ... میا فوقی ... میاااااااا

صرخ بها ينهار بكاءً نحيبه يعلو ينتفض بمكانه كالمجنون يرفعها بأحضانه يحرك جسده للأمام والخلف وصوته يعلو بكل مكان يرجوها أن تستيقظ

يرتفع صوت ندائه لربه يدعوهُ أن يوقفها ليطمئن قلبه

عيناه جاحظة حمراء كوجهه المنتفخ يعتصرها داخل أحضانه بكاء شديد غير آبه بمحاولات من حوله بأخذها منه لأنقاذها

لا يهّمه سوى أن تبقى بأحضانها يحميها ... لن يدعهم يأخذوها

يَضْرِبُهُمْ بِيَدِهِ وَالْآخَرَى تَتَحْتَضِنُهَا بَعْفٌ بَيْنَمَا لَا حَيَاةَ لَهَا وَلَا رُوحَ

أرهق بشدة لترمش عيناه ببطئ قبل أن يفقد وعيه ساقطاً فوقها ليفصلهما الجندى ولكن هل تفصل أرواحهم؟!

تطلع معتز إليهما بحزن داعم العينين يغمضهما بألم على حالهما

نظر محمد لصديقه توفيق بغضب هامسا:

- قتلتة ليبيه؟

بأدله توفيق الهمس الغاضب:

- مش هنضحى بأرواح ناس عشان حضرتك تترقى ... ده ضرب البنت بالنار وكان
هيكمل على الباقي عايزنى أستنى إيه أما يموتوا كلهم

امتعض صديقه يتحدث بعصبية:

- يلا شيلوا الجثث واللى لسة عايش انقلوه عربية الإسعاف برة ... واقفين ليه

تفرق الجميع كما تفرقت القلوب والأرواح بذلك المكان الذى حمل أسوء الذكريات
والحقائق

- صحيح عارف قابلت مين هنا

قالتها شريفة بحماس لينتبه صلاح لها رافعا حاجبيه بتساؤل فأكملت حديثها:

- مياسين

انتبهت حواس رحمة للحديث بعدما كانت مستكينة بأحضان زوجها لتعتدل بجلستها
مترقبة للحديث بعيون كالصقر

ظهر الذهول على وجه صلاح لتومئ شريفة مكملة:

- آه والله ... فى هنا بنوتة مأجرة الفيلا الى جنب القصر دى ... البنوتة دى تبقى
صاحبة مياسين ... قابلتها وهى جاية تزورها

- بجد

قالها صلاح بعدم تصديق فمئذ مدة طويلة لم يستمعا أى خبر عنها

لكن ابتسم براحة وهو يسأل شريفة عن أحوالها لتطمئنه بإجاباتها غافلين عن
المشتعلة غيرة

يجلس على أرض المشفى يبكى بصمت يستند برأسه على الحائط هزيل الجسد
مكسور القلب جريح الروح

سديم ... وردة ضئيلة لا تتحمل كل تلك الصدمات ... لا يعلم كيف ستخرج من صاعقة
ما علمته ... وماذا عنهما ... ماذا عن علاقتهما

يا الله ... كل شيء يسوء والأوضاع تتدهور

أستقبل بالعودة إليه؟ ... كان يطمئنه دوما أنها وحيدة لا تلجأ سوى إليه

لكن الآن ... ظهر أخ لعين لها ... فلما تجبر على العودة له؟!!

عند تلك الفكرة ازداد بكأؤه يحاول إزالة دموعه بيديه لكن لا فائدة فما يزيله يأتي غيره أضعافا

- مالك؟!!

نبرة حنونة لكن لم يسمعها .. وكيف يسمعها وصوت بكائه يسيطر على الأجواء

ارتفع صوت الرجل مرة أخرى متحدثا:

- حبيبتيك هنا؟

رفع رأسه بذهول ووجهه منتفخ وأحمر من البكاء

أوما للرجل بعجز وبكاء ليربت على كتفه مواسيا إياه يتحدث بدعم:

- عارف ... من كام يوم بس كنت زيك كدة ... بس دلوقتي أقدر أقولك إن بإذن الله هعيش أسعد أيام حياتي

لازم نتعب ونتوجع عشان نحس بطعم الحب ... لازم يحصل بعد وفراق عشان أول ما يرجع نتمسك بيه أكثر من الأول

ابتسم ساجد له بعد مدة تعمق بها بكلمات ذلك الرجل المائل أمامه ليتحدث ببحة:

- شكرا

بأدله الرجل الابتسامة مجيبا:

- العفو ... بالمناسبة أنا سراج ... بتمنى نتقابل تانى

شهق ساجد ببكاء متحدثا بنبرة مختنقة:

- أكيد ده يشرفنى ... وأنا ساجد

ابتسم سراج له يربت على ظهره بدعم قبل أن ينهض متجها لزوجته مرة أخرى

نظر ساجد لأثره وهو يسير محيطا كتف شابة يسيران لخارج المشفى لتسقط دمعة شريفة يتمنى بداخله لو يسير هو وسديمه معا لخارج تلك المشفى كحال ذلك العاشق المحاوط معشوقته

نظر لباب الغرفة أمامه حيث تكمن هى ولم تكن له الجرأة للدخول

لكن يجب أن يواجه مخاوفه ... يجب أن يراها ... يترجاها العودة عليها ترأف بحاله وتعود إليه

يتحرك بسيارته بعدما ترك أخته على وعد بزيارتها مرة أخرى

الصمت يعم المكان لكن علامات التعجب على وجهه من تجهم وجهها

تنهد متحدثاً بمرح:

- بوز النكد ده مش غريب عليا

التفتت له بنظرة حارقة جعلته يبتلع ريقه خوفاً يتحدث متوتراً:

- مالك يا رحومتى

زفرت عنيفاً كمن على وشك الانفجار

وبالفعل ... انفجرت به مخرجة كلماتها بسرعة وغضب:

- مالى ... هيكون مالى ... جوزى عمال يسأل عن بنت ويتكلم عنها طول القعدة وعاملة إيه وهى كويسة طب زعلانة طب مش عارفة إيه

رفع حاجبيه مرجعاً رأسه للخلف قليلاً قبل أن ينفجر ضحكا يتحدث بفرحة:

- طب براحة طيب يا جميل الله ... مكنتش أعرف إنك بتغيرى أوى كدة

- لا ابقى أعرف

قالتها بعنف عاقدة حاجبيها لتجفل منتفضة بشدة ما إن شعرت به يقترب مسرعاً يقبل وجنتها ويعود لمقعده متحدثاً بحب:

- قلبى مبيحبش ولا بيشوف الأجمل منك

- آه كُـل بعقلى حلاوة ما أنا هيلة

ضحك مرة أخرى عليها نافياً رأسه بياس فالىيلة طويلة لمصالحتها تلك الغيورة

كان يركض بلهفة داخل القصر لا يصدق أن الضابط سمح له بالخروج من المشفى
بعدما لم يصلوا لأى سبب يملكه عن اختطافهم
يشتعل شوقا وخوفا على ابنه

سأل الخادما المتعجبات من شكله عن مكانه ليتعجب هو من إجابتهن

المطبخ! صغيره بالمطبخ الذى لطالما يكرهه ويرفض دلوفا ويعتبره إهانة للرجال!

لم يشغل باله كثيرا ليتجه لمكانه حتى وصل أخيرا

وقف يتنفس بسرعة يتطلع لهما جالسين على الأرض أمام الموقد المشتعل ينتظران
شيئا بداخله

حاول ضبط أنفاسه حتى لا يثير قلق صغيره ليحمم منها إياهم

انتفضت شريفة برعب تنهض بسرعة واقفة بينما هلل خالد يركض محتضنا والده
الذى حمله بلهفة

احتضنه بعنف يتحسس رأسه وظهره بشوق فكم تملكه الرعب من فكرة أنه سيفارق
صغيره

دفن رأسه برقبة الصغير يستنشق رائحته بحب وسعادة

مرت دقائق وهما على ذلك الحال حتى ابتعد عن الصغير وما زال يحمله

نظر الصغير لملابس والده بتعجب متحدثا:

- بابا ... إيه التراب ده؟!!

انتبهت شريفة هي الأخرى لملابسه ليتوتر معتز قبل ان يجيب بلامح جادة وهمس:

- أصلى كنت بحارب وحش

جحظت عينا الصغير واتسع فمه الأصغر واضعا كفيه عليهما بصدمة فأكمل والده الحديث وقد وصل لمبتغاه:

- يلا بسرعة جهز السرير عشان أحكيلك إزاي قضيت عليه

ثوان واختفى الصغير من أمامه يركض لغرفته بحماس منتظرا سماع القصة المشوقة

تطلع معتز لأثره بحب قبل أن يلتفت للتي مازالت واقفة بتعجب حتى قررت الحديث:

- حضرتك كويس؟!!

نظر لها لدقائق معدودة بصمت قبل أن يبتسم بخفوت يومئ لها:

- أيوة متقلقيش ... شكرا ... خالد شكله مبسوط ومندمج معاكى أوى

رغما عنها خرجت ضحكة مرحة منها بعد تذكرها أفعال خالد المحببة لقلبها ليشررد
معتز بضحكتها للحظات قبل أن يفيق مبتسما لها:
- عن إذنك

أومات له بخجل من ضحكتها منذ قليل ليتحرك مبتعدا عنها

تطلعت لأثره وضربت جبينها بكفها متممة:
- امسكى ضحكتك يا غبية

سقطت دموعا غزيرة من عينيه وابتسامة فرحة مرتسمة على فمه يضحك بفرحة
عارمة وهو يجد باب غرفة العمليات يفتح وهي تخرج منها بعدما طمأنه الطبيب أن
الرصاصات أصابت كتفها فقط

ابتلع غصته بعدما تذكر ذلك المشهد الذى مات به ألف مرة وتألم أضعاف آلامها

ينظر بشوق للغرفة المفتوحة منتظرا خروجها وكل ذرة به ترتعش متطلعة للقيها عله
يرتوى من رؤياها

أخيرا خرجت على فراش أبيض يماثل وجهها الذى برغم شحوبه ظل بهالته الجذابة

لم ينتظر ولو لحظة إلا وكان يركض ناحيتها حتى وقف بجانب الفراش

أمال برأسه يضع جبينه على جبينه تسقط دموعه المتألّمة تلوث وجنتها النقية
وأصابه المرتعشة تتجه لكتفها موضع الجراحة يتلمسه بخفة ووجع لألمها

اتجهت يده تحاوط وجنتها وأنفاسه تضرب وجهها بعنف ليضحك بفرحة ونحيب عيناه
متألّنة بالدموع:

- وحشتينى أوى ... اصحى عشان خاطرى

أنهى حديث يغمض عينيه بألم ونحيبه يزداد يكاد يتحول لصراخ ومازالت كل ذرة به
خائفة منذ ذلك المشهد الذى أصابه بمقتل

انتفض على تلك اليد التى وضعت على كتفه فالتفت ليجد الطبيب:

- متقلّش حضرتك الحمد لله هتكون بخير لازم ننقلها الأوضة ترتاح وهتفوق كمان
شوية

أوما تميم له بحزن على ابتعادها عنه مرة أخرى يراقبها تتحرك بعيدا عنه لتتكمش
ملاحه بحزن طفولى واشتياق

وسط تنهداته تذكر شيء هام

سديم

الفتاة التى من المفترض أن تكون أخته الآن ... يشعر أن كلام ذلك العجوز حق

يشعر أنه لم يكذب عليهم

ابتسم بخفوت محاولا التطلع للأمور بإيجابية قليلا

ميا خاصته بخير ... علم عائلته ... وجد أختا له

زفر عنيفا يحاول طرد اليأس والألم والتمسك بتلك الأمور فقط حتى يستطيع أن يحيا
دون تعكر من الماضي وأحداثه

جلست نيرة على الأريكة تنتهد بفرحة تتمتع بجسدها متخيلة المستقبل

كلما ساءت الأحوال تتحسن مرة أخرى ويأتى الفرج

ستنعم بحياة سعيدة بها أموال وطعام فخم وسلطة زوجها

ستخرج من ذلك البيت الصغير لتعيش بمنزل ضخم غال

دلف بجسد مرتعش ينتفض خوفا وشوقا كقلبه المسكين مهلكها وهالكه

يموت شوقا لها ... يريد تلمسها ... يريد الشعور بها ... يريد الكثير لكن وهل تعطيه
حتى ولو القليل

يسير بخطوات بطيئة حتى اقترب من الفراش ومازال وجهها متخفٍ عنه

خطوات هادئة لكن بالتعمق بها نجد تعثر وحالة فوضى عارمة ككل ذرة داخله

كل جزء به له رأى آخر مختلف

من يرى الابتعاد ومن يرى الاقتراب ومن يرى أخذها عنوة ومن يرى تركها تروح

لكن عذرا ... فهو مسير من قلبه وقلبه فقط ... سيأخذ قرار قلبه ينفذه

وما كان قرار القلب سوى القرب

أخيرا وصل لها يقف بجانب الفراش ملاصقا له يتطلع لها بعيون شاردة بها لمعة
حزن وعشق

بلل شفثيه يبتلع ريقه بتوتر وخرجت أنفاسه متعثرة متوترة كصاحبها تماما

ظل يبلل شفثيه حتى كادا يذوبان يرمق النظر بها وبوجهها الشاحب النائم

أغمض عينيه عنيقا لتسقط دموعا غزيرة على وجهها مبللة إياه

فتح عيناه وأخذ نفسا عميقا ويده تعرف طريقها لوجنتها الناعمة يتلمسها بحب
وعشق عارم

تتحرك أصابعه على وجنتها بتناغم مع ضربات قلبه العالية وشفثيه تبتسم مرتعشة
بأمل بقرب اللقاء والعفو

هبط برأسه يقبل جبينها فأنفها فوجنتيها حتى وصل لكرزتيها ليقبلها بكل شغف
وعشق ودموعه تقوم بعملها بأكمل وجه

ابتعد عنها شاهقا ببكاء ينظر لها بحسرة وألم قبل أن يرتب الغطاء ليحيط بها جيدا
ويتحرك للخارج لكن قلبه كالعادة معها هي

كان ينظر للأرض وهو يتجه ناحية الباب وكل جزء به يعترض على خروجه ليصطدم
بشيء صلب

رفع رأسه فوجد تميم يقف أمامه يتطلع له بألم على حاله

ابتلع ريقه ينظر للخلف حيث هي ممددة ثم للأمام حيث تميم

عض شفثه مخرجا أنفاسه المحبوسة وهو يكمل طريقه للخارج

نظر تميم لأثره قبل أن يكمل دلوfoه بتوتر شديد

- وبوم بوم بوم راح مات

- هيبه

هكذا أنهى معتز قصته الخيالية ليصرخ خالد فرحا وهو ينهض واقفا على الفراش يقفز فخرا بقوة والده حتى توقف ينظر لوالده الممدد على الفراش يتحدث بتمن:

- بابا أنا لما أكبر هبقى قوى زيك صح؟

اوأ معتز ضاحكا وهو يجذب صغيره يمدده على الفراش ويدغدغه:

- طبعا يا خالد بيه هتكون قوى

ارتفعت ضحكات الصغير الهستيرية يحاول إبعاد يد والده عنه والذي لا يتوقف عن دغدغته سوى عندما سمع صوت طرق الباب

توقف عن الضحك واعتدل فى جلسته قبل أن ينهض يفتح الباب ليقابله وجهها البسام

ابتسمت شفتيها بخجل وأخفضت بصرها ترفع يديها الصغيرتين طبق به قطع من الكعكة الشهية التى أعدتها بمساعدة الصغير

ابتسم لها باتساع يتناول الطبق متحدثا بتساؤل:

- وإننى مش هتاكلى؟

كادت تجيب عليه لكن اقتحم الصغير خلوتهما دافعا والده المتعجب منه بعيدا عن الباب يمسك يد شريفة يجذبها للداخل

حاولت إبعاد يدها عنه وقد احمر وجهها تماما لكن الصغير كان متمسكا بيدها حتى
قادها للفراش ليحاول دفعها عليه متحدثا بتهيدة تعب:

- يلا يا ريرى بقى اقعدى معانا

سقطت جالسة على الفراش ليزداد حرجها بشدة عندما لاحظت الاستمتاع والضحكة
على وجه رب عملها

جلس خالد بجانبها على طرف الفراش يتطلع لها بفرحة ويحرك قدميه بطفولة
ليتحدث معتر ضاحكا:

- شايف فى احتلال حصل فى أوضتى يعنى

شهقت بحرج منه وانتفضت ناهضة معذرة بخجل:

- لا لا آسفة أنا هخرج حالا

قطع عليها طريقها للخارج بعدما وقف أمامها يتحدث مبتسما:

- لا لا عادى ناموا هنا هنام فى أوضة تانية

نفت مباللة شفتيها الحمراء كوجنتيها خجلا:

- ميصحش

راقب حركتها وقد شردت ملامحه قبل أن يبتلع ريقه مبتسما:

- لا عادى مفيش حاجة

أنهى عبارته يتجه لصغيره مقبلا وجنته متحدثا:

- تصبح على خير يا بطل

بأدله خالد القبلة مجيبا:

- وإنت من أهله يا بابا

اعتدل متجها للخارج ليقف عند الباب فجأة لثوان قبل أن يلتفت لتلك التى مازالت واقفة محلها متحدثا:

- تصبحى على خير

- ها ... آه وحضرتك من أهله

قالتها ببلاهة وشرود ليبتسم عليها مانعا ضحكته على شكلها وخرج من الغرفة مغلقا الباب

نظرت لأثره بارتباك قبل أن تلتفت للصغير الذى ينظر لها بابتسامة وفضول لتبادلها إياها وتعود للجلوس على الفراش معه يتناولون الكعك الذى تركه معتز لهما وقد تلوث وجههما بالشوكولاتة

كانت تستشعر كل لمسة ... كل نفس ... كل قبلة

تشعر بأقل شيء فعله ... أحست بمدى ألمه ... شعرت بدموعه تهبط غزيرا عليها

لكن لم تملك القوة لفتح عينيها ... فضلت تمثيل النوم على مواجهته ... تمقته لفعلته
... لا تريد ما يربطها به ... رغم ألمها المضاعف ألمه

رغم عشقها وجنونها ... إلا أن فعلته لا تغتفر

ما إن شعرت سديم بخطواته يبتعد عنها حتى فتحت عينيها تنهار بكاءا فقد أرهاقها كل
شيء حد الموت

أغمضت عينيها تعصرهما باكية بشدة ... لحظة وجفت محلها ما أن استشعرت يدا
تربت على رأسها

فتحت عينيها تنظر لمن يقف أمامها لتجده تميم

شعرت باختناق شديد وبدأت تتعرق كثيرا بينما حاله لا يقل عن حالتها

عضت شفتها بارتباك واعتدلت جالسة على الفراش تمسك الغطاء بيديها الصغيرتين
بطفولة

نظر ليديها بابتسامة وحنان قبل أن يجلس على جانب الفراش أمامها

تهدد بشدة محاولا جمع كلماته والتي لم يجد سوى تلك الكلمتين فقط:
- إنتى كويسة؟

عضت شفيتها بطريقة أعنف وزمتهما تحاول عدم البكاء لكن سؤاله قد أشعل لهيب
ألمها لتشهق باكية ودموعها تهبط مرة أخرى

كانت أصابعه تنبسط وتقبض بتوتر شديد حتى مال بجسده ولم يجد نفسه سوى وهو
يأخذها بين أحضانه يربت على ظهرها وقد كانت تلك القشة التي قسمت ظهر البعير
لتنفجر فى النحيب تتمسك بقميصه تبكى داخل صدره شاكية إياه ألمها

دمعت عيناه على حالها ليشدد على احتضانها مهددا إياها حتى تهدأ

قضى على تلك اللحظة العظيمة انتشالها من بين أحضان تميم بيد ذلك المشتعل غير

كان يتنفس بعنف كالثور ومازال ممسكا ذراع سديمه خاصته وحده مبعدا إياها عن
كانت بأحضانه وكلما تذكر ذلك يشتعل فتيل غيرته

تململت سديم محاولة الإفلات منه لكن ساجد كان مقيدا إياها مانعا أى فرصة للابتعاد

عقد تميم حاجبيه بضيق حتى تحدث غاضبا وهو يجذب سديم ناحيته:
- ابعد عن أختى

ابتسمت سديم رغما عنها بعدما استمعت لقبه لها بأخته

وكم طار قلبها فرحا ... شعرت بوجود سند ورجل يحميها لتحمر عيناها وقد غامت
بالدموع لكن فرحة تلك المرة

تحدث ساجد غاضبا وقليل من الصراخ:
- لسة متأكدناش ... تعملوا DNA ونتأكد

نظر تميم له باستهجان رافعا حاجبه قبل أن ينظر لسديم المتطلعة له بابتسامة فرحة
ليبادلها الفرح والحنان مردفا:
- أنا متأكد إنها أختى ... وحاضر نعمل منعملش ليه ... بس ...

توقف عن الحديث لينهض واقفا أمام ساجد يزيل يده الممسكة بذراع أخته بعنف

بعد محاولات عديدة استطاع أخيرا تحريرها ليهمس أمام وجه ساجد مضيقا عينيه:
- لغاية ما حضرتك تتأكد ... متدخلش أوضتها ... عشان صدقتى لو طلعت زعلانة
منك عشان حاجة كبيرة فتنساها خالص

ابتلع ساجد ريقه وقد شعر بالضعف والخوف لثوان قبل أن يتحدث بقوة مصطنعة:
- ماشى وانت متقربش منها وهنعمل التحليل دلوقتى

أوما تميم له ثم نظر لسديم الخائفة يبتسم لها يطمئنها وقد كان

زفر ساجد بغضب شديد بعدما لاحظ الابتسامات المتبادلة بينهما ليدفع تميم متحدثا:
- يلا بقى اطلع

رفع تميم حاجة متحدثا بضحكة دون مرح:
- متحلمش أسيبها معاك

- وانت مت...

كاد يكمل ساجد جملته لكن قاطعه صراخ سديم:

- ساجد بالله عليك يا أخى سيبنى فى حالى واطلع إنت برة

ابتسم تميم بشماتة فكاد ساجد يصرخ بها أن تصمت لكن تراجع لرؤيته الألم والرجاء بعينيهما لتكمش ملامحه بضيق وحنق طفولى:

- ماشى هطلع بس توعدنى ميقرش منك ومتقلعش الحجاب ويقعد على الكرسي هناك

أنهى جملته مشيرا لمقعد بجانب بعيد من الغرفة ليضحك تميم بغير تصديق بينما نفت سديم برأسها يائسة منه حتى تنهدت متحذثة:

- ماشى وعد ... اطلع بقى

عقد حاجبيه حزنا يتحرك بضعف للخارج زاما شفثيه كمن سينفجر بكاء كطفل صغير أعطيت حلواه لشخص آخر

وقف عند الباب ليلتفت لها متطلعا لها بنظرة جرو راجيا إياها لتشيع برأسها عنه

تحولت نظرتة الراجية لأخرى مظلمة يوجهها للحقير المائل أمامها يتحدث بغضب:

- مش هطلع إلا لما يروح يقعد على الكرسي

- هوووف

زفر تميم أنفاسه يتجه للمقعد جالسا عليه يبتسم لساجد بسذاجة

تطلع لهما بنظرة أخيرة قبل أن تنكمش ملامحه غضبا ويخرج مغلقا الباب بعنف كاد يكسر كل ما بالغرفة

نظرت سديم لأثره بحزن متتهدة وقبل أن تعاود النظر لتميم كان الباب يفتح على مصراعيه وساجد يدخل رأسه متحدثا يضيق عينيه:
- الباب يفضل مفتوح

قالها وخرج من الغرفة لينفجر تميم رغما عنه ضحكا سرعان ما انشغل مع سديم بالحديث يتعرف عليها وعلى حياتها وقبضته تشدد كلما تذكر حديثها عن فعلت ذلك الساجد بها

توقفت سديم عن الحديث فجأة عندما تذكرت شيئا هاما لتصرخ بفزع:
- مياسين

رفع يديه علامة أن تهذا متحدثا بابتسامة:
- متقلقيش هي كويسة وخرجوا الرصاصة ... هي فى الأوضة دلوقتى وساعة كدة وتفوق وهنروحها

تنهدت براحة شديدة فقد وقع قلبها خوفا عندما ظنت أنها قد تأذت

والآن حان دور تميم يقص عليها كل شيء عنه وهى تستمع بانتباه

كانا يتحدثان بانسجام غافلين عن المشتعل غيرة بالخارج وبعد معاناة وجد مقعدا يستطيع من خلاله رؤية الغرفة بوضوح من الداخل يراقب بعينى صقر منتظرا أى مخالفة لو عدها لينقض عليهما يأخذ بثأر قلبه

- رحمة خلاص بقى بطلى نكد

قالها صلاح بنظرة راجية لتتسع عينا رحمة صدمة مشيرة لنفسها غير مصدقة:
- أنا نكد يا صلاح

اقترب منها يجلس ملتصقا بها على المقعد مقبلا وجنتها بنهم كالأطفال يتحدث ضاحكا:

- وأجمل نكودة فى الدنيا دى كلها

تهتدت تبتعد عنه جالسة على مقعد آخر وهى تتحدث بضيق:
- اسمها نكدية مش نكودة

انفجر فى ضحك هستيرى عليها مجيبا باختناق:

- يعنى معترفة إن فى نكد فى الموضوع

تهتدت متحدثة ببراعة وقد عادت للجلوس معه على نفس المقعد الضخم تنظر لها بحزن:

- ما إنت اللي نسييتنى خالص وقاعد تتكلم عن ميازفت هانم

- ههههههه طب أنا آسف خلاص

قالها بضحكة فرحة لغيرتها لتزفر عاقدة حاجبيها تستند بظهرها على المقعد تجلس بأريحية حتى غاصت لأسفل فكانت كالطفلة الغاضبة تماما

ابتسم بشدة عليها قبل أن تتجه يده بخبث لبطنها يدغدغها بخفة لتصرخ منتفضة بعيدا عنه تقف أمامه:

- لاااهههههه متزغزغنيش تانى هتزعل

قالتها ترفع إصبعها بتحذير لينهض هو الآخر يقبل إصبعها بحب:
- حاضر

أنزلت يدها وقد ابتسم جانب فمها حتى ابتسمت كليا ليأخذها بأحضانها منتهدا براحة على حياته التي لم يفكر يوما أنها قد تكون بكل تلك السعادة والراحة والحب

تنهد بتعب يضغط بإصبعيه على أعلى أنفه بين عينييه يشعر بصداع شديد

فقد أتى بعد اختطاف وتعب لينشغل بالحديث مع ابنه وها هو الآن يجيب على اتصالات من شركته يسألونه عن العمل وعما يفعلون

أخيرا انتهت الاتصالات ليتمطع بمقعده قبل أن ينهض يحرك يده على رقبته من الخلف
يدلكها بتعب يحرك رأسه يمينا ويسارا

اتجه للطابق العلوى متجها لغرفته وقد نسى تماما من بها

قطع حديثها دلوف ذلك الهمجى يتحدث بضحك وسعادة لتميم:

- الدكتور بيقولك قريبتك صحت

انتفض تميم من مقعده وقد أشرق وجهه ونبض قلبه ليتحدث بلهفة:

- يلا يا سديم بسرعة نشوفها

هنا وزيلت ابتسامة ساجد واختفت فرحته يتحدث بصدمة كمن يقترب من البكاء:

- تروح معاك فين سيبها هنا

رفع تميم حاجبه متحدثا بحنق:

- هتيجى تشوف زميلتها ونخلص ونروح نحلل عشان البيه يقتنع إنى أخوها

قالها يتجه لسديم التى تحاول النهوض وقد انشغلت بفرحتها باستيقاظ صديقتها عن
حديثهما

قبل أن يسندها للنهوض كان ساجد يدفع بغضب صارخا بحنق:

- يا أنا أساعدها يا تقوم لوحدها

زفرت سديم بغضب حانقة من أفعاله تتحدث مستفزة إياه:

- أنا هقوم لوحدي

انكشيت ملامح ساجد بضيق من فعلتها والتي جعلت البغيض تميم ينظر له بشماتة

راقب ساجد نهوضها تسير لخارج الغرفة وتميم يذهب خلفها وكل ثانية يلتفت له إما
بابتسامة سمجة أو بنظرة مظلمة لما فعله بأخته

- إنتى اتهبلتى؟ ده غالى جدا

قالها قصى بغضب لتجيب نيرة لا مبالية لكلماته:

- والله الأنتريه ده عاجبنى وعائزاه

تنهد بضيق يتحدث حانقا من تصرفاتها الجشعة:

- يعنى أنا وافقت أجيبك عفش جديد ومشيلتكيش حاجة فى الجهاز وكمان عايزة
أنتريه بالفلوس دى كلها

حركت كتفيها بلا مبالاة وبساطة تريح جلستها أكثر تنظر له بتحدٍ ليزفر حانقا
مستسلما لطلبها

ما زالت تحتضنها باكية بحزن وخوف عليها متحدثة باعتذار:
- آسفة يا حبيبتي أنا السبب فى اللى إنتى فيه

ضربتها مياسين على ظهرها بخفة متحدثة بعتاب:
- بس يا هبله متقوليش كدة تانى

ابتعدت سديم ضاحكة لها يتحدثان مع بعضهما بحماس وعقل مياسين مع صديقتها
لكن قلبها مع من يجلس بعيدا عنهما

يجلس تميم وحيدا بعيدا عن هالتها عاقد ذراعيه وشفتيه يكاد يأكلهما من التوتر
والارتباك و... الاشتياق

يريد الذهاب لها وضمها لكن مازال حزينا منها ... يريد احتضانها ليتأكد من سلامتها
لكن لا يجب عليه التهاون معها فما فعلته ليس بالهين أبدا

بعد مدة من صمته وحديث الصديقتين نهض من مكانه متحدثا لسديم لكن نظراته
موجهة لها هى من شغلت قلبه:
- احم سديم يلا عشان نلحق نحل

أومأت له ناهضة لتتساءل مياسين التى قفز قلبها فرحا ما إن استمعت لصوته:
- تحللوا إيه؟

تنهدت سديم مبتسمة بخفوت:

- نتأكد من الكلام اللى اتقال

أومأت مياسين بتفهم وحزن على حال أقرب الناس لقلبها لكن حقا تتمنى لو أنهم
أخوة!

ابتسمت لصديقتها وأمسكت يدها بدعم لتبادلها سديم الابتسامة بينما تميم يقف بضيق

ألا يحتاج الدعم هو أيضا أم أنها نستنه لجفائه!

تنهد الاثنان وخرجا من الغرفة بعدما وعدتها سديم بالعودة

ما إن خرجا حتى وجدا ساجد يقف كالحرس على الباب ينظر لهما مضيقا عينيه

وضع تميم يده على وجهه بيأس فالواضح أن الحقير لن يتركهما وشأنهما بينما سديم
لا تقل عنه يأسا من تصرفاته

تحركا متجاهلين ساجد الذى يتبعهما كالظل تماما يكاد إنش واحد ويلتصق بمحبوبته

رفع رأسها قليلا ووضعها على صدره مقبلا أعلى رأسها بحب يداعب شعرها الناعم
لتنهد بنعومة تماثلها مغمضة العينين بنعاس

ثوان بسيطة وكانت رحمة نائمة باستكانة داخل أحضانه ليتطلع صلاح لها بابتسامة
يقبل جبينها بكل الحب الذى يملكه لها

يد تحاوط رأسها والأخرى على بطنها موضع صغيرهما الذى ينتظره بفارغ الصبر

وصل لغرفته ليفتح الباب دالفا للداخل كعادته دون أن ينير المصباح فنور القمر
مناسب ليرى الغرفة قليلا

أرهقه التعب فنسى تماما كل شيء حتى سديم ومن كان معه!

كل ما يفكر به الآن النوم براحة تامة عل الإرهاق يزول

اقترب من الفراش وكاد يرفع الغطاء ليصعق متراجعا للخلف وهو يراها نائمة
وبجانبه ينام صغيرا

ثانية واحدة وذهبت صدمته عندما تذكر أنهما استولا على غرفته ليحل مكانها الضحك
الخافت مانعا ضحكاته من الارتفاع حتى لا يزعجهما

شديدا اللطافة هما ... نصف وجههما ملوث بالشوكولاتة وكل منهما يحمل قطعة كعكة
بيده يعتصرها ... حسنا صغيره طفل لكن هى!

خرجت ضحكاته مرة أخرى على كم لطافتها وكل ثانية تخرج لسانها تتذوق الشوكولاتة حول شفتيها لتبتسم ... وهى نائمة!

وضع يده على فمه مانعا الانفجار ضحكا ليميل عليهم يأخذ الكعكة من يد صغيره

نظر لها لثوان ثم تطلع ليدها ويده تفتح قبضتها يأخذ قطعة الكعكة منها

وضع يده النظيفة بجيبة يخرج منديلا لتنظيف وجههم ويدهم لكن وقبل الاقتراب منها

توقف متعجبا حتى تراجع مرة أخرى بتوتر من تصرفه الخاطئ فهذا تعدٍ على حريتها خاصة عندما لاحظ أنها نائمة بشعرها ليلتفت مسرعا يتجه للخارج وأغلق الباب بهدوء

نظر للباب المغلق بابتسامة ثم تحرك لغرفة فارغة ينام بها الليلة

أنهيا التحليل وساجد لم يترك الطبيب وشأنه إلا عندما تعهد له بأن يخرج النتائج بأسرع وقت حتى كاد يصرخ الطبيب بهم غضبا

يقفون جميعا بصمت حتى تحدث ساجد وعدم الرضا على وجهه:
- هتنامى مع زميلتك فى الأوضة بتاعتها وأنا هنام فى أوضتك

كادت تتجاهله سرعان ما تحدثت بقلق:

- وتميم

تطلع ساجد لمن ينظر له بغضب متحدًا بسخرية:

- هنسيبه على بوابة المستشفى يحرسها

اتسعت عينا تميم من إهانة البغيض له فاقترب منه مستعدا لضربه لكن أوقفه نظرة
سديم الراجية كمن تخبره فلتعتبره غير موجود

تنهد طاردا غضبه متحدًا بهدوء مصطنع:

- ادخلي يلا مع مياسين وأنا هنام مع الزفت

رفع ساجد جانب شفته العليا يتطلع له من أعلاه لأسفله باستهجان

أومات سديم له متجهة لغرفة صديقتها بينما نظر الشابان لبعضهما للحظة قبل أن
يركضان ناحية الغرفة الفارغة مسرعين لكن كان ساجد الأسرع ليلقى جسده بلهفة
على الفراش متمددا عليه يضع كلتا يديه خلف رأسه النائمة على الوسادة

نظر ساجد لتميم بابتسامة شامتة بادلته تميم إياها بضيق وهو يتجه للأريكة ينام عليها
ويسبه!

مدة بسيطة وعاد كل منهما للشروود مرة أخرى حتى قطعه تميم متحدًا بحزن:

- إزاي قدرت تعمل فيها كدة؟! بعد ما قومتك على رجلك تخونها

فتح ساجد عينيه بعدما كان مغمضا إياهما وقد احمر وجهه واختنقت نبرته

حاول الحديث فلم يستطع ليتقلب نائما على جانبه رافضا الإجابة

نظر تميم لظهره بابتسامة حزن متحسرة على فعلته فقد رأى العشق بعينه لأخته
فحزن على حالهما كلاهما:

- مش قادر ترد ولا تبص فى عيني ... يبقى إزاي هتبص فى عينيها هي؟!!

- اخرس

صرخ بها ساجد بألم ووجع وهو يدفن رأسه بالوسادة يبكى بصمت فكلما تذكر فعلته
الحمقاء القاتلة يأتى معها البكاء ندما

بلل تميم شفتيه يستشعر كم الألم بزواج أخته ليتنهد مغمضا عينيه راحما إياه من
كلمات سامة كان يرتبها كثيرا لإخباره إياها

تشارك الصديقتين الفراش بصمت حتى تحدثت مياسين مطمئنة صديقتها:
- متقلقش يا سديم ... طالما حاسة إنه فعلا أخوكى وهو حاسس كدة يبقى إن شاء
الله خير

- يارب

قالتها سديم بدعاء خائفة أن يحدث ما لا تريده ويكون غريبا عنها

تنهدت متحدثة بابتسامة متعجبة غير مصدقة لكل تلك الأحداث:

- بس مين كان يصدق اللى حصل ده كله وإنه يطلع أخويا

ضحكت مياسين هي الأخرى فهي لا تقل صدمة عن صديقتها حتى تساءلت:

- صحيح الراجل ده كان عايز منك إيه؟

حركت سديم كتفها دلالة عن جهلها:

- معرفش بس ممكن يكون شغل مع بابا ... الله يرحمه

قالتها بحزن واختناق شاهقة بكاء لتحيطها مياسين بذراعها مربتة على رأسها:

- ربنا يرحمه يا قلبى

ابتلعت غصتها متنهدة تحاول البحث عن الراحة تكمل حديثها:

- القضية خلاص اتقفلت بعد ما الطباط معروفش يوصلوا لأى حاجة لما سألونى

أومات مياسين لها متممة بحنان:

- طب نامى يا حبيبتى نامى

انتفضت من نومها فزعة بعد ذلك الكابوس الموحش لتنفجر بكاء

رأت كل من كان بماضيها

رأت الملهى الذى كانت تعمل به وكل الرجال التى علمتهم وشريف و.. صلاح

رأته ينظر لها مشمئزاً يبتعد عنها

حاولت الركض تجاهه لكن كلما اقتربت كلما ابتعد حتى اختفى تماماً لتستيقظ عند تلك
النقطة منفجرة فى البكاء خائفة بشدة

استيقظ صلاح على صوت نحيبها لينهض فزعا محتضنا إياها بقلق:

- مالك يا قلبى؟ مالك؟

شهقت باكية تجيب بخفوت شديد:

- كابوس وحش أوى

زفر ببعض الراحة فقد ظن أن مكروه أصابها أو أصاب ابنهما ليهددها محركا يده
على ظهرها يحاول تهدئتها:

- معلى يا حبيبتى ... نامى خير بإذن الله

أومات له وهو يزيل دموعها ويعود للتمدد ورأسها فوق رأسه

ظل يملس بيده على رأسها لتنام لكن غلبه الإرهاق فنام هو بينما هى تصارع النوم لا
تريد الوقوع به ... تخاف أن تراه يبتعد مرة أخرى وقد بدأت هواجس ماضيها
تطاردها مرة أخرى بعدما تركتها لأيام قليلة

أشرقت شمس يوم جديد وحل الصباح يعم الضوء بكل جوانب القصر خاصة بالغرفة
التي لا تحمل شابة وطفل بل طفلتين أو أم وابنهما أيهما أقرب

نهضت شريفة تحرك ذراعيها بكل الاتجاهات لتفيق تماما

تركت الفراش وهي تحكم الغطاء على خالد مقبلة جبينه تبتسم على شكله الملطخ
وداخلها تهزأ من طفولته وعدم نظافته

ما إن التفتت حتى وقعت عينيها على انعكاسها بالمرآة لتجحظ عيناها

أتهزأين بالصغير وأنتي المرأة الواعية لا تقلين عنه

ضحكت غير مصدقة لوجهها الذي بالكاد جبينها وعينيها قد نجيا من الشوكولاتة

نفت برأسها والضحكة على وجهها تنتظر بكل جانب بالغرفة

حمدت ربها تصفق بفرحة عندما وجدت مرحاضا بالغرفة وإلا لكانت وقعت بورطة
كبيرة لو خرجت أمامهم هكذا

دلفت للمرحاض مسرعة تغسل يدها ووجها لتنتهي تتطلع لنفسها بالمرآة بفرحة فقد
عادت ملامحها للظهور

خرجت من المرحاض وهى تنتظر لتصميم الغرفة الرائعة تبتسم بطفولة مقررة العبث
بالغرفة فلا أحد يراها ... نظرت للصغير بتركيز و عيون ضيقة مضحكة لتجده نائم
بعمق فبدأت جولتها بالغرفة تفتح هذا وذاك بفضول طفولى تعبث بكل شيء بأصابعها
الصغيرة وبالطبع تعيد كل شيء كما كان

فالمهم الأخلاق أثناء التطفل على أشياء الغير!

يراقبها تتحرك بشرود تضع الطعام على الطاولة وملامح الحزن عليها

قبل أن تعود للمطبخ مرة أخرى أمسك يدها يجلسها على المقعد بجانبه يتحدث بحنان:
- مالك يا رحمة إنتى كويسة؟

أومات له مبتسمة بصعوبة تربت بيدها على وجنته وتقبل الأخرى مجيبة:
- أيوة يا حبيبى مرهقة بس شوية هفطر وأنام شوية

أنهت عبارتها ونهضت مسرعة للمطبخ دون انتظار حديثه لينظر لأثرها بتعجب
محاولا طمأنة قلبه أنه مجرد إرهاق كما تفوهت

مرت ساعات على استيقاظهم

تجلس الفتاتان بنفاذ صبر خاصة سديم التى تنتظر النتيجة بفارغ صبر ... ستحزن كثيرا لو أخبرهم الطبيب بأنها لم تظهر بعد

تتمنى لو يستمع الطبيب لرجاء وإصرار خائنها بأن تخرج بأسرع وقت!

انتفضا بفزع بعدما فتح الباب فجأة وساجد يذلف والحزن على وجهه وتميم جامد الملامح

ابتلعت سديم غصتها وقد دمعت عيناها ونهضت من الفراش تقف أمامه:

- مش أخوات

تساءلت بحزن طفولى باكٍ زامة شفيتها ليتنهد تميم

دمعت عيناها واحمر أنفه يجذبها لأحضانها بعنف يتنفس عميقا متحدثا بإختناق باك:
- أخوات

أخيرا خرجت أنفاسها دفعة واحدة براحة تحتضنه بشدة بعدما ظنت أنها عادت مكسورة الظهر بلا سند بينما تميم لا يمكن وصف مشاعره ... وجد عائلته ... وجد شقيقة محبة ... ميا خاصته بخير

ماذا يريد أكثر من ذلك؟!

ابتعدا عن بعضهما وصوت شهقاتهما بالغرفة كلها ليحيط تميم وجنتيها بحنان يقبل
جبينها فرحا

تتطلع مياسين لهما دامعة العينين بفرحة عارمة وساجد يراقب بحزن وغيرة وبالطبع
لا ننسى الخوف بل الفرع الذى هو به

ما خاف منه تحقق ... وجدت سندا غيره ... وجدت من ترتكز عليه غيره

عض شفتيه مانعا نفسه من البكاء ينادى بنبرة مختنقة:

- س... سديم

انتبهت لندائه لتتطلع إليه بنظرة لا يستطيع تفسيرها

ابتعد تميم عن أخته مقرا تركها تختار ما تريد وسيقف معها

إن اختارت عدم العودة سيساندها ويأخذها معه وإن اختارت العودة سيكون بظهرها
مانعا إياه من جرحها مرة أخرى

لولا علمه بعشق ساجد له لكانت فكرة العودة محالة تماما

ما إن ابتعد تميم حتى اقترب ساجد يقف أمامها

تنهد لتضرب أنفاسها وجهها فتغمض عينيها بآلم

بلل شفتيه متحدًا باختناق:

- نرجع؟

زفرت عنيًا تفتح عينيها متحدثة بدموع:

- طلقني

وكم كانت تلك الكلمة قاسية مؤلمة كسكين تغرزه بدون رحمة بقلبه المسكين العاشق
لها الواقع بغرامها

هنا وانهمرت دموعه بشدة متحدًا برجاء:

- سديم بالله عليكى والله أنا عملت كدة بس عشان أنتقم منها لكن ... أنا ... والله
العظيم ... بعشقتك إنتى

توقف الزمن ومعه توقفت ضربات قلبها لثوان قبل أن تعود للنفض مرة أخرى بعنف
يمائل عنف هبوط دموعها

سقطت أرضاً أمامه على ركبتيها وصدى كلمته تضرب أذنها دون شفقة

وضعت يديها على وجهها ونحيبها يعلو ليشاركها النحيب والشهقات جالسا أمامها

وضع كفيه على يديها يزيلهما متحدًا بنظرة راجية آلمتها:

- والله العظيم بعشقتك وعائزك والله العظيم ما بحب غيرك وعمري ما وصلت لمرحلة
العشق مع غيرك

عضت شفتها السفلى عنيفا ترفع رأسها تنظر للسقف ببكاء لثوان قبل أن تعاود النظر
له متحدثة بألم وكسرة:

- أنت عارف استنيت الكلمة دي منك بقالي قد إيه ... سنين عايشة على أمل تحبني
... سنين عايشة على أمل تبادلني ولو جزء بسيط من مشاعري ... لكن مكنتش
بشوف منك غير البخل وبس

إنت دمرتني يا ساجد ... عشقي ليك عمره ما داواني ... كان دايمًا بيقتلني وتصرفاتك
كانت بتقتلني أكثر ... عارف يعني إيه واحدة تتخلي عن كرامتها عشان اللي بتحبه ...
واحدة تضحي بكل حاجة عندها حتى حاضرها ومستقبلها تكرسه لأعظم إنسان
بالنسبة لقلبها واللي بتعشقه لدرجة الموت

عارف يعني إيه أبقي بشحت منك لمعة في عيونك ولو حتى فرحة مش حب
عارف يعني إيه أبقي شوية وهبوس إيدك وأطلب منك تحبني
عشقك استنزف طاقتي يا ساجد ... عشقك مبيعلمش حاجة غير إنه بيدمرني ويقطعني
حتت لغاية ما هختفي

عشقك مجرد سكينة كل مدة بتغرزها أكثر في قلبي
عشقك عمره ما كان سبب في سعادتي
عشقك خلاني أتخلي عن كل حاجة عشانك وإنت ... مقدرتش تتخلي حتى عن انتقامك
عشاني

كنت كل يوم بصحي وأدعي ربنا تحبني ... كنت كل يوم براقبك وأشوف التصرفات
اللي بتحبها عشان أعملها يمكن ... يمكن تحبني

كنت كل يوم بسجد لربنا وأعيط وأطلب يزرع حبي في قلبك
كنت بستني تقولي حبيبتي ولو بالغلط ... كنت ... كنت بتذل

علاقتنا عمرها ما كانت عشق يا ساجد ... علاقتنا كانت عبارة عن ذل ومهانة
واستعباد ليا
ورغم ده كله ...

شهقت ببكاء كمن معها فى الغرفة وهو تشير لقلبها بحسرة:
- ورغم ده كله قلبى لسة بيعشقتك ... لسة راضى بالذل معاك

ابتلعت ريقها تأخذ أنفاسها المسلوبة وهو أمامها منفجر بالبكاء أحمر الوجه نازف
القلب من كلماته الموجهة

كم لعن وكره نفسه ... كم تمنى قتل نفسه لما فعله ببريئته الصغيرة

تحركت يدها تمسك يده وتضغط عليها ... رفع رأسه ينظر لها ببكاء لتزيل دموعها
باليد الأخرى متحدثة بقوة مصطنعة:

- قلبى بيحبك وموافق على الذل ... لو راضى ليا أتذل وأتهان ... وأتوجع تانى فخدنى
معاك البيت مش هقاومك لكن ... لكن لو فعلا زى ... زى ما قلت إن بتع ... بتعشقتنى
... يبقى تسيبنى أعيش باللى اتبقى من كرامتى ... تسيبنى أجمع شتات قلبى ...
تسيبنى أرمم روحى ... تطلقنى
مش هجبرك على أى اختيار

وضع يدها الأخرى الملطخة بدموعها على قلبه ليتلطح هو الآخر فتختلط دموعها مع
دماء قلبه النازف مشكلين رباط من الألم والوجع

رفع رأسه لأعلى ليصرخ بوجع وعروق وجهه بارزة تكاد تنفجر:

- آآآآآآآآآه

انخفض صوته تدريجيا ويده المرتعشة الحرة يرفعها يضعها على يدها الساكنة على
قلبه يقبل باطنها لتتلوث بدموعه

رفع يده الأخرى المقيدة بيدها يقبلها ويبكى بوجع وألم شديد

تنفست بتوتر وارتجاف منتظرة قراره بينما هو يعض شفتيه وقلبه لا يطاوعه على ما
قرره

اقترب برأسه يميل عليها مقبلا جبينها تاركا شفتيه عليها يتحدث وهما يداعبان
الجبين الناعم:

- والله العظيم بعشقتك ... أبدا ما أرضالك الذل ... إنتى ... إنتى طالق

قالها وروحه تنزف ألما يبكى بعنف وشهقاته تعلو بينما حالها لا يقل عنه فما إن
نطفها حتى انفجرت شلالات من دموعها

ظلت شفتيه محتضنة جبينها قبل أن يبتعد متمعنا النظر بوجهها لآخر مرة يحفظ كل
تفصيلة بها ليعيش عليها البقية من حياته والتي ستنتهى قريبا فبعدها يستنزف كل
شيء لديه حتى أيامه

نهض بضعف ساقيه يرتعشان كالعجوز يتحرك ببطئ للخارج شاحب الوجه وجسده
كالموتى تماما

تطلعت لأثره واضعة يديها على شفتيها تمنع صرخاتها من الخروج ليركض تميم
ناحياتها يحتضنها دامعا على حال أخته الصغيرة ومياسين تعصر عينيها بكاءا على
حال صديقتها

خمسة شهور مرت كلحظة خاطفة على البعض وكسنيين ألم وعذاب على البعض الآخر

يتحرك يمينا ويسارا بنفاذ صبر وغضب عارم لتحاول سديم التهوين عليه مبتسمة
برجاء:

- معلش يا تميم هي زمانها جاية

التفت لها بعنف وحدة مجيبا بصراخ:

- بقالك ساعة عمالة تقوليلي جاية جاية ... يعنى الهانم بتستغل أجازتى انهاردة
وتخرج ... ماشى أنا رايحلها بقى

أنهى جملته يعدل ملابسه متجها للخارج لترفض سديم قافزة كالأرنب تضرب جبينها
بيأس من أفعال أخيها ومياسين فهما كالقط والفأر:

- يا حبيبى بلاش هتخرجها هناك وتكبر الموضوع

أنهى ارتدائه للحذاء ليفتح الباب مضيقا عينيه لأخته بوعيد قبل أن يغلق الباب
بوجهها

زفرت بيأس وتهذلت أكتافها سرعان ما حركتهما ببساطة فقد فعلت كل ما بوسعها
وهما عنيدان كالبعال

فليجنى كل منهما أفعال عناده ... ما دخلها

اتجهت للأريكة تجلس عليها مربعة قدميها تعاود مشاهدة التلفاز تأكل المقرمشات

تشاهد فيلما رومانسيا باندماج تام حتى جاء بأفكارها

أمسكت هاتفها بتردد وبطئ تخط بيدها كلمة سر هاتفها (أعشقك ساجد)

ابتلعت غصتها وهاتفها يفتح بعدما كتبت تلك الجملة المسببة ألمها دائما لتتجه
لمعرض الصور خاصة الملف الخاص به وحده يحتوى على آلاف الصور البعض
التقطتها له والبعض الآخر تجمعها من التلفاز والصفح فحبيبها قد زادت شهرته أكثر
وأكثر

يتقدم بحياته بينما حياتها تتوقف كليا عليه هو

كانت تتمعن بصورته تتحسس وجهه تتمنى لو تستشعر بشرته القاسية بدلا من زجاج
الهاتف الصلب

جفلت ما إن ارتفع رنين هاتفها لتزفر بحزن من اسم المتصل فأجابت بلا روح:
- أيوة يا معتز

- إزيك يا حبيبتي

قالها معتز بابتسامة لتجيب متوترة:

- الحمد لله

ضغط شفتيه ببعضهما بأسف ليردف متنهدا:

- اتصلت أعرفك إني لقيت محل كويس نختر منه العفش

ابتلعت غصتها ألما مهمة له:

- تمام ساعتين كدة ونروح

- تمام

أغلقت الهاتف ليتطلع له بحزن بينما سديم تضغط على هاتفها كمن تريد كسره ...
تشعر بالتخبط وأن كل شيء بحياته خطأ

حديث رسمي بينهما ينافي تماما علاقتهما كرجل وامرأته التي قاربت أن تكون زوجة
له!

صرخت بألم بعدما صفعها بعنف صارخا بها:

- إنتى غبية يا بت ... مش قلتلك متحطيش ملح زيادة الدكتور مانعنى منه ... عايزة
تموتينى

دمعت عيناها متطلعة إليه بكره تضع يده على وجنتها محل صفعته لتصرخ هى
الأخرى:

- انشالله معنك ما طفحت مش عاجبك سيبه مش هطفح أنا أكل عاذب عشان البيه
صحته على قده

كز قصى أسنانه وكاد ينقض ضربا عليها لكن ما منعه بطنها المنتفخة فتذكر ابنه

خاف أن يتأذى ليباعد عنها محاولا الهدوء يتجه للخارج ليجلس على المقهى مع
أصدقائه

نظرت نيرة لأثره ببغض تبصق مكان أثره وتعود لتناول الطعام بلا مبالاة فقد اعتادت
ما حدث

يراقب حركتها البطيئة إثر بطنها المنتفخة بشدة صامتا ساكنا حتى قرر النهوض
يمسك يدها

التفتت له بابتسامة متعجبة ليتنهد متحدثا بحزن:

- مالك يا رحمة ... بقالك شهور متغيرة ... بقيتي بتسرحى كثير ... مبتضحكىش زى
الأول ... مبتقديش فى حضنى وتحكىلى يومك ... إيه اللى حصلك

بللت شفيتها حزينة لحزنه لكن ليس بيدها فماضيها يطاردها وشعورها بالذنب لإخفائه
يقتلها

ارتمت بأحضانها تستنشق رائحته بعمق متحدثه ببعض الاختناق:

- معلش يا حبيبى بس إنت عارف الحمل بقى تاعبنى ومغير مودى

ربت بيده على رأسها يتلمس شعرها متنهدا بأمل:

- ياريت يكون كدة فعلا يا رحمة

اشتدت على احتضانه مع ترك مسافة بسيطة لبطنها المنتفخة وأغمضت عينيها
تستكين بأحضانه محاولة ترك الماضي ولو لدقائق

انفجر العجوز ضحكا على تلك البلهاء يتحدث بمرح:

- يا بنتى عيب تخلىنى بالشكل ده فى سنّى ... موظفينى سمعو ضحكى من هنا

ابتسمت الفتاة باتساع وعينيها متسعة طبيعيا مجيبة بسعادة:

- وده شيء كويس جدا يا عمو أبو شادى ... ده معناه إنى أستحق الوظيفة

ضحك العجوز مرة أخرى واضعا يده على فمه يتحدث دامعا من كثرة الضحك:

- طب إزاي يا مياسين يعنى أعمل كدة

اعتدلت مياسين بجلستها كسيدة أعمال تنافى تماما البلهاء منذ قليل تتحدث بعقلانية
ورزانة:

- بص يا عمو ... أنا لازم أشتغل وإنت أولى من الغريب ... أولى ليه؟ اسألنى ليه!

انتهت عبارتها بضيق ليتحدث العجوز مجاريا إياها بالحديث:

- ليه؟

ابتسمت له فالعجوز يتعلم بسرعة:

- عشان أنا متعوضش وأى شركة تتمنانى وعيب يبقى إنت موجود يا عمو وأروح أفيد غيرك ... وطبعا بما إنك قلتلى مفيش وظائف فاضية يبقى إيه؟

- إيه؟

ابتسمت باتساع باعثة له قبلة بالهواء مجيبة بفخر:

- شطور يا عمو ... يبقى لازم تطرد حد من عندك ... طب هنطرد مين؟

- مين؟

اتسعت ابتسامتها أكثر مجيبة بثقة تشير لأصابعها:

- تميم ... أولا لإنها على نفس الوزن بص كدة ... نطرد مين تميم ... حلوة صح؟
وثانيا لأنى طيوبة مرضاش أقطع رزق حد فتميم مننا وعلينا يبقى هو ينطرد وأنا هتكفل بمصاريفه

- وانا هطلع مصارينك

جفلت منتفضة من مكانها تقف مرتجفة كالعصفور أمام ذلك الثائر الذى اقتحم مكتب
العجوز بغضب ليكمل حديثه:

- إيه؟ بتقدمى على وظائف من غير إذننى وكمان عايزة تطردينى عشان الهانم تشتغل

نفت برأسها مسرعة بخوف شديد تشير للعجوز باتهام بإصبعها المرتجف:

- هو اللى قالى عايز يشغلنى وأنا قتلته مينفعش بس هو أصر

رفع الرجلان حاجبيهما باستنكار ليومئ لها تميم متوعدا قبل أن يلتفت للعجوز:
- معش يا عمى أز عجنأك

أجاب العجوز ضاحكا بفرحة:
- لا والله دى حتى دمها خفيف ابقى خليها تيجى دايمًا

- تشكر يا حجوج

قالتها مياسين تربت بباطن يدها على صدرها بفخر ليمسك تميم يدها بغضب وغيره
من كلمات الرجل وهو يجذبها للخارج بينما هى تسير خلفه مبتلعة ريقها بخوف
فالليلة ستشهد على نهايتها

يتطلع للطاولة بحسرة كعاداته ... يتناول طعامه وحيدا لكن طيفها يركض حوله بنشاط
... يتخيلها تجلب هذا وذاك ... يتخيلها تبتسم له بحب وعشق ... يتخيلها تقترب منه
مقبلة وجنته بخجل ... يتخيلها تبلل شفثيها قبل أن تطلب منه أمرا

يتخيل كل شيء يخصها وكأنها معه ... لكن حتى طيفها لا يعوض مكانها

ألقى الملعقة بالطبق بعنف يستند برأسه على يديه المستندتين على الطاولة

أغمض عينيه اللامعة لتسقط دمعة مشتاقة لمعشوقتها

تنهد ساجد مزيجا الأطباق بعيدا عنه فلا رغبة له بتناول الطعام كعادة كل يوم

اتجه للأريكة يجلس عليها مغمض العينين يفكر بها ... سديم معشوقته تركته

لم تكف بذلك فقط بل خطبت لغيره

وعند تلك النقطة ضرب بيده الطاولة أمامه ليتكسر زجاجها

ستكون لغيره ... تكتب على اسم غريمه

ما إن انتهت عدتها حتى أعلنت خطبتها

كلما فكر بالذهاب إليها ينتشلها من كل من حولها ليأخذها له فقط يعيدها إليه حتى
تأتى أمامه عينيها ومدى الكسرة التى كانت بها ليتراجع فورا

لكن متى سيظل يتراجع ... أو الأحق متى سيموت ليرتاح من تلك الحياة التى لا حياة
بها!

يا لقساوة قلبك سديم ... جرحتك بانتقامى فأمتينى بقرارك

أنهى مكالمته المختصرة جدا معها ليعود يجلس على الطاولة منتظرا الطعام

كان شاردا بعلاقته مع سديم فبعدها علم طلاقها اخذها فرصة لتجربة حظه والتقدم
للزواج منها

توقع الرفض لكن صدمته بموافقتها ليسعد بذلك الخبر وكم سعد أكثر عندما وافقت
باتمام الزواج بأسرع وقت

أفاق على تلك التى تضع الأطباق أمامه بهدوء وصغيره يراقبها بابتسامة

تقابلت عيناها معا ليبتسما لبعضهما سرعان ما عادت للمطبخ مرة أخرى تأتى ببقية
الأطباق

لطالما أخبرها أنها ليست مجبرة على ذلك لكن كانت إجابتها حبها لمساعدة الخادومات

كم هى لطيفة!

أنهت من وضع الأطباق ليتحدث كالعادة رافعا حاجبيه بمرح:

- مش هقولك طبعا اتفضلى اقعدى تاكلى عشان المفروض تكونى اتعودتى

أومات له ضاحكة وهى تجلس بجانب الصغير الذى يتناول طعامه بجوع

راقب يدها التى تداعب شعر خالد الصغير قبل أن تبدأ بتناول طعامها بخجل

حرك رأسه يائسا فقد مرت خمسة شهور على وجدها معهم ومازالت خجولة

ابتسم بحنان ممسكا ملعقته يتناول إفطاره لينهى أعماله سريعا

دفعها لداخل المنزل بعنف غاضبا من تصرفها الأبله:

- بقى بتروحي الشركة رغم إنى حذرتك

قالها تميم بغضب لتزفر مياسين عاقدة يديها دون حديث

نهضت سديم من مجلسها تتجه ناحيتها لتربت على كتف صديقتها مستعطفة أخاها:

- خلاص بقى يا تميم معلش غلطة ومش هتكرر

التفتت مياسين تتطلع لها بحدة قبل أن تشيح بوجهها صائحة:

- أنا مغلطش أنا عايزة أشتغل فيها إيه دى

قبض على يده بغیظ من تصرفاتها ليتحدث بضيق:

- لما أبقي مش عارف أصرف عليكم ابقى اشتغلى يا مايصين

جحظت عيناها وقد أشعل فتيل غضبها لتقترب منه بشدة ضاربة منتصف صدره

بإصبعها تضيق عينيها:

- اسمى مياسين ... وإنت ليه تصرف عليا أساسا بصفتك مين ... سيبنى فى حالى

تناسى كل شيء حوله ليقع صريعا للمعة عينيها شاردا بهما

بدأت قواها تخور هي الأخرى وهي تتطلع له لتسقط يدها بجانبها ببطئ

لاحظت سديم شرودهما فحمحت مزعجة إياهم

جفلت مبتعدة عنه تتحرك بتعثر حتى وقفت بجانب شقيقته

بينما هو أشاح بنظره بعيدا مرتبكا ... رأت سديم حالتها لتأتى فكرة شيطانية ببالتها
عزمت على تنفيذها وقد كان:

- تميم ... مياسين قالتلى إنها موافقة على طارق

جحظت عينا تميم ونظر لمياسين التى تلعن صديقتهما داخلها

كانت نظراته مرعبة حارقة لتنفى مياسين برأسها زامة شفيتها كمن ستبكي

لحظة واحدة وكان يركض ناحيتهما ليسرعان صارخين للغرفة مغلقين الباب وراءهم
وصوته يخترق الجدران:

- قسما بربى تبقى توافقى على العريس يا مياالزفت وشوفى هعمل فيكى إيه

أنهى عبارته متجها لغرفته ونيران الغضب والغيرة تأكله من الداخل

بينما بالغرفة الأخرى الفتاتان يتنفسان براحة بعد إثارة رعبهما لتلكم مياسين الأخرى
غاضبة:

- إيه اللى قولتيه ده حد قالك إنى وافقت على طارق

نفت سديم بضيق تملس على كتفها محل ضربتها مجيبة:

- الله الحق عليا ... عشان تصدقيني لما أقولك إنه بيحبك وبيغير عليكى

ابتلعت مياسين غصتها بحزن تبلل شفتيها واتجهت للفراش تجيب بتنهيده:

- مش بيحبنى هو بس بيحس بالمسئولية ناحيتى

ضربت سديم جبينها حانقة من أفعال صديقتها قبل أن تتجه لها مسرعة مجيبة بخبث:

- ملكيش دعوة أنا هثبتك إنه بيحبك بس تسمعى كلامى وتنفضيه

عضت شفتها السفلة بتردد وتفكير قبل أن تبتسم مومنة لصديقتها التى بدأت تقص
خطتها اللعينة ... ستنهيها بالتأكيد!

- ههههه شايفاك بتغيب كثير عن الشغل

قالتها رحمة لزوجها الحنون الذى يراقصها على أنغام قلوبيهما يحركها بين يديه بخفة
وقد فرح كثيرا أنه أخرجها من حزنها

قبل جبينها بحب مجيبا:

- فى داهية الشغل المهم إنتى

وقفت على أطراف أصابعها وقبلت وجنته محتضنة إياه مغمضة عينيها بأحضانها
الدافئة ليبتسم فرحا يدعو أن تظل سعيدة دوما

كان بغرفته يسير ذهابا وإيابا غاضبا بشدة حتى سمع طرقات الباب ليفتحه بعنف

تراجعت مياسين للخلف مبتلعة ريقها تحاول ضبط معالم وجهها كما أخبرتها سديم
لتبدأ حديثها مصطنعة الحزن الشديد:
- تميم أنا فعلا وافقت على طارق وعازاه

ثانية واحدة وكان يضرب الحائط بجانبها متنفسا بغضب يصيح بوجهها:
- عاايزة ميين؟

ابتلعت ريقها لكن لا خيار للهروب فلتكمل خطتهما

استطاعت بجدارة تجميع الدموع بعينيها تضع يديها على وجهها باكية بشدة:
- تم...يم أنا بحبه

توقف الزمن والعالم حوله ... توقف كل شيء ... حتى نبضات قلبه

احمر وجهه اختناقا ليتحدث بأنفاس متوترة:

- إيه؟

- بحبه

قالتها بارتجاف حقيقى تلك المرة فكم كان صعب عليها التفوه بتلك الكلمة لشخص غيره حتى ولو بالكذب

حاول ضبط أنفاسه وضربات قلبه مظهرا التماسك:

- وإننى تعرفيه منين عشان تحبيه؟

توترت قليلا قبل أن تجيب مستعطفة إياه:

- كنت براقبه أيام الجامعة و...حببته

أوما برأسه عدة مرات تكاد أسنانه تتحطم من فرط الضغط ليزفر عنيقا متحدثا باختناق شديد:

- لو ده قرارك ... فأنا موافق ... هتصل بيه

الآن فقط ضربتها الصاعقة ليرتجف جسدها وقد تحول بكأوها المصطنع لحقيقة مؤلمة

تنظر له بخذلان قبل أن تركض لغرفتها بينما هو يتطلع لأثرها بحزن وقد سقطت دموعه

لا يعلم ماذا يريد ... ليته يعلم لكان عرف سبب تصرفاته واتخذ قراره

لكن لا يستطيع الوصول لمراده الذى لا يعلم ما هو حتى

- إنت خارج

تساءلت شريفة بخجل عندما وجدته يهبط الدرج مرتديا ملابسه المنمقة رغم أنه
أخبرها بعدم ذهابه للعمل اليوم

فتغلب فضولها عليه لتسأله مباشرة

ابتسم لها مجيبا وقد توقف عن السير:

- أيوة هنختار الباقي من العفش أنا وسديم

توترت ملامحها لتبتسم له مرتبكة وأومات بخفوت

ظلا ساكنين لفترة قبل أن تتركه متجهة لأعلى لتجلس مع الصغير دون أى حديث آخر
مع الكبير خلفها

تطلع لأثرها بابتسامة قبل أن يخرج من القصر يهاتف تميم يعلمه بخروجه مع أخته

صعد للطابق العلوى متجها لغرفتهما سابقا بخطوات ضعيفة كالعجوز

دلف للغرفة بهدوء تام يتطلع لكل ركن بها متحسرا

أصبح وحيدا ... لم تعد معه ... تركته دون شفقة على حاله حتى

تنهد رافعا رأسه يغمض عينيه بألم

سقطت دموعه مرة أخرى

الشيء الوحيد الذى لازمه طوال تلك الشهور العصبية هى دموعه الغزيرة

نظر للفرش بحب ... ليتجه نحوه متخيلا حاله يتجه نحوها

ألقى رأسه على الوسادة الخاصة بسديمه كأنما يجلس على قدميها

تعود أن يأتى من العمل متعبا لينام بأحضانها مستكينا كالطفل الصغير

شعر باختناق شديد لينهض مسرعا للخارج ... حتى ذكرياتها لا تداوى جراحه بل
تزيدها عمقا

متى تلتئم فيستطيع الحياة؟!!

هبط مرة أخرى لأسفل فلاحظ الطاولة المحطمة

زفر عنيفا يضع يده على خصره والأخرى يزيح بها شعره للخلف

حسنا فلتأخذ الأمور بإيجابية ساجد

لعل الطاولة تحطمت لتخرج من المنزل تبتاع غيرها ... من يعلم قد تجد الراحة بالخارج

أخذ مفاتيحه والتقط هاتفه يفتحه بابتسامة حانية لتقابله صورتها الضاحكة

قرب الشاشة من شفتيه يقبل صورتها الجميلة مبتسما بحب قبل أن يضع أشياءه بجيبه متجها للخارج

أنهت سديم ارتداء ملابسها والحزن باد عليها لتذهب لتلك الممددة على الفراش تزفر كل دقيقة بحزن وملل هي الأخرى

قبلت سديم جبينها تربت على كتفها متحدثه:

- متقلقيش خلينا نكمل الخطة للآخر بلاش نتراجع

أومات مياسين لها قبل أن تعتدل بجلستها مردفة بنبرة ذات مغزى:

- التراجع معايا وحش لكن أحيانا مع ناس تانية بيكون كويس

ابتلعت غصتها بصعوبة مجيبة بحزن شديد:

- أنا اخترت اللى بحبه وجرحنى ... خلينى أختار اللى بيحبنى مرة يمكن يداوينى

ابتسمت مياسين لها بأسف لتبادلها صديقتها إياها متجهة للخارج مردفة:

- اقللى على نفسك كويس تميم رايح مشوار وأنا ساعتين كدة وهاجى وبعد اللى حصل انهاردة متستنيش تميم ييجى يوصيكى كالمعتاد

تنهدت مياسين مجيبة وهى تلقى جسدها على الفراش:

- ماشى

كان يبحث عن طاولة مناسبة لمنزله بدلا من التى كسرهما انتقاما لكسرة قلبه حتى
توقف بصدمة يرى أبشع مشهد أمامه

زوجته السابقة ومعشوقته طوال حياته مع غريمه تختار ما تضع بمنزلها

تحتفل هى بزواجها القادم بينما هو يقف كالمصعوق لا يستطيع حتى أن يلحق جرحه
النازف

ابتلع غصته يراقبهم بحزن ودموع متألئة بعينيه

قلبه يخبره بافتحام خلوتهم وتدمير سعادتهم وعقله الغبى يحثه على التراجع وجعلها
تحيا حتى ولو على حساب حياته هي

تنهد والحيرة والألم يرتسمان على وجهه

كانت سديم تنظر حولها لتختار طاولة مناسبة حتى أعجبت بواحدة لتشير للموظف
عليها

أنهيا اختيار كل شيء ليلتفتوا للخروج لكن كانت الصدمة الكبرى

أمامها ... يقف أمامها يتطلع لها بأسف وخذلان ... ابتلعت ريقها بتوتر وتعثر طريق
أنفاسها داخل رئتيها لشدة ضربات قلبها

ألم كبير داخلها ... ألم ظنت أنه زال ... لكن الآن تأكدت أنه مازال

لم تستطع النظر له أكثر لتركض مسرعة لخارج المحل

أغمض ساجد عينيه لتسقط دموعه سرعان ما فتحهما يتطلع لمعتز الواقف صامت
بحقد شديد

هو السبب بكل شيء ... لو لم يكن موجودا لظلت وحيدة مثله

لا يعلم لما شعر بقلبه يتحطم لرؤية ساجد بذلك الوضع ... كان مدمرا تماما وآثار
الحزن بادية

تنهد معتز يتحرك للخارج يتبع تلك التى هربت من المواجهة

ضحك ساجد بسخرية ينظر لأثرهما ... وهل هناك شيء بحياته سوى آثار يتتبعها

أفاق من حزنه على حديث الموظف:

- أنهى ترابيزة عجبت حضرتك يا فندم

أزال دموعه فورا ملتفتا للرجل يشير لنفس الطاولة التى أشارت معشوقته لها:

- عايز دى

نظر الرجل لمكان إشارته بأسف مجيبا:

- للأسف دى آخر قطعة وعميلة حجزتها من شوية ... بس ممكن حضرتك تاخذها
ونعملها واحدة جديدة

ابتسم بحسرة فكل شيء يخصها أصبح محجوزا لا حق له حتى بتلمسها

تنهد متحدثا بجمود يخفى به الدمار الشامل داخله:

- لا خلاص ... أنا مش مستعجل ابقى اعملى واحدة جديدة

أنهى حديثه وخرج من المحل فورا

ترك قلبه لها دون نزاع ... فهل يصارع الآن على طاولة لعينة؟!

جلست بالسيارة تشهق باكية ... لما رآته؟ ... لما يصر القدر على اقحامه بحياتها؟

مهما حاولت نسيانه تأتي ذاكرة تسحق محاولاتها

وليت الآن كان ذاكرة ... بل رآته بنفسه

لما الآن؟

ابتسمت بسخرية على سؤالها الأبله الذى يقال عن إنجاز شيء هام فيأتى ما قد يدمره

لكن أنتِ سديم ... هل استطعتى تحقيق ما تريدينه؟! ... هل حقا نسيته؟!

أم تظاهرتى بتناسيه

ما أن رأت معتز قادم حتى أزالتم دموعها محاولة التماسك

ركب سيارته ويعلم جيدا أنها كانت تبكى ... فوجهها أحمر كعينها تماما

فضل الصمت وعدم الحديث فهو شخصا لا يعلم بما يتفوه

كاد يتحرك بالسيارة حتى توقف صدمة إثر حديثها الجامد:
- إيه رأيك فى الفرع بكرة

جحظت عيناه ليتحدث عاقدا حاجبيه ذاهلا:
- إيه؟

تنهدت متنفسة بتوتر قبل أن تتحدث مختنقة:
- بكرة يكون الفرع

- بتهزرى صح؟

تساءل غير مصدقا لكن نظرتها الجدية جعلته يعلم أن حديثها خال من المزاح تماما:

- مش صعب عليك تجهز كل حاجة بكرة

فتح شففيه للحديث لكن صدمته قد أزالته أى حرف قد يتفوه به لتكمل هى الحديث
بجدية:

- لو مش هتعرف تعمل الفرع بكرة ... يبقى كل واحد يشوف حاله

- نعم!

قالها باستهجان وتعجب من حديثها الغريب بعد لقائها بساجد

ظل يتنفس عدة مرات معقود الحاجبين يفكر بعمق حتى أجاب:

- ماشى ... وأخوى

- أنا هتصرف جهاز إنت كل حاجة بكرة

أوما لها لتعقد حاجبيها مغمضة عينيها تميل على المقعد مسندة ظهرها عليه ملقية كل
آلامها وحمولها خلف ظهرها

لا تعلم هل اتخذت الصواب لكن ما تعلمه أنها تريد أن تحيا بسعادة دون أن يعكر
مزاجها

ولو بقت دقيقة واحدة تفكر لركضت لساجد كالبلهاء كما بالماضى طالبة العودة

فلتسرع بزواجها وتسرع باقتلاع ألمها

- ها يا قلبى خلصتى لبس

قالها صلاح لتلتفت له زوجته مبتسمة تجيب بسعادة:

- أيوة خلصت ... فكرة حلوة نصلى انهاردة فى المسجد

أوما لها وداخله يتمنى لو ينجح تلك المرة

آخر فرصة له لاستعادة رحمة القديمة

حاول معها بالكلام والحب والحنان استعادتها فلم ينجح

فتذكر ربه ... القادر على كل شيء ... متيقن أن الله سيعيدها كما كانت

- نيرة فين الجاكت بتاعى

تناولت من البرتقال بيدها تجيب منشغلة بمشاهدة التلفاز:

- فى الغسالة

صدم من حديثها ثوان قبل أن يصرخ بها:

- يا شيخه اعملى حاجة عدلة فى حياتك بقى مش معرفك إنى خارج انهاردة

زفرت بملل تضع الطبق بعنف على الطاولة أمامها:

- أعملك إيه الحمل تاعبنى

عض شفته غيظا يتمنى لو يسحقها تحت قدميه لكن ليس باليد حيلة

خرج من المنزل صافعا الباب خلفه يسير بالبرد القارص بملابس خفيفة فلهيب
الاحتراق داخله قد أدفأه

- بجد يا بابا

- أيوة يا حبيب بابا

حديث بسيط بين معتز وابنه الذى سعد أن زفاف والده غدا

ركض خالد للأعلى يجهز بدلتة التى اشتراها منذ شهر ما إن خطب والده سديم من
فرط الفرح

نظر معتز لأثره بابتسامة حزينة ... ابنه سعيد بينما هو متردد

لا يعلم ... يشعر أنه مخطئ ... يشعر بالتردد والحزن داخله

أين السعادة التى توقعها

كانت هناك من تراقبه بعيدا بصمت وحزن على حالها

ما إن بدأ قلبها يدق له حتى ضاع كل شيء

تعجبت من الحزن البادى على وجهه لتتجه ناحيته تجلس أمامه مبتسمة

انتبه لها ليبادلها الابتسامة مردفا:

- طبعا إنتى من أول المعزومين

تنهدت بملامح جامدة يتخللها الحزن حتى أضافت متعجبة:

- مالك مش مبسوط ليه مش هتتجوز اللى ... بتحبها

أغمض عينيه بل اعتصرهما يجيب بتنهيدة واختناق لذلك الثقل فوق قلبه:

- ينفع أفضفض معاكى

أومات له مبتسمة بسعادة ففد لجأ لها وستكون خير عون له!

- إنتى بتهزرى يا سديم جواز إيه اللى بكرة

صرخ بها تميم لتهبط دموع أخته فلا ينقصها إياه يكفى الصراع داخلها

هبطت على ركبتها أمام الجالس بغضب ترجوه قائلة:

- تميم وغلاوتى عندك وافق والله العظيم هموت لو مش وافقت بالله عليك

ضحك غير مصدقا حديثها ينظر حوله بجنون حتى صرخ حانقا أفعال الفتاتين فسيجن
منهما بالتاكيد:

- اعملى اللى تعمليه ... المهم يصونك

أنهى عبارته متنهذا لتنهض محتضنة إياه ضاحكة عليه

سكن ثوان قبل أن يبادلها الاحتضان مربتا على ظهرها لكن داخله غير مطمئن أبدا
لقرارها المتهور الذى لا يعلم ما سببه

وسط كل ذلك الصمت ظهر صوتها الأبله متممة باحتجاج:

- وأنا هتجوز إمتى؟

دفع أخته بعيدا عنه ناهضا بعنف حتى وقف أمامها يرمقها بظلام داكن

ابتلعت ريقها خوفا من قرب المهلك ونظرته القاتلة حتى انكمش وجهها وقاربت أن
تبكى

حرك بؤبؤى عينيه تجاه الغرفة لتركض ناحيتها مسرعة كالطفلة التى هربت من
عقابها

ما إن أغلقت الباب حتى أتاها صوته الغاضب:

- على جتتى تتجوزى

صمتت باستكانة ليس احتراما له بل خوفا منه

التفت تميم لأخته متحدثا:

- هحاول أظبط حاجاتك ونجهز كل حاجة وكويس إن الفرحة فى الجنينة هنا

أومات له بصمت لكن داخلها تريد الحديث

لاحظ احمرار وجهها ليبتسم بحنان ملقيا جسده على المقعد

تطلع لها مبتسما وتنهد مردفا:

- اتفضلى يا هانم قولى اللى فى نفسك بدل ما تنفجرى

ابتسمت له تجلس بجانبه تزفر عدة مرات تطرد حزنها وتفكيرها بنفسها فلتتفرغ قليلا
لهذين المسكينين

أمسكت يده بحنان متحدثة بنبرة ذات مغزى:

- لامتى هتتكر؟

عقد حاجبيه متعجبا حديثها المبهم:

- أنكر إيه؟!!

رفعت حاجبها تستكمل حديثها:

- تنكر إنك بتحب ميا

انتفض كمن لدغته أفعى متحدثا بارتباك شديد:

- بتهزرى دى أخ...

نهضت هي الأخرى متحدثة بحدة:

- لا مش أختك ... وانت عارف كدة ... يا إما تجوزها لحد بيحبها زى طارق

- اخرسى

صرخ بها غير متحملا حديثها لتنهض تربت على كتفه متحدثة بحزن:

- متضيعش نفسك يا تميم اقعد انهاردة فكر كويس فى تصرفاتك ... بدل ما تتهرب منها واجهها ... اسأل قلبك ليه مولع دلوقتي لمجرد الكلام إنها تكون لغيرك ... بدل ما تهرب من مشاعرك اعترف بيها عشان متتعيش

أنهت حديثها تاركة إياه تتجه لغرفتها

قبل أن تفتح الباب التفت برأسها له مبتسمة بخبث:

- وبرضو ما تهربش منها عشان إنت عارف كويس إنها بتحبك بس إنت اللى مش قادر تتقبل ولا مشاعرها ولا مشاعرك

دلفت الغرفة تاركة إياه متيبسا محله يفكر بكلماتها واختنق داخلها يفكر جيدا بكل حرف ألقته عليه وتركته بتلك البعثرة والفوضى وحده يواجه كل شيء بمفرده

أنهت صلاتها واتصلت بزوجها تخبره أنها ستتأخر قليلا

تجلس على السجاد الطاهر تبكى وتشهق بانهايار تام
تتذكر كل سيئة ارتكبتها ... تتذكر كل خطأ وقعت به

صوت نحيبها يعلو داخل المسجد الفارغ من النساء عداها هي وتلك العجوز التي
لاحظتها

اقتربت السيدة منها حتى جلست أمامها متسائلة بحنان:
- مالك يا بنتى ... اتكلمى يمكن ترتاحى

رفعت رحمة وجهها تنظر للعجوز ذات الوجه البشوش لتزعم شفيتها تعود للبكاء مرة
أخرى

ربت السيدة على يدها وحركت رأسها تشجعها

شهقت بخفوت تحاول منع بكائها تتحدث مختنقة:
- أنا ... أنا ليا ماضى مش كويس و ... مخبية عن جوزى ... وحاسة إنى بخدعه
ومش عارفة أعيش

أنهت عبارتها تعود لنحيبها تعصر عينيها بيديها المرتجفة

ابتسمت السيدة بطيبة لها تزيل يديها متحدثة:
- مفيش حاجة اسمها أنا خبيت عنه ... فى حاجة اسمها ربنا سترنى

عقدت رحمة حاجبيها متعجبة وقد أشغلها حديث السيدة عن البكاء لتستكمل العجوز حديثها:

- ربنا كتبلك الستر يا حبيبتي ... ربنا عارف إنك ندمانة فعفا عنك وأمرلك بالستر ... يبقى منفضحش نفسنا بإيدينا

ابتلعت غصتها متحدثة بارتعاش:

- بس كدة أنا بخدعه

نفت السيدة برأسها مجيبة:

- اللى بتقولى عليه خداع ... ده مش خداع ... لأن الخداع فيه ظلم ... وربنا ميرضاش بالظلم ... وطالما سترك قدام جوزك ... يبقى إنتى مظلمتيش جوزك ... أو خلينا نقول ربنا إداكم إنتو الاتنين فرصة تبدأوا حياتكم بدون شوائب الماضى ... يبقى مينفعش نعترض على ستر ربنا ونفضح نفسنا

رمشت رحمة عدة مرات مجيبة بعدم تصديق:

- بجد ... يعنى انا مش بخدعه

ابتسمت العجوز بحب وحنان نافية:

- لا طبعا مش بتخدعيه ... عارفة امتى تكونى بتخدعيه ... لما ربنا يكون كاشفك قدام عباده كله ما عدا هو ... وتيجى إنتى تخبى عنه وتزيفى الحقائق ... لكن ربنا أراد الماضى يتدفن ... يبقى إنك تخبى ده مش خداع ... ده رضا بأمر ربنا بالستر ولازم نحمد ربنا عليه مش نفضل خايفين ونوقف حياتنا ... لازم تنسى الماضى عشان مياثرش عليكى ... المعصية كانت بينك وبين ربك ... والمغفرة بينك وبين ربك ... والندم بينك وبين ربك ... متدخليش العباد بينكم ... المهم تكونى توبتى وعرفتى غلطك

أومأت بلهفة شديدة:
- أيوة والله توبت وندمانة

- يبقى نعيش حياتنا يا بنتى

ضحكت رحمة بفرحة عارمة وقد أتى الفرج أخيرا بكلمات السيدة الطيبة فأشرق
وجهها بعدما كان شاحبا

أمسك يد العجوز وقبلها متحدثة بحب:
- تسلميلى يا أمى

ربت السيدة على رأس الفتاة مبتسمة لها تتحدث معها ببعض أمور الدين ورحمة
تستمع إليها بإنصات تام لكل كلمة تخرج من فيها

- عايز الحقيقة؟

تساءلت شريفة فأوماً معتر لها بلهفة لتبدأ حديثها:
- إنت مش حبيتها

عقد حاجبيه مستنكرا حديثها فأكملت بعقلانية:

- إنت بس متعود عليها وشايل جميل جدها فوق راسك فكل فعل بتعملوا عشان خاطر
الجميل ده بتفسره على إنه حب ... إنت لو بتحبها كنت حاربت عشانها واستنيتها

تكبر تتجوزها ... مش تستسلم لقرار والدك إنك تتجوز مراتك الله يرحمها علطول ...
عارف لما قلتلى من مدة إنك اتخطفت وحكىتلى اللى حصل ... استغربت جدا ... إزاي
تكون بتحبها وتسببها فى المستشفى وتيجى على هنا ... أيوة ابنك حبه مفيش حاجة
تزيد عليه بس ... ابنك كان فى أمان وهى فى خطر ... على الأقل كنت تروح تظمن
عليها بعد ما شوفت ابنك ... لكن إنت اطمنت على ابنك وريحت جسمك ونسيتها تماما
... برأيك دى أفعال واحد بيحب

قبض على يده بغضب فحديثها لم يعجبه البتة ليصمت لدقائق قبل أن يرفع نظره
يتحدث بقسوة دون مراعاة مشاعرها:

- وطالما حضرتك بتفهى قوى فى القلوب موصلتيش لقلب طليقتك ليه اللى اتخلى
عنك بسهولة

صعقت من حديثه واتسعت عيناها صدمة لما تفوه به
تلاأت عيناها بالدموع ... لأول مرة يجرحها ... لأول مرة تشعر بالذل والمهانة منه
هو

هبطت دموعها لتلين ملامحه يلعن نفسه داخله على حديثه الغبي
رفع يده يرجع خصلاته للخلف بتوتر :
- آسف والله مش قصدى أنا ...

لم يكمل حديثه إثر نهوضها راكضة لأعلى محطمة القلب والروح

تطلع لأثرها بحزن يضرب قدمه بقبضة يده غضبا لا عا نفسه:
- جرحتها يا غبى

أترون تلك الفوضى العارمة

يقف بمنتصف كل ما هو مكسر وهو الكاسر

أليس من حقه أن يكسر يوما بدلا من أن يُكسر

لا يصدق أن زفافها غدا ... لا يصدق أنها ستكتب على اسم غيره

عيناه حمراء كالدماء روحه تنزف ألما

كل شيء حوله محطم ككيانه

ينظر للمنزل حوله قبل أن ينهار ساقطا على ركبتيه

ينظر بشرود أمامه وغامت عيناه بالدموع قبل أن يشهق مناديا إياها بلوعة:

- سديم

متمددة على الفراش تحاول النوم استعدادا لزفافها غدا

عفوا لنقل ليوم مماتها ... انتفخت عيناها من كثرة البكاء وقد شعرت الآن بمدى
تهورها بذلك القرار ... لكن لا حق لها بالتراجع ... ليتها ما تسرعت ... لا تستطيع
التخيل أنها ستُملك لغيره ... لا تتخيل أحد يمسك يدها غيره

لا تتخيل الحياة مع أحد سواه

ليت الزمان يعود ... لكنت وضعت يدها على فمها تمنعه من حديثه الملعون الذي
دمرها كلياً

شهقت بخفوت تشعر ألم بقلبها ... تشعر به يناديها ... تشعر صوته الضعيف يضرب
أذنها ... أنفاسه الثائرة تضرب وجهها

اعتصرت محل قلبها بيدها الصغيرة تغض عينيها باكية هي الأخرى متممة:

- ساجد

- لو كنت أعرف إنك هترجعي زي الأول وأحسن كنت جبتك هنا من زمان

قالها صلاح بفرحة عارمة ضربات قلبه تعلو مهللة بعودة حبيبته إليه يشكر ربه
داخله الذي لم يخذله يوماً

تبسمت رحمة بوجهه متتهدة:

- الحمد لله ... ارتحت جدا

قبل أن يحرك سيارته اقترب مقبلا جبينها بحب:

- ربنا يريحك كمان وكمان يا حبيبتي

بللت شفتيها وابتسامتها المتسعة لم تزل لتتحدث بخفوت:

- أنا قررت أتجنب

بعدها كانت تتحرك السيارة ببطئ توقفت مرة أخرى صدمة هي الأخرى

فما بالك بعاشقها

التفت لها متسع العينان غير مصدق حديثها

دمعت عيناه وضحكات خافتة فرحة تخرج منه ليتنهد متحدثا:

- بجد

أومات له مبتسمة ليأخذها بأحضانه معتصرا إياها داخل قلبه قبل ذراعيه

ملس على شعرها يستنشقه بعمق مقبلا إياه:

- ربنا يثبتك يا قلبي يارب

ابتعدت بحماس مضيضة بلهفة:

- ولازم نلتزم فى الصلاة والصوم أكثر من كدة ... آه وهنكتر الدعا والاستغفار
وأعمال الخير كتيبيير

عقد حاجبيه متعجبا:

- ماشى بس ليه؟!!

ضيق عينيها تشير له بإصبعها متهمة إياه:

- عشان يا بيه إنت كنت بتحب فيا قبل ما نتجوز وده كان حرام وشيلنا ذنوب لازم
نعوض الذنب ده بالاستغفار ونطلع فلوس لله

ضحك نافيا برأسه بذهول تام وغلبته الفرحة:

- ماشى

اقتربت منه مقبلة وجنته وعادت للجلوس على مقعدها بوداعة تضع يدها على بطنها
تملس بهدوء وقد عادت الراحة والهدوء داخلها تسرى بكل جزء بها

ابتعدت السيارة عن المسجد بينما عينيها تتطلع لبیت الله الذى لا يطرد أحد أبدا ولا
يدخله مهموم إلا ويخرج ومعه الفرج والفرج

سمعت الطرقات الخافتة فأذنت بالدخول بعدما أزالتم دموعها ظنا منها أنه الصغير

دلف معتز مخفضا رأسه بخزى يقترب منها متوترا بشدة ... ما إن رآته حتى انتفضت
واقفة متحدثة بحزن:

- لو سمحت اخرج

ابتلع غصته التى آلمته ما إن استمع لنبرتها الحزينة المحطمة ليرفع رأسه بعيونه
الدامعة:

- أنا آسف ... أنا عمري ما جرحته حد بس صدقيني والله أنا مضغوط وفى فترة صعبة
مش عارف أنا عايز إيه ... سامحيني

شهقت بخفوت ونظرته البريئة جعلتها تنسى كل شيء لكن لن تظهر مسامحتها له
بسهولة حتى لا يتعود جرحها!

أومأت له بصمت ليعقد حاجبيه برجاء فرغما عنها تحدثت:

- مش زعلانة

ابتسم لها وصمت قليلا قبل أن يتحدث متنهدا:

- على فكرة إنتى جميلة أوى وأى حد يتمناكى وصدقينى أكيد هو ندمان دلوقتى ...
يكفى إنك قادرة تحتوى خالد و ... تحتوينى

أنهى حديثه بارتباك بينما هى صدمت من كلمته لتحطم ممثلة الجدية منافية لما
داخلها من مشاعر مبعثرة:

- شكرا

احمر حرجا من كلمتها البسيطة الحاملة لبعض الحدة ليبتلع ريقه

ظل ساكنا مكانه ينظر لكل شيء حتى وقعت عيناه عليها ليجدها تتطلع له بنفاذ صبر
كمن تخبره أن يخرج لتأخذ حريتها

ازداد حرجا فاتجه للخارج مسرعا دون حديث بينما هى تراقبه بضحكة خافتة فقد كان
يشبه ابنه الصغير عندما يرتكب خطأ

جاءت ببالها كلماته الجارحة مرة أخرى لتغمض عينيها محاولة نسيانها

تعهدت على نسيان الماضي وتجاهله ولن تسمح بأى كلمة او حديث حتى لو منه أن
يهدم ما حققته

ألقى جسده على الفراش وبسط يديه بكل ناحية من الفراش يتنفس بعمق مفكرا
بكلمات شقيقته

ابتلع ريقه يتذكر كل لحظة بينه وبين ميا خاصته!

ميا خاصته؟!!

نهض مسرعا جالسا على الفراش ولأول مرة ينتبه لتلك الكلمة

ميا خاصته؟!!

نطق الكلمتين داخله ليستشعر بالحرارة بكامل جسده وضربات قلبه تعلو وتعلو

وضع يده على صدره محل ذلك النابض ليغمض عينيه بهيام متمتما:

- معقولة أكون بحبك؟!!

بلل شفتيه يبتلع غصته بصعوبة بعدما تذكر شعوره ما إن أخبرته بموافقتها على
اللعين طارق

شعر بالموت والحرقة تسرى داخله ... تمنى قتله وخنقها لتعلم مدى فجاعة كلمتها

شعر ب ... بالغيرة تحرقه!

ابتسمت شفتيه بخفوت وراحة يتنفس بهدوء شديد وقد سقط بهيام وليس سبات

ثوان وجاءت فكرة مجنونة بباله ليمسك هاتفه يهاتف أخته بالغرفة المجاورة!

أجابت سديم بنعاس ليتحدث تميم بهمس:

- شششش اسمعيني كويس

همهمت له بانتباه ليبدأ بحديثه الحماسي وعيناه تلمع كعيني شقيقته فرحة

حل صباح يوم ملئ بالأحداث والجميع يتجهز لها دون إدراك نهايتها

وقف أمام مرآته ينظر لوجهه الميت والهالات السوداء أسفل عينيه اللتين أغمضهما
يتنفس عميقا محاولا استنشاق أكبر قدر من الهواء عله ينعشه بعد موته

عدّل بذلته الراقية لتقع عيناه على صورتها

أمسك الصورة يلتقطها بشوق وعيناه دامعة

قربها منها يقبلها بعمق ليبدأ البكاء بحرقة متمتما:

- مقدرتش أحافظ عليكى يا سديمى ... مقدرتش أحافظ على حبك ... آسف ...
سامحيني

شهق باكيا يعيد الصورة مكانها متجها للخارج عازما على ما بباله

كانت الفتاتان يجلسان على الفراش حتى فتح الباب ودخلت المسؤولات عن تزيين
العروس

تطلعت سديم لهم بألم تزيل بواقى دموعها ومياسين بجانبها تضع يدها على كتفها
تساندها

تطلعت سديم لها مبتسمة بعجز وهى تنهض مع الفتيات

قبل أى حركة أخرى دلف تميم بابتسامة عريضة وبذلتة المنمقة التى جعلت عاشقته تهيم به أكثر ووكثر

لاحظ نظراتها ليبتسم بخفوت وقلبه يطير فرحا قبل أن يحادثها بجمود مصطنع:

- مياسين تعالى الأوضة الإضافية البنات هيصنفروكى هناك

ارتفعت ضحكات الجميع حتى من كانت تبكى ألما لتنهض مياسين بإحراج وغضب صارخة:

- أنا هتصنفر هنا ... قصدى هتمكيج هنا ملكش دعوة

رفع حاجبه بتحد قبل أن يمسك ذراعها جاذبا إياها بينما هى تتلملم تحاول التراجع تضرب كتفه لكن لا فائدة

نظرت سديم لأثرهما بخبث وفرحة ... شقيقها وصديقتها الفرحتان الوحيدان بذلك اليوم المشؤوم

انتبهت على الفتيات لتتهد ناهضة متجهة للمرحاض ليبدأ يوم عذابها لا عرسها

تجهز معتز وها هو يجلس على الأريكة يميل برأسه للخلف وعليه آثار الهم

لا يظهر عليه الفرحة التى توقعها يوما

لا يبدو كعريس أبدا بل شخص أهلكه الزمن

تنهد وأمال جسده للأمام يضع يده على خده

كانت تراقبه من بعيد بألم لتقترب منه بخطوات هادئة

جلست أمامه فلاحظها ليعتدل مبتسما بصعوبة لها

لم تبادله الابتسامة كالعادة ليعقد حاجبيه بضيق وتعجب

عم الصمت والسكون وقد أشاحت بنظرها عنه بينما هو يرمقها كل دقيقة بنظرات
مختلصة

زفر بضيق بعد مدة ليتحدث بتوتر محاولا خلق كلمات بينهم:

- احم هو خالد فين؟

ظلت صامته ثوان قبل أن تنتهد مجيبة:

- أخذ شاور وسرحتله شعره ... بيلبس البدلة دلوقتى

أوما لها ولم يجد مفرا من ذلك ليزفر راجيا إياها:

- ممكن تبتسميلي

عقدت حاجبيها متعجبة ليزداد ارتباكها مكملا حديثه الذي لا يعلم لما تفوه به:

- لما بتبتسميلي بظمن وبحس بأمان

قالها بنبرة خافتة مخزية ورأسه لأسفل متطلعا للأرض بإخراج

سمع صوت أنفاس ثائرة سريعة ليرفع رأسه فقابلته أجمل ضحكة وابتسامته رآها
بالعالم

ظهرت ابتسامته هو الآخر

لم تبخل عليه بالابتسامته ... بل الضحكة ... ألمها كثيرا شعوره بالخوف وعدم الأمان

تعلم جيدا أن كلماتها أمس هي السبب

هي من خلقت تلك الفوضى داخله ... هي من جعلت الهم باد على ملامحه

نصحته ولم يأخذ بنصيحتها ... فلما تعاقبه

ليس ذنبه بل ذنب الغشاوة على عينيه

فعلت ما بوسعها ولم يستمع لها ... مازال على قراره بالزواج

تنهدت عند تلك النقطة وألم قلبها يشتد لتبتلع غصتها

قاطع حرب النظرات بينهما صوت خطوات راکضة تبعها خالد الذى قفز بأحضان والده صارخاً:

- أنا لبست يلا بقى

ابتسم معتز مقبلاً جبين ابنه مجيباً:

- لسة بدرى يا حبيبى هنستنى يتصلوا الأول

انكمشت ملامح الصغير بحزن مستسلماً سرعان ما زاد حزنه متحدثاً مع حبيبته:

- برضو مش هتيجى يا ريرى

اتسعت عيناها قليلاً بينما الآخر غامت خاصته بالحزن

ابتسمت للصغير باعتذار:

- معلش يا حبيبي مش هقدر

أوما خالد لها بصمت وضيق لا يقل عن ضيق وحزن والده!

أغلقت مياسين مع زوجة عمها عاصم التي اعتذرت بشدة لعدم حضورها الزفاف فقد
تعب عمها ولا تستطيع تركه

تنهدت مغلقة الهاتف تراقب دلو فتيات عدة بتعجب حتى التفتت لمن يراقبها
بابتسامة حائقة:

- إنت هتصنفرني بجد ولا إيه حد قالك إني العروسة ولا حتى إني جريانة

قهقه إثر كلماتها قبل أن يتطلع لها بمكر وخرج من الغرفة دون الرد عليها مما جعلها
تستشيط غضبا

طرق الباب بيد مرتعشة شاحبة كوجهه واليد الأخرى تحمل شيئا ضخما طويلا مغلفا
بقماش رقيق

ثوان وفتح الباب ليقابله وجه تميم المبتسم الذى تحول لجمود ما إن رآه

تنفس ساجد متحدثا باختناق وحزن:

- شكرا إنك وافقت أشوفها ل... لآخر مرة

تنهد تميم متذكرا مهاتفة ساجد له متوسلا إياه ببكاء أن يرى شقيقته لآخر مرة واعد
إياه ألا يؤذيها أو يجبرها على شيء

أشار تميم له بالدخول ليدلف بلهفة وجهه محمر بكاء

ظل واقفا مكانه بأمر من تميم الذى دلف غرفة شقيقته بعدما طرق الباب

نظر لها جالسة أمام المرأة والفتيات وقد ارتدت حجاب زفافها فقط دون أن تتزين
ومازالت بعباءتها!

تحدث تميم وعيناه حزینتان لكن يشعر أن لقاءهما حتميا يجب حدوثه:

- فى حد عايز يشوفك يا سديم

تطلعت له متسائلة بصمت ليلاحظ الاحمرار الطفیف بعينيها دلالة على بكائها فزاد
شعوره أن ما يفعله هو الحق

نهضت منتظرة دلوف من يريد رؤيتها

أشار تميم للفتيات بالخروج فخرجن فورا وهو وراءهم تاركا الطريق أمامه

تطلعت للباب بفضول حتى جحظت عيناها تراه يدلف لغرفتها

ليتها هربت ولم تنتظر !

- بس بس خلاص

صرخت بها رحمة ضاحكة من دغدغة زوجها لها برفق لأجل حملها

توقف ضاحكا يأخذها بأحضانها متمتما:

- عشان ترفضى تاكلى تانى

قهقهت سعادة بحياتهما أكثر من دغدغته لتميل متخفية داخل أحضانها أكثر متممة
بنعاس:

- عايزة أنام ... البيبي بقى بينيمى كتير

قبل رأسها متحدثا بحب:

- نامى يا حبيبتي

وقد كان فما إن نطقها حتى سقطت بسبات عميق ليبتسم بشدة حامدا ربه للمرة التى لا يعلم عددها

تحسنت حياته ... تحسنت كثيرا وقد أقسم على الانتظام بصلواتهم أكثر وأكثر وكل مدة يأخذها معه للمسجد بل كل يوم إن أمكن

لم يسألها عن سبب ضيقها من قبل وما حدث ليجعلها تعود إليه بروح مرة أخرى

فالله قادر على كل شيء ولا حق له بالتدخل بين العبد وربّه مهما كان مدى قربّه لذلك العبد

يكفى أن يحمّد ربّه ويشكره على نعمه التى لا تحصى

يكفى أن يدرك مدى رحمة الله به لتقلب حياته من شاب متهور لرجل صاحب عمل ومنزل وزوجة محبة يعشقها

- فين الفستان؟!

تساءلت مياسين متعجبة فقد انتهى كل شيء حتى زينتها وحجابها وتبقى الثوب فقط
والذى اختاره بغيض قلبها رغما عنها دون أن تراه حتى

لكن لا يهم فتميم ذو ذوق مبهر

تطلعت العاملات لبعضهن بابتسامة مأكرة تعجبت لأثرها الواقفة منتظرة ثوبها

اتجهت الفتيات للخارج تاركات إياها وحدها

عقدت حاجبها تضع كلتي يديها على جانب خصرها باستنكار فعلتهن سرعان ما
هبطتا ببطئ وجمدت ملامحها تتطلع للذى دلف بابتسامة رائعة وييده ثوب ... زفاف

شردت دقائق بالثوب المطرز الجميل وتنهدت حاملة ... متى سيحق لها ارتداؤه

أسترتديه لمن لا تبغيه كما هو حال صديقتها المسكينة؟

أم سيرأف معشوقها بها ويحقق أول وآخر حلم بحياتها

زفرت شاعرة بغصة باكية داخلها تتحدث بتوتر حزينة والتفتت بجسدها معطية ظهرها
له:

- سديم أوضتها جمبى

كان يراقب ردة فعلتها بعيون عاشقة ثابتة!

دقات قلبه عالية من تلك الخطوة الجريئة التى قرر اتخاذها

قرر إلغاء عقله وتمكين قلبه ... ولأول مرة يشعر بصواب قراره قبل أن يرى نتائجه حتى

كان يتطلع لها بابتسامة بلهاء تحولت لخبيثة بعد سماع جملتها أتبعها بالتفاتها

تحرك بخطوات ماهرة بطيئة تباطأت معها دقات قلبيهما حتى مثل أمامها ومازال الثوب مرفوعا بيده المرتعشة من قربهما

رفعت أنظارها وتطلعا لبعضهما لثوان بشرود كل يتفحص وجه الآخر بعناية شديدة دون ملل

اتسعت ابتسامته أكثر وأكثر ويده تحرك الثوب تجاه جسدها يضعه عليه

آه ... كم سيكون رائع الجمال عليها!

ابتلعت ريقها تزيح الفستان بعيدا عنها مردفة بارتباك:

- فين فستانى؟

قهقهه بخفوت عليها ومال بجسده ناحيتها يفصل بينهما بضعة إنشات

زفر عنيفا يزيح توتره بعيدا قبل أن يجيب بحب:

- ما أنا عمال أديهولك وإنتى بتبعديه

عقدت حاجبيها متعجبة للحظات بسيطة قبل أن تتسع عينيها وانتقل بصرها للثوب بيده زاهلة

رمشت عدة مرات غير مصدقة قبل أن تنفجر بكاء بانهيال تام صارخة:

- لاااا مش هتجوز معتز لااا مش هتضحى بيا عشان أختك

- ششششش

قالها بعنف يضع يده على فمها المكتنز مانعا إياها من استكمال حديثها الغبى

أزالت يده عنيفا متراجعة بخوف تعقد يديها حانقة حزينة:

- اتفضل اطلع برة مش عايزة أشوفك تانى بعد اللى عايز تعمله فيا ده

ارتفعت ضحكاته عاليا وقطع المسافة التى ابتعدتها متحدثا ينفى رأسه يائسا:

- بقى فى واحدة تطرد حبيبها وجوزها المستقبلى

- ها

- يلا يا خالد

قالها معتز ناهضا من مكانا آخذا يد ابنه لينهض هو الآخر
تطلعت شريفة له بابتسامة حزينة لا تريد أن تفسر سببها معتقدة أنها لا تعلم

ابتلعت غصتها متحدثة بابتسامة متسعة دون فرحة:
- مبروك تانى ... الأوضة جاهزة وأنا والخدم هنقعد فى الفيلا الأسبوع ده بإذن الله

التفت لها عاقدا حاجبيه بضيق مردفا بنفى تام:
- لا طبعا ... هم هيقعدوا فى الفيلا وإننى وخالد هتفضلوا هنا

بللت شفيتها متحدثة باعتذار:

- مينفعش أ..

قطع حديثها رافعا حاجبه بوعيد وتحذير وإصبعه يوجهه ناحيتها:
- شريفة ... آجى الأيكي فى القصر

أنهى حديثه جاذبا ابنه المراقب فى صمت واستمتاع فكم يعشق عندما يتشاجران
بهدهوء!

تحرك للخارج وهى تنظر لأثره منفرجة الشفتين بصدمة من حديثه حتى زفرت
غاضبة تنظر لكل شيء تشعر برغبة عارمة فى تحطيم ما حولها خاصة هو و...
البكاء!

ابتلعت غصتها صدرها يتحرك لأعلى وأسفل بتوتر شديد وارتباك مبعثرة الروح تتطلع
له غير مصدقة وجوده وقد عادت غصتها الباكية بعدما طردتها بصعوبة لتتحكم بها
وبقلبها الضعيف الذى لم يلتئم بعد من عشقه المومع

نظر لها بوجه أحمر كعينيه تماما شاهقا ببكاء يبتسم بفرحة عارمة لرؤياها

مجرد التفكير أنه يتنفس نفس الهواء معها يعيد الدفاء والأمان له

بلل شفتيه الجافة كروحه تماما كأوراق شجر بلا حياة تتساقط بالخريف

ابتلع غصته ومعها دموعه الهابطة ببطئ على وجنتيه تعلم أثرها تماما لشفتيه ليشعر
بملوحته فيعلم جيدا أن كل ما بداخله فقد حلاوته بخروجها منه وأخذ قلبه النابض

اقترب منها ببطئ مغلقا الباب خلفه وابتسامة متسعة على شفتيه لم تتركها

مثل أمامها وهى متصنمة لا تستطيع التفوه بأى شيء بل تراقب بصمت

تنهد عميقا قبل أن يتحدث بضحكة حزينة:

- عاملة إيه؟

- اطلع برة

أخيرا وجدت لسانها ليتحدث بتلك الكلمتين القاتلتين لها قبله هو

انكشيت ملامحه بكاءا يتحدث كالطفل الصغير:

- دى آخر مرة هشوفك فيها متبقيش قاسية وتحرمينى منها

عضت شفتها السفلى ببكاء وهبطت دمعة متمردة تبعتها زميلاتها من عينيها السوداء المظلمة

تطلع لها باك بحزن يرفع يده المرتجفة ليزيل دموعها لكنها ابتعدت مسرعة تزيلها بنفسها ترفع رأسها بشموخ ينافى معالم وجهها الضعيفة:

- عايز إيه؟

أغمض عينية يتنفس بعنف قبل أن يفتحهما متمتما بضعف تام مترجيا إياها:

- سديمى ... وحياة أغلى حاجة عندك ... خلينى أقضى آخر اللحظات دى معاكى ...

بالله عليكى إنتى ... إنتى ساعة ولا اتنين و... هتروحي لغيرى

متبخليش عليا بالمدة دى

ابتلعت غصتها عازمة على الرفض لكن نظرت الضعيفة الباكية أجفلتها لتردع عن قرارها

أومات له بصمت شاهقة بخفوت لتخرج ضحكاته الخافتة الفرحة وعينيه متألئة بالدموع

حرك يده الحاملة حقيبة قماشية طويلة أزالها بيده الأخرى ليظهر ثوب زفاف أقل ما يقال عنه مبهر براق يخطف الأنظار

انفرجت شفتيها من جماله وصدمة مما يفعله

تطلع لملامحها المنبهرة بفرحة عارمة متحدثة كالطفل تماما:

- أنا ... أنا كنت حالف أعملك فرح كبير يليق بيكى بس ... بس خلاص حلمى فى فرحنا راح لكن ... لكن بقية أحلامى فى اليوم ده لسة موجودة

دمعت أعينهم مختنقين ولم تستطع الحديث ليشهق ساجد متمتما:

- ممكن تلبسيه

أومات له ملتقطة الثوب مقررة نسيان كل شيء والتمتع بآخر لحظات معه تحفرها بذاكرتها

فلتعش تلك اللحظات قد تكون هى ما تعطيها الطاقة لتحمل حياتها القادمة

فلترأف بحال قلبيهما وتجعلهما ينبضان فرحة ولو لساعة واحدة

فلتتس كل شيء وتعيد زهرة شبابها بتلك الساعة

سعلت عنيفا ومالت بجسدها للأمام مختنقة ليربت على ظهرها بخوف حتى هدأت
فتمتم براحة:

- يحرق هبك هتموتينى ... براحة يا ماما

ابتلعت ريقها متنفسة بسرعة قبل أن تتحدث بذهول:

- جوز مستقبلى مين ... وحبيب مين؟!

انفجر ضحكا عليها قبل أن يتهد متحدثا بجدية يتخللها الحب:

- أنا

انكمشت ملامحها باكية متممة خائفة أن يكون حلما:

- إزاي؟

ابتسم بخفوت قبل أن يتحدث مخرجا كل ما بداخله حتى يرتاح:

- مش عارف إمتى بدأت أشوفك مش أختى ... ولا عارف إمتى ... إمتى حبيتك ...

بس اللى أعرفه إنى بغير عليكى ... مش عايزك تكونى لغيرى ... مش عايز فى يوم

أصحى ... أصحى على خبر جوازك ... مجرد ما بفكر فى كدة برتعش من الرعب ...

مش قادر أتخيلك مع حد ... غيرى ... متسألنيش إيه اللى غيرنى بس ... بس والله ما

أعرف ... كل اللى أعرفه إنى عايزك ... وبحبك ... وإنتى؟

وضعت يدها على شفتيها المنفرجة زاهلة من حديثه قبل أن تزيلها متحدثة بارتجاف ودموع:

- ت... تميم إنت ... بتهزر صح

نفى بسرعة وبشكل قاطع متمتما بسعادة وفرحة:

- أبدا والله العظيم عايزك مرأتى وحلالى وبحبك من كل قلبى ... يمكن مكنتش أعرف
إنى بحبك وبتجاهل مشاعرى بس ... سديم صحتنى من غفلتى بكلامها إنك ... ممكن
تروحي لغيرى وأنا مش عايز كدة

ابتلعت ريقها وارتفعت أصوات تنفسها مجيبة بنحيب:

- تميم ده لو هزار هموت بجد والله

- بعد الشر عليكى والله العظيم بحبك

قالها بخوف تبعها بعشق وابتسامة مشجعة سرعان ما تحولت لخوف متمتما:

- إنتى كمان بتحبينى صح؟ مش معقول تصرفاتك دى كلها تكون من أخت صح؟

انفجرت ضحكا عليه ودموعها تهبط غزيرا حتى سال الكحل من عينيها متممة باكية:

- أخت؟! أنا عمرى ما كنت أختك يا تميم ... طول عمرى ... بحبك ... طول عمرى
بتمنى منك نظرة حب ولو شفقة على حالى حتى ... إنت كنت دعوتى الدائمة فى كل
صلاة ليا ... عمرى ما اتخلت عن إنى أدعى تكون من نصيبى

كنت بعيط بحرقة ووجع لما تتكلم عن بنت وجمالها قدامى ... موتنى ميت مرة لما
عرفتنى على لينا ... كنت مش قادرة أتنفس ... عارف يعنى إيه أقضى عمرى كله
بحبك ومستنية كلمة حلوة منك وفى الآخر ... ألاقى بكل قساوة الدنيا تعرفنى على

واحدة وتقولى حبيبتي ... وجعتنى أوى يا تميم وحسيت بروحى بتتحرق ... كنت دائما
بقول هكرهك يا تميم هكرهك ... لكن قلبى عمره ما كرهك ... كان بيفضل يعشقك أكثر
وأكثر ... وجاى دلوقتى تجرحنى تانى وتقولى أخت

أنهت كلماتها التى قيدتها داخلها لسنوات طويلة تضع كلتا يديها على وجهها ببكاء
شديد تحول لصرخات خافتة

ارتجف كامل جسده ولعن نفسه لجرحها بالرغم من فرحته العارمة باعترافها لكن كم
حزن بشدة لما فعله بها
كيف لم يرى نظراتها أو يشعر بما داخلها

كيف كان أعمى عن عشقها الواضح الآن له

ألقى الثوب على الفراش وأمسك يديها المرتعشة كيديه مبعدهما عن وجهها الملطخ
بالزينة لكن مازال فاتنا فتحدث باكيا لألمها:
- آسف والله آسف هعوضك عن كل لحظة وجع عشتيها ... أوعذك

تطلعت له بضياح مترجية قابلها بأخرى مطمئنة تشع دفئا وأمانا ليشرق وجهها أخيرا
مبتسمة بإشراق

أخرج نفسا عميقا يتحدث بتوتر ممزوج بعشقه:
- تتجوزينى

اتسعت ابتسامتها يشع وجهها نورا وأومات عنيقا بحب وارتياح لألم سيزول أخيرا

ابتسم بشدة وسعادة وكاد يحتضنها لكن تذكر لازلت غريبة عنه ... ساعات قليلة
وتصبح حاله ... فاكثفى بالمرح يخرجها من حزنها:
- بس إنتى طلعتى واقعة يعنى

عبست بلطافة ضاربة كتفه بخفة ليقهقهان على بعضهما

صمنا لثوان وعادا للشرود ببعضهما حتى تحدثت مرة أخرى بابتسامة متوترة:
- بجد بتحبنى

أوما لها ضاحكا بفرحة:

- والله العظيم بحبك

انتهت من ارتداء الثوب بالحمام وعدلت حجابها جيدا عليه لتصبح فى غاية الرقة
والجمال بذلك الفستان شديد الاتساع وقد أضفى الأبيض عليها هالة ملائكية بريئة
حتى بوجهها الشاحب الخالى من الزينة

اتجهت للباب ورفعت يدها لتمسك المقبض مرتعشة مستعدة للخروج

وضعت يدها على قلبها تتحسس موضعه بحنين وحب متممة:

- عيش الدقايق دى عشان مش هتلاقىهم تانى

فتحت الباب وخرجت ببطى ترفع فستانها الطويل المتسع اللمع ووجهها بالأرض تبلل
شفتيها متوترة

كان جالسا على المقعد يحرك قدمه بارتعاش شديد يرفع يده يجذب شعره المنمق
للخلف بتوتر وكل جزء به يرتجف

لا يصدق أنه من سيسلمها لغريمه لكن ... سعادتها أهم شيء
لن ينسى نظرتها منذ شهور بالمشفى
نظرة أصابته بمقتل ليخر صريعا إثرها

لن يسمح بأنانيته أن يأخذها عنوة فيرى تلك النظرة مرة أخرى

لا يهم موت روحه وقلبه المهم حياة خاصتها

انتبه لصوت المقبض ليرفع رأسه متطلعا تجاه المرحاض قبل أن ينهض ببطى
وصدمة من رؤياها

يا الله ... كم هي رائعة .. رقيقة ... جميلة

كل ما يُعشق يوجد بها هي فقط
سديم قلبه خاصته لدقائق فقط

ابتلع غصة حزنا وفرحة معا يتجه ناحيتها غير مصدق يتمتم:
- بسم الله ما شاء الله

أخفّضت رأسها بخجل محمرة الوجنتين بينما هو شهق بخفوت دامع العينين يتحدث
وهو يشير للمقعد أمام المرأة:

- اقعدى يا سديمى

تعجبت قليلا لكن كما قررت ستفعل ما يريد وتريح قلبيهما!

اتجهت ببطئ وتعثر للمقعد جالسة عليه بصعوبة لثقل ثوبها وهو يراقبها بعشق عارم
وضحكة غير مصدقة مدى جمالها وأن كل هذا سيذهب لغيره!

أغمض عينيه يعتصرهما طاردا تلك الافكار من داخله رافضا أن يعكر أى شيء تلك
اللحظات

اتجه ناحيتها ووقف بجانبها يتطلعان لبعضهما بالمرآة لثوان بشرود ودموع

ابتسم بحزن وهبط جالسا على المقعد المجاور لها محركا مقعدها تجاهه قليلا

جفلت وكادت تسقط لتمسك بذراعه بخوف

نظر ليدها التى لأول مرة تتلمس ذراعه حتى لو يفصل بينهما بذلته اللعينة بابتسامة
منتعشة وارتعش جسده كارتعاش جسدها

أبعدت يدها متوترة ليبتسم عليها يمد يده للأدوات على الطاولة بينما هى تتطلع له
متعجبة

تنهد للمرة التى لا يعلم عددها ينتظر بفارغ الصبر خروجها حتى رحمته من عبء
الانتظار لتطل عليه والنور يحيطها

نهض ببطئ مبتسما باتساع عليها بينما هى تقف أمام المرحاض بعدما ارتدت ثوب
زفافها الذى كانت به زهرة تنتظر من يقتطفها من بستان عشقها

تحركت ناحيته بخطوات متعثرة خجولة بينما هو مستمر بتفحصها
مثلت أمامه وعينيها لا تفارق الأرض

حل السكون عليهما حتى قررت مياسين رفع عينيها تنظر إليه
كان وجهها ساكن سرعان ما تحول للون الاحمر بابتسامتها الجذابة وعينيها اللامعة
ما إن رأت الدموع بعينه متألئة

سقطت دمعة من عينيه وقلبه يقفز متدللا عليه يريد الوصول لقلبها

رفع يده يزيل دمعته يتنفس بعمق متحدثا بضحكة غير مصدقة:
- هتجنينى أكثر من كدة إيه

ارتفعت ضحكات خافتة منها تضع يديها على فمها خجلة تارة تخفى به وجهها تارة
أخرى ولازالت تلك الأحداث صدمة لها

ضاقت عيناه باتساع شفتيه ودموع الفرحة والعشق لا تكف عن التجمع بعينيه

- مالك يا حبيبي

قالها معتز لصغيره الجالس بجانبه بالمقعد الخلفي للسيارة عابس الوجه
تطلع خالد له ببراعة مردفا بنبرة بها شجن لا يناسب عمره:
- هتتجوز يا بابا خلاص؟!!

عقد والده حاجبيه متعجبا قبل ان يرفع يده يضعها على راس الصغير مداعبا شعره
الناعم كشعر معتز وأردف بابتسامة:
- أيوة يا حبيبي ... إنت زعلان؟!!

تنهد الصغير يرفع كتفيه ويهبطهما ببطئ متحدثا زاما شفتيه:
- مش زعلان بس ... خايف تسيبني؟

اتسعت عينا معتز بينما اتجهت يديه بلهفة ناحية الصغير يحتضنه بحب مردفا يطمئنه
ويعاتبه:
- كدة يا قلبي ... إنت روحى كلها مش حنة منها بس ... أسيبك إزاي يا حبيبي!
- يعنى مش هتتشغل عنى

قالها الصغير متطلعا لوالدة كمن يطلب النجدة ليجيب معتز فورا بثقة:
- مستحيل حاجة تشغلنى عنك أبدا

أخيرا أشرق وجه خالد الذى نهض مبتسما بفرحة يقف على المقعد يحتضن والده
عنيفا ورأسه الصغيرة يغمسها برقبة والده براحة

بأدله معتز الاحتضان بشدة يربت على ظهره شاردا لا يعلم ماذا يريد ولا بم يفكر
لكن كلمات شريفة تلازمه!

أغلق عينيه طاردا كل شيء والتنع بالراحة مع صغيره وسيتترك كل شيء لله والقدر

نظر السائق لهما من المراة بابتسامة جميلة على شكل الوالد وصغيره فكم كانا
جميلين وكل يبحث عن الأمان بأحضان الآخر مكتفين ببعضهما بعيدا عن العالم أجمع

يحرك يده بحرفية تامة على وجهها يضع تلك الألوان البسيطة فزاد وجهها إشراقا
وزيلت علامات الإرهاق من وجهها

كان يحرك يده الحاملة للفرشاة على وجنتها الناعمة وهى مغمضة عينيه تستشعر
نعومة حركة يده بينما هو عينيه لا تفارق وجهها ليس لأجل ما يفعله بل ليسرق
لحظات جميلة معها

عيناه مليئة بالدموع الحارقة حتى احمرتا
ابتلع غصته يبلل شفثيه قبل أن يبدأ حديث طال بعد صمت أطول:
- افتح عيونك

كانت مسيرة لا مخيرة لتفتحهما منفذة أمره الحنون ليبتسم بخفوت لها:
- متحرمينش منهم فى لحظاتنا الأخيرة

ابتلعت ريقها بتوتر وعادت غصة مختنقة لها ... لا تعلم لما تستمر بتلك المهذلة لكن
... تحتاج تلك اللحظات أكثر منه ... تحتاج قربه لدعمها أكثر من حاجته هو ...
تحتاج الكثير والكثير ولن يلبي سوى به

رفع يده الممسكة علبة يغمس بها الفرشاة يعاود العمل على وجهها بحرص لا يريد
الكثير من مستحضرات التجميل فيكفى هالتها البريئة الجميلة

تنفس عميقا زافرا أنفاسه التى داعبت وجهها لتتوتر ملامحها وقررت الخروج عن
صمتها والتحدث
- اتعلمت منين ده

جملة حمقاء أدركت به مدى غباؤها لكنه كان حبل نجاة له بعدما سمع صوتها بعد
لحظات قاتلة من الصمت ليضحك بخفوت وفرحة متطلعا لها غير مصدق أنها تحدثت
يشهق وعيونه دامعة ويده توقفت عن الحركة فأجاب فوراً:
- ههههه أنا ... أنا كنت حالف أول ما حالى يبقى كويس وأشتغل أعملك فرح

اتسعت عينيها قليلا لحديثه وتجمع دموعات بها ليكمل بابتسامة مرتعشة على شفثيه
المبللة:

- كنت عايز أسعدك بأجمل وأكبر فرح و ... وكنت عايز أكون أنا محور كل حاجة ...
عايز أنا اللى أختارك الفستان ... أنا أول واحد أشوفك لبساه ... أنا اللى ... اللى
أعطتك المكياج

رفع رأسه يحاول التنفس رغم الاختناق داخله لتسقط الدموع العالقة على وجنتيه
تسيلان ببطئ وعينيها الدامعة تراقب سقوطهما بأسى متمنية لو تسقط ما بداخلها
أيضا عليها ترتاح لكن عقلها يحاول التحكم بتلك اللآلئ ومنعهم من الخروج

ابتلع غصته ينزل رأسه مرة أخرى مكمل حديثه بشرود وشجن أهلكه:
- مكنتش هقدر أشوف حد غير بيلمس وشك ... مكنتش هقدر أشوف حد غيرى
بيزينك

ارتفعت ضحكاته لتعقد حاجبيها بتعجب أزاله بإكمال حديثه:
- فقررت أتعلم ... تخيلى أبقى قاعد فى مكتبى بكل رزانة وحكمة وفى إيدى الموبايل
.... بشوف إزاي احط الكحل ولا الماسكرا

انفجرت ضحكا هي الأخرى ليشاركها الضحك لثوان قبل أن انفجرا بكاء وتلاقى جبين
كل منهما يستندان على بعضهما

يعلو صوت النحيب بالغرفة وقد سقطت مقاومة كل منهما بالتحكم بنفسه لينفجر كل ما
بداخلهم من حزن ودموع وألم

يعض شفتيه محاولا كتم صرخاته المتوجعة داخله وحالها لا يقل عن حاله شهقاتها
تعلو

رفع يده المرتعشة يزيل دموعها قبل أن يتلخخ وجهها به متحدثا يحاول دعمها برغم
حاجته للدعم أكثر:

- متبكيش يا قلبى ... محدش يستاهل دموعك ... متبكيش

حاولت الهدوء تأخذ نفسا عميقا تزيل يده ناهضة بسرعة من أمامه تعطيه ظهرها

نظر لها بحزن ودموع قبل أن ينهض هو الآخر يتجه ناحيتها بخطوات بطيئة كالعجوز حتى وقف خلفها

أخذ أنفاسه المسلوبة محاولا إظهار الهدوء بصوته لكن باءت محاولاته بالفشل عندما خرجت مغلفة بآلم عارم:

- لسة مصرة على قرارك

وضعت كلتي يديها على فمها تكتم صوت نحيبها قبل أن تشهق متنفسة بعمق تلتفت له مزيلة الدمعات العالقة بجفونها:

- كدة أفضل لينا

عقد حاجبيه محاولا استعطافها لترأف بحاله مردفا بوجع:

- والله ما خنتك يا سديم انا كنت بنتقم للى جرحونى ... كنت بس عايز أثار لكرامتى
عشان أقدر أعيش معاكى وأحسسك بالعشق اللى تستاهلى أضعافه ... انا كن...

رفعت يدها بوجهه تمنعه من إكمال حديثه متحدثا بصلاية كاذبة:

- خلاص يا ساجد ... معدش فى داعى للكلام

رفع يده يضعها على جبينه يعتصره كاعتصار أسنانه لشفته السفلى بآلم

- هفضل طول عمرى بعشقتك ومستنى اليوم اللى نتقابل تانى

أومأت له وفكها مشدود لا تريد البكاء مرة أخرى فلينتهى لقائهما وتنتهى معها تلك الصفحة تماما

جفلا من صوت طرق الباب تبعه صوت تميم لينظرا إليه قبل أن يعاودان النظر
لبعضهما كل منهما يودع الآخر بنظرات حزينة

بصعوبة تجمعت ابتسامة خافتة على شفثيه تبعها نبيرة مرتعشة:
- بعشقتك

قالها واتجه مسرعا تجاه الباب يفتحه ويخرج من الغرفة تماما فلن ينتظر وهو يعلم
أنها لن تجيب وذلك سيقتله بلا شك

تطلعت لأثره ضاغطة على شفثيها ببكاء قبل أن تضغط على أسنانها مانعة أى دموع
أخرى

تطلع تميم لأثره بحزن متنهدا لحالهما الذى لا يعلم كيف يصلحه لكن قد فات الأوان
تعجبت مياسين من وجود طليق صديقتها لتتجه هى وتميم للداخل ناحية الشاردة ألما

أفاقت سديم باقترابهما لتحاول تناسى كل ما حدث منذ قليل متحدثة بنبرة فرحة
مصطنعة وهى تحتضن صديقتها:
- مبروك يا قلبى

بادلتها مياسين الاحتضان بشدة قبل أن تبتعد وقد نست موضوع ساجد تتحدث
بصدمة:

- يعنى كنتى عارفة؟!

ابتسمت سديم متممة بضحكة لم تخل من الألم:

- أيوة طبعاً تميم عرفنى إمبراح بالليل باللى هيعمله وكل الناس عارفة إنكم هتتجوزوا
انهاردة ما عدا إنتى

ضربتها مياسين بخفة بكتفها لإخفائها الأمر عنها قبل أن تعاود الابتسام بفرحة تقفز
كالأرنب:

- بس بجد مش مصدقة

قهقهت على طفولتها لتقع عينيها على أخيها الذى يتفحصها بوجه جامد وعمق
لنتوتر ملامحها

لاحظت مياسين النظرات بينهما فجاءت تتحدث ليقاطعها أصوات التهليل بالخارج
لتتحدث بسعادة شديدة:

- تلاقى معتز والمأذون وصلوا ... يلا عشان متأخرش

تنفست سديم مختنقة تشعر بحبل يشدد على عنقها ليتحدث تميم بحزن لحالها:
- يلا

تحرك يقف بين الجميلتين كل واحدة تضع يدها على ساعده يتحرك بهما للخارج
ودقات قلبه تتسارع تارة سعادة مع محبوبته وتارة حزناً وألماً على شقيقته

تجلس على الأريكة براحة ترفع قدميها وتضعهما على الطاولة أمامها

انكمشت ملامح صلاح ضيقا قبل أن يتجه ناحيتها يجلس بجانبها عاقد ذراعيه بغضب

التفتت برأسها له تضحك على هيئته ليرفع حاجبه بغضب لها

زادت ضحكاتها ترفع كلتي يديها مستسلمة تردف متعجبة:

- الله وأنا مالى يا لمبى

التفت لها متحدثا بدفاع كالأطفال متسع العينين:

- ما إنتى اللى خليتى الدكتوراة تقولنا نوع الجنين وإحنا متفقين نتفاجئ بيه يوم
الولادة ... والغبية معرفها متقولناش نوعه وأول ما سألتها بترد بكل بجاجة ولا كان
فى تور منبه عليها متقولش النوع

أنهى عبارته قالبا شفتيه بتقزز وغضب لتنفجر ضحكا عليه حد الاختناق

زم شفتيه لثوان قبل أن يجيب ببساطة وكأنه لم يكن غاضبا منذ قليل:

- بس كويس إنها قالت مكنتش هستحمل أصبر للولادة

- لا إنت مجنون والنعمة

قالتها ضاربة كفيها ببعضهما ليضحك هو تلك المرة يضع يده على بطنها يحادث ابنته
بحب:

- منتظرك يا حبيبة بابا تجهلنا بالسلامة

وضعت يدها هي الأخرى على يده تنظر له بسعادة ليقبل جبينها براحة شديدة لحياتهما
الجميلة

طلت القتاتان بالأبيض على القليل الحاضرين ليفتنونهم بهالتهم وجمالهم الهادئ وما
أجمل حجابهما الأبيض فكانا تاجين توجا على رأس مالكيهما

تسير الفتاتان ببطئ كل ممسكة يد تميم دامعين العينان
مياسين ... تنظر للأجواء زامة شفيتها تضغط عليهما ... الحلم الذى عاشت لأجله
سنين عمرها ... ها هو يتحقق يقف جانبها يده بيدها يسير بها
ظنت أن الموت أقرب لها من حلمها ... ظنت أن مستقبلها كماضيها ... ظنت أن
الأبيض الوحيد الذى سترتيده هو الساتر لها يوم مماتها
ظنت الكثير والكثير ليزيل الله كل ظنونها السوداء بقماشة بيضاء على عينيها

قماشة جعلتها تغض عينيها رغما عنها لكن ... لم يقابلها الظلام

كل ما وجدته نورا يشع بعيدا

كلما سقطت دمعة قابتها بنبتة تزرع بذلك النور

دمعة وراء دمعة ونبتة خلف نبتة لتظهر أرض خضراء وكأن مرور الزمن لا يؤثر بها
وبخضرتها الملهمة لكل فنان و... عاشق

بدأ النور يزول تدريجيا لكن إنه يوم مختلف

لم يظهر الظلام كما اعتادت بل ظهرت السماء الزرقاء كلون ذلك النهر المرتسم بعيدا

تجول عينيها المغمضة داخل خيالها الناعم كنعومة شففتيها وهى مبتسمة لتجده
من عشقته منذ الصغر ... مالك قلبها وكيانها ... مالك ابتسامة شففتيها التى لا تظهر
سوى بوجوده وبأمره

يقترب منها رويدا رويدا حتى مثل أمامها بلامحه الرجولية التى تُسكرها
اتسعت ابتسامتها تسقط دمعة أخرى فأنتجت نبتة
ليست كأى نبتة سابقة
بل نبتة عشقهما

طفل صغير يجول حولها يلهو حاملا بالونا رقيقا مثله يشبههما كثيرا
تتطلع للصغير بانبهار منفرجة الشفتين وعاشقها يتمعن بها بنظرات محبة لها وحدها

عاودت النظر له يبتسمان لبعضهما غير مصدقين
فتحت عينيها من حلم اليقظة الجميل والذى فى غضون دقائق سيتحقق

التفتت برأسها تنظر لمن يسير ممسكا يدها والذى لم تترك عينيها وجهها الجميل منذ
أن أغمضت خاصتيها تسرح بأحلام يقظتها والذى يجزم أنه محورها

ابتسما لبعضهما بحب لتعاود النظر للأصدقاء القليلين حولهم لكن نظرات الحب تشع
بكل مكان

على الناحية الأخرى سديم ... تسير بلا روح ... فقدت الحياة ... بغائه أنهى كل
شيء وهى بعنادها دمرت البقية

بفعلته أصبح صعب العودة لطريق قلبيهما وبعنادها ... أصبح محالا

ما كان ممكنا جعلته مستحيلا ... تخطو لا تشعر حتى بقدميها ... اسود وجهها حزنا
على ما هي قادمة عليه

كيف ستملك لغيره ... كيف استطاع قلبها اتخاذ مثل ذلك القرار
كيف أوصلها عقلها لموتها

أهئك سديم ... بدلا من إمانته دمرته لتموتين أنت
أهئك على فعلتك القاتلة لك قبله ... أهئك على قراراتك التي أظهرت للجميع كم كنتى
مسيرة تحت أمره هو فما إن ابتعد حتى فقدتى صوابك تصدرين قرارات بلا تفكير

ماذا ستفعلين الآن؟ ليتك كعروس بتلك الأفلام الكرتونية لكنتى هربتى مع فارسك على
حصانه الابيض كبياض قلبيكما الخالى من الشوائب
لكن وكيف يكون هو فارسها وقد خانها
وكيف تكون هى الأميرة وقد امتلكت لغيره

تهدلت أكتافها وهبطت رأسها تنظر للأرض المليئة بالورود لكن بالتمعن بها نجد
كرات لامعة من دموعها التى لم تجف يوما

تأتى بذاكرتها يوم جميل عاشته مع معشوقها عندما عاد من العمل ليجدها بأجمل طلة
وأبهى صورة

لم تفارق عينيه عينيها وهى تقترب منه ببطئ بفستانها الأسود القصير على جسدها
وأطرافه متهدلة تتحرك بانسيابية حولها بكل مكان
تراقب حركة عنقه يبتلع ريقه بصعوبة متوترا من طلتها

كم كان يوما جميلا مليئا بمشاعر حارة متبادلة ولا تمر دقيقة سوى ويحتضنها مطعما
إياها عشقه قبل ذلك الطعام على الطاولة الرقيقة مثلها تماما

تتحرك قدميها مرتعشين كقلبها النازف دماء الأسود لونا كداخلها

كل ما كان أبيض براءة وأحمر عشقا جالت عليه الأيام تحوله أسودا قاتما بلا شفقة
عليها وعلى عاشقها

من اعتقد تعرضها لتلك لحظة ... لحظة يتم تسليمها لمن لا تبتغيه

مرت مدة طويلة على زواجها من ساجد

كان زواجا بسيطاً لا أناس به ولا زينة أو حتى فرحة حولها

لكن كان داخلها تراقص قلبها فرحة يتحركان داخل روحها بحرية مطلقين مشاعرهما
بكل مكان حتى تحولت غرفة المأذون الضيقة البالية لبستان مليء بأزهار عشقها

وها هي الآن بزفاف ولا أروع يمتلئ بالزهور والأناس والفرحة حولها لكن ليس
بداخلها

آاااه لقد سرق الزمن فرحتها وحبها وأطلقهما خارجا ليأخذ الكل نصيبه ناسين
صاحبتهما والتي هي الأحق بهما

الكل محاط بهالة من العشق والفرحة إلا هي خاوية اليدين والقلب لا تملك سوى
قدمين تسير بهما بارتعاش ويدين تقبضان على ذراع شقيقها بخوف وكأنها تطلب منه
العودة والهرب من تلك الأجواء الخائفة

توقف شقيقها عن السير لتفعل

رفعت أنظارها تجد من سيكون زوجها وقاتلها يقف أمامها وبجانبه صغيره

انفجرت شفيتها مخرجة أنفاسها المحبوسة متوترة خائفة باكية تقبض على ذراع
شقيقها لا تريد تركه

لاحظ تميم تمسكها به ليحزن على حالها لكن قد فات كل شيء ولا وقت للتراجع

أزال يدها بيده يسلمها لمعتز ونظراته متأسفة لنظراتها الراجية الباكية

ارتفع التصفيق حولهم عدا من يراقبها

ساجد ... يقف بين المدعوين وكله نظرات متألمة

يراقب حركتها الناعمة بشغف ... يراقب أقل حركة منها يد تزيل دموعه والأخرى
يضعها على قلبه

يبذل شفتيه بدموعه الساقطة وعينيه تهتز مرتعشة بعدما كان قلبه يتراقص عشقا
بالماضى مع قلبها

مر الزمن وتفرقا ... حقا يتعجب عن حياته حتى الآن

يستعد جيدا لتوقف قلبه بأى لحظة ... يده الموضوعه عليه لن تمنعه من التوقف

بل تراجع معشوقته عما تفعله هو ما يجعل قلبه يتراجع هو الآخر عن توقفه

يبتلع غصته الباكية وأنفه تسيل كعينيه ... يراقبها تسير شاردة

يستشعر مدى ألمها كآلمه لكنه قد أماتها بفعلته وهى لن تنهون عن إماتته

كل منهما يميت الآخر دون الشعور أنه يموت ألف بل مليون مرة قبل نصفه الآخر

عض شفته السفلى مانعا صرخة قلبه قبل لسانه ما إن مثلت معشوقته أمام غريمه

يا الله فلتأخذ روحى قبل أن تُسلم لغيرى ... فلتأخذ روحينا معا لنجتمع بجنتك التى لن
تبخل على عاشقين متألمين بها

خرجت أنفاسه متسارعة كمن يركض لساعات ما إن رآها تسلمت لغريمه تقف
بجوارها يدها الناعمة بيده الملعونة

انكشيت ملامحه وانفجر بكاء لينظر من حوله له متعجبين غير عالمين بحاله هو
ومالكة ومملوكة قلبه التى ستملك لغيره

- بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما فى خير

جملة بسيطة تنهى حياة العروس ببيت أهلها لتبدأ حياة جديدة ببيت زوجها وقرة
عينها

لكن من بحالة ميا خاصته فهو أهلها وزوجها ... من بحالتها فتلك الجملة ليست إلا
استكمالاً لحياتها المتألّمة سابقا والتي ستكون وردية قادمة بلا شوائب أو دموع أو
تكسّر قلب

انتهت الجملة لتبدأ رحلة حمله لها ودورانه بها بين الحضور ليرتبط قلبيهما
وروحيهما ببعضهما تاركين الخجل جانبا بحضرة عشقهما

يدور بها ضاحكا بفرحة عارمة ليصفق الحضور ومنهم من يصفر مباركا لصديقه

انتهى الدوران لكن عشقهما وحياتهما لن تنتهى أبدا
أنزلها أرضا لتتمسك مياسين به حتى لا تقع تشعر بما حولها يدور ليضحك بمرح
عليها وعلى معالم وجهها المضحكة كمن تجرع كمية لا بأس بها من الخمر

أخيرا هدأت أعصابها لتمسك حالها قليلا تعتدل بوقفاتها بعدما كانت متمسكة به وهو
متمعن النظر بها

أفاقت فتننته أخيرا أنهما زوجان على سنة الله ورسوله كل امتلك الآخر لتبتسم باتساع
وعينيها غامت بالدموع

بلل شفتيه يزيل دموعها متنهدا يومئ لها كمن يؤكد أنهما أخيرا أصبحا لبعضهما

- ها اللي بعده

قالها المأذون بمرح ليضحك الحضور والعروسان المتوجان على عرش عشقهما

لكن الثلاثي لم يفارق الحزن والعبوس وجههم وكل يرتقب اللحظة القادمة يتساءل عن
ماهيتهما

اقترب معتز القابض على يد سديم يجلس بجانب المأذون بينما ترك تميم زوجته بصعوبة ونظرتة لا تفارقها ليجلس على الجانب الآخر بينما هي احتلت المقعد المجاور لأخيها الذي وضع يده بيد معتز ليسلم أخته لها وقلبها يتجرع من كأس ألم العشق كحال من يزيل دموعه كالأطفال ليحل مكانها غيرها

يشعر هو ومعشوقته بروحيهما تنقبض ... يشعران بخروجها من داخل قلبيهما
يشعران بالموت احياءا

ارتعشت شفثيه وهي تتحرك ببطئ مخرجة همسا موجعا:
- سديم

رفعت رأسها بعدما كانت تنظر ليديها المرتعشة تستشعر همسه حولها بقلبها لا أذنّها

ابتلعت غصتها عيناها تجول بكل مكان باحثة عنه مجزئة وجوده حتى وجدته
يقف بين الحشد القليل ينظر لها باكيا محمر الوجه لتتقابل عينيها المنتفخة نحيبا
مستمرا لم ينقطع طوال تلك الليالي المظلمة

- قول ورايا

قالها من سيقبض رويهما وينهي حياتيهما ليغمض ساجد عينيه ألما تسقط الشلالات العالقة بهما بينما هي أخرجت زفرة غليظة كغلاظة جملة المأذون على سمعها

لن يقدر على الإنصات ... لن يقدر أن يستمع له وهو يسلمها لغيره

لن يقدر على الصمود

التفت بجسده مسرعا عازما على الخروج من ذلك المكان والبقاء بمنزله منتظرا قبض
روحه ومماته فيرتاح من تلك الحياة الشاقة

راقبت تحركه البطى مبتعدا وعينيها متسعة وكأنها أدركت أن مماتها أوشك

راقبته يسير ككهل أدركه الزمن فلم يستببح تدميره

وأخيرا نطق قلبها العجوز صارخا بها (تحركى سديم)

ترعزت شفتيها مبتسمة بارتعاش لأول مرة طوال اليوم تلتفت متطلعة لمن على
الطاولة مستعدون لأخذ روحها دون علمهم

عاودت النظر لمن يسير ببطى مرتعش الكتفان بكاءا لتتسع ابتسامتها أكثر وأكثر

كان يسير بطيئا جسده يرتعش يبكى عنيفا وقد سلبت الحياة كل ما يملكه ... وهل
يملك غيرها

خرجت شهقة عنيفة مماثلة بكائه صدمة منه يستشعر جسد صغير يحتضنه من الخلف
بقوة

كان يسير بطيئاً جسده يرتعش يبكي عنيفا وقد سلبت الحياة كل ما يملكه ... وهل
يملك غيرها

خرجت شهقة عنيفة مماثلة بكائه صدمة منه يستشعر جسد صغير يحتضنه من الخلف
بقوة

تصنم محله غير مصدق ما يجول داخله
ذلك الجسد الضئيل يعلمه جيدا، أيعقل أن تكون هي؟!
لا ساجد فلتلق كل آمالك أرضا وإدعسها بقدميك المرتعشة
فلترفض أى فكرة أنها هي، يكفى ألما وبكاء فلتمت بسلام

ابتلع ريقه متوترا شفثيه تلمع تحت الأضواء إثر دموعه الساقطة فتستقبلها برحابة
صدر كما استقبل مسببتها من قبل بكل عشق

عم الصمت والسكون ثوان عديدة تحولت لدقائق لم يستبح أحد قطعه وعلى رؤوسهم
الطير صامتين صدمة مما يحدث

قلبه يثور طالبا إياه بالالتفات والتمتع بروئيتها
لكن وبم سيفيده قلبه إن كان يتخيل!؟

فلتتشجع ساجد واتخذ خطوة قد تحيييك وقد تنهيك!
لا تقف مكانك تضيع وقتا قد تقضياه معا لو أنها حقا تحتضنك

قبضة يده مشدودة كفكه تماما وجسده المتصلب خائفا من توهمه

رفع يديه المرتجفتين بطيئا حتى وضعهما على خاصتيها أحدهما على بطنه والأخرى
موضع قلبه

تيار يسرى داخله وموج هائج يثور بقلبه ما إن تلامست يديهما
نعم هي ساجد، أنت لا تحلم

لم يضيع ثانية أخرى بالخوف بل التفت مسرعا أنفاسه تخرج نائرة عينية تدور بلهفة
على الجسد الصغير

كانت مستكينة محتضنة إياه تريح رأسها على ظهره العريض مطالبة الأمان والسكينة
التي فقدتهما بفقدانه

تتمسك به عنوة رغم علو صدره وهبوطه بسرعة والذي رغما عنه لم تسمح لثورانه
أن يزيل يديها المحاوطة إياه

تغمض عينيها والراحة ترقص داخلها مع قلبها المبتسم انتصارا فقد تغلب على ذلك
العقل الأبله وجعل صاحبه تسير خلفه تاركة كل شيء خلفها خلا عشقها ورغبتها
بالعودة مزيلة كل الماضى من داخلها بل من كل شيء حولها

انتفض جسدها قليلا ما إن أدار جسده عنيفا بلهفة تعلم جيدا عدم تصديقه أنها هي

تسير على أطراف أصابعها لا أقدامها لعدم إصدار أى صوت ولو خافت حتى لا يفضح
أمرها

مرت دقائق تسير بطيئا وبحذر حتى توقفت فجأة ذاهلة من فعلتها الغبية

لم تسير كسارق أو مجرم ولا أحد بالقصر غيرها؟!
فلتأخذ راحتها فلا تحتاج للبطئ والخوف وهى وحدها

أنزلت قدميها كاملة على الأرض تمشى بثقة عليها متجهة لغرفته كما اعتادت!

تقف أمام باب غرفته بلعومها يتحرك متوترا كسائر جسدها
أنفاس متتالية تخرج بها إرتباكها

رفعت يدها المرتعشة تضعها على المقبض تحركه ببطئ تتلفت حولها وقد نست مرة
أخرى أنها وحدها

دلفت شريفة للغرفة برأسها أولا تدور به بالمكان قبل أن تضرب جبهتها لغبائها

أخيرا دلفت بكامل جسدها تمشى بالغرفة حتى وقفت بمنتصفها

أغمضت عينيها ببطئ ويديها تنعقدان محتضنة نفسها وأنفها يقوم بعمله يشتم رائحته
الزكية المنتشرة بغرفته رغم عدم وجوده

تنهدت بعمق ويدها تهبط جانبها بسكر وابتسامة صغيرة تداعب شفتيها

جفلت تفتح عينيها فزعا تعجبا مما تفعله!

ماذا بك شريفة؟!

لقد أصبحتى غريبة الأطوار!

دارت بجسدها تنظر لكل إنش بالغرفة كمن تودعها وقلبها حزين على رغبة صاحبتة بالخروج

انتهى تفحصها لتتجه للخارج بل للأسفل تاركة الطابق العلوى تماما حتى لا تكرر فعلتها والتي رغم حنقها من تلك العادة إلا أنها لم تزل يوما خاصة بالأيام الأخيرة فلا تترك لحظة يكون بالخارج إلا وتسرق نظرات خاطفة بغرفته

وصلت للصالة لتجلس على الأريكة مربعة قدميها تسند يدها عليها لتضع رأسها على كفها منتظرة ما هو قادم وموجع تتمنى داخلها لو تضرب بقراره عرض الحائط وتترك القصر جالسة مع الخادومات بالجوار
كيف ستستقبله هو وعروسه؟!

انتفض معتز عاقدا حاجبيه ذاهلا غاضبا من فعلتها وعدم احترامها له

بينما تميم لا يقل صدمة عنه وكذلك الحضور نالوا نصيبهم

زفر معتز مشتعلا والتفت لتميم بنظرة حارقة كمن يخبره (أرأيت ما فعلته؟!) أشاح تميم بوجهه بعيدا عنه حتى لا يتلقى نظراته المتهمة وهو ينظر لمياسين بياس وحزن من تهور شقيقته وفعلتها التى ستظل على الألسن طيلة الوقت

اشتدت يده مشكّلة قبضة وتحرك ناويا أخذ تلك المتهورة والاعتذار للجميع عن فعلتها واستكمال الزواج حتى أمسكت مياسين يده مدركة ما هو مقدم عليه لترجوه بنبرة حانية:

- بالله عليك يا تميم ما تجبرها، غلظت في حاجات كثير ومنها اللى عملته بس متنساش حالتها الأيام اللى فاتت، هى المرة دى اختارت صح، أقف جنبها ومتبعدهاش عنه، مش هتقدر تعيش من غيره

يتطلع إليها تارة وتارة أخرى لأخته بأحضان طليقها
اعتصر عينيه بإغماضهما محاولا ترك غضبه جانبا والتفكير جيدا بالخطوة القادمة

يركّز على شيء واحد وهو البحث عن راحة وسعادة شقيقته وترك كلمات الناس السامة والتي كانت ستصدر لا محالة حتى لو وضعوا الماس تحت أقدامهم

زفر عنيفا طاردا كل شيء داخله وفتح عينيه
التفت مرة أخرى ينظر لزوجته الخائفة ليربت على يدها الممسكة يده الأخرى مطمئنا إياها فابتسمت براحة مدركة أن زوجها الحبيب لن يتخذ قرارا خطئا بحق شقيقته

كان معتز يراقبهما بذهول ظنا منه أن تميم سيقدر موقفه كرجل ركضت زوجته المستقبلية لأحضان غيره

اقترب معتز سريعا من تميم متمتا يكرز على أسنانه:

- إنت مش هتعمل حاجة

تنفس تميم عميقا محاولا عدم إحراج معتز او كسر خاطره فهو يعلم جيدا ما يشعر به فلا ننسى أنه رجل مثله وللحق لا يتخيل أن تفعل ميا خاصته به ما فعلته أخته

ابتلع ريقه متمتما بجمود مصطنع:

- آسف يا معتز بس هي اختارت خلاص

خرجت ضحكة متهكمة وقد أظلم وجهه غير مصدق ما تفوه به ليتحدث وقد قارب على الانفجار:

- نعم! بتهزر صح؟! بس عارف الغلط مش عليك الغلط على الهانم اللي مفكرة الكل لعبة في أيديها

أنهى حديثه يلتفت متطلعا لها لآخر مرة يحرك رأسه بيأس وقد خسر بمعركة كرامته قبل خسارتها هي، فلتذهب للجحيم لا يريد أى علاقة بها أو بتلك العائلة

أخفض تميم رأسه غير قادر على الدفاع عن أخته فمعتز له الحق بالتفوه بما يريد دون معارضته أحد، يحمد ربه أنه معتز لو شخص غيره لكان أقل شيء فعله هو عمل فضيحة له ولأخته لا تنسى لكنه متيقن أنه سينسحب احتراما لكرامته قبل أن يحترم علاقته بعائلته

أخرج معتز زفيرا عميقا ينظر حوله بجنون باحثا عن صغيره حتى وجده مبتعدا عنه بضعة مترات يتناول قطعة كعك في الخفاء بعيدا عن الأجواء ليركض ناحيته ممسكا يده يأخذه للخارج دون التفوه بأى كلمة أو إبداء ردة فعل أخرى لمن يراقبونه

كان يسير غاضبا رأسه بالأرض غير قادر على رفعها ورؤية الحشد يتطلعون له بنظرات شفقة على خيانة من كانت من المفترض أن تكون زوجته لكنها طعنت شرفه وكرامته بكل وقاحة وغباء

لا يعلم كيف وصل للسيارة وجلس بالخلف مع ابنه الصامت خوفاً من معالم والده التي
لا تتم على الخير أبداً

راقبه تميم وهو يخرج يتبعه بنظرات مصوبة بظهره بها حزن عليه ومن تسرع أخته

ليته ما طوعها عندما وافقت على الزواج من معتز، ليته رفض أن تعجل زفافها لكان
أعطاه الوقت بدلاً من أن تندس بأحضان الغريب الذي يحاوط وجهها يتمتع بالنظر
إليها بشغف!

عند تلك النقطة واسودت عيناه غضباً وغيرة على أخته الغبية التي تقف بأحضان
غريب لا يحل لها ليركض مسرعاً تجاههما فيكفى تلك المهزلة التي سينهيها توا

حركت مياسين شفيتها يمينا ويسارا منتظرة حرباً ستقام اليوم تكاد تبكى حسرة على
غباء صديقتها الذي دمر حلمها ويوم زفافها المنتظر طوال عمرها

- يعنى إيه بنت؟!!

صرخ قصى بها ما إن أخبره الطبيب أن زوجته تحمل أنثى ليهتاج رافضاً حتى التفكير
بذلك فما بالك باليقين

أفاق على نيرة التى أمسكت يده تضيق عينيها كمن تخبره أن يخرج دون أي فضائح
فلا ينقصها سباب أمام الناس

أوما لها بوعيد جاذبا يدها يُنهضها من الفراش عنيفا دون مراعاة بطنها الممتدة
أمامها حاملة نطفة ليس ذنبها أنها ولدت بأسرة بلا روح أو حب أو حتى عطف
متبادل بين الزوجين

خرجا من مكتب الطبيب المتطلع لأثرهما بتقرز مشفقا على حال المسكينة التى وقعت
ببراشن ذنب عقله كالقدماء لا يفكرون سوى بالذكور الحاملين اسمهم معتبرين الفتيات
وشما يلتصق بالجسد فيجعله مقززا يجب اقتلاعه

ما إن ركبا السيارة حتى أسرع بإمساك فكها بلا رحمة صارخا بها:
- جايبالى بنت يعنى مستحمل قرفك والآخر بنت

ضربت يده المقيدة فكها لتسقط جانبه صارخة هى الأخرى حانقة منه ومن أفعاله:
- وأنا مالى ياخويا أعملك إيه يعنى

أوما عدة مرات متنفسا بجنون عينية حمراء كلهيب نار مشتعلة أحرقتة داخليا ولم
تكتف بل أطلق سراحها تخرج من عينية:
- ماشى يا بنت عايدة بس أقسم بالله لو الحمل الجاى ما طلع ولد لأوريكى النجوم فى
عز الظهر

رفعت جانب شفتها مستهترة بكلامه متقرزة مما تفوه به واعتدلت بجلستها مربعة
يديها غير مبالية فقد اعتادت الضرب والتهديد ولا جديد

أنفاس متتالية وأصوات قلبه عالية تزف مقطوعة موسيقية بألحان متناغمة مع
ملامح وجهها التي قابلته ما إن التفت

لم يكن يحلم، تقف أمامه مبتسمة له وهو بكل غباء يقف كالأبله معقود اليدين لا
يتحرك إنشا واحدا

يبتلع غصته ومازالت الصدمة على معالمة لم تتركه تنفرج شفتاه ويتحرك لسانه
محاو لا إخراج ولو حروفا حتى لكن لا شيء يخرج سوى أنفاس ثائرة

لمعة عينيها المتطلعة له منتظرة أى رد منه قابلت سواد عينية من شدة الحزن الذى
حل عليه مؤخرا فتثيرها تمدها بلمعتها دون أن تبخل على معشوقها بشيء

أخيرا استطاع تجميع عدة حروف ليحاول ربطها معا وبؤبؤا عينية تهتران لكن
سرعان ما تعاود التصويب ناحية فانتنتها

- بجد

كلمة واحدة استطاع تجميعها فقد أنهت دموعه البقية بكل أنانية لتحتل هى الحديث كله

ضغطت على شفتيها وتجمعت الدموع بعينيها مستشعرة الألم بصوته والذى لطالما
حاولت تجاهله لكن الآن فلتطلق كل شيء، دموعها، مشاعرها، عشقها، غفرانها

هزت رأسها تومئ بلهفة فجحظت عيناه غير مصدق ما يراه، برهة مرت ولم يسمح
لغيرها أن تمر سوى وهى بأحضانها نحيبه يعلو مع ضحكاته السعيدة وما زال يشعر
أنه بحلم جميل لا يريد الاستيقاظ منه على واقعه المرير أبدا

تجمدت لثوان قبل أن تتحرك يداها مبادلة إياه تضمه لها والراحة والدفى تتسلل
داخلها دون إذن كما فعل عشقه بها

يعتصرها داخل أحضانها باكيا يرفع رأسه للسماء يغمض عينيه فتسقط دموعه على
وجنته ومنها لرأسها التى بالرغم من حجابها العازل إلا أنها شعرت بقطراته تحرقها
تعاتبها على أيام وشهور مرت دون أن ترأف بحال صاحبها ولو بكلمة حتى

يشعر بالنعيم، روحه تعود له مرة أخرى، الكون تلون حوله يستشعر بهائها رغم
إغماض عينيه لكن تكفى عينها ليرى بهما فنظرته ما هى إلا نابعة من عينها
السوداوين اللامعتين

أنزل رأسه ببطئ فله كل الوقت معها لا داع للتعجل مرة أخرى يدفن رأسه بحجابها
يستنشق مسكها

زادت هياما به وفرحة وأخيرا تستشعر عودتها لنفسها قبل عودة روحها وقلبها

عات لسكناها ومنزلها، عادت لأمانها

ساكنان بأحضان بعضهما تاركين كل شيء خلفهما غافلين عمن يقترب منهم مشتغلا
ينتشلها من أحضانها

ما إن شعر بابتعادها حتى أسرع ممسكا يدها خائفا من ذهابها بعيدا عنه وتركه مرة أخرى

التفتت لمن يمسك ذراعها عنيفا ليقابلها نظرات تميم الغاضبة المتهمة فنظرت حولها وقد أدركت مدى بشاعة فعلتها عندما لم تجد معتر أو ابنه والجميع يتحدثون بخفوت بالطبع عنها وعن مدى وقاحتها

ابتلعت غصتها حزنا وخوفا تنظر لمعشوقها زامة شفيتها بحزن قبل أن تعاود التطلع لشقيقها الصامت لكن ملامحه جامدة

نظر ساجد لها ومازال ممسكا يدها رافضا ترك طوق نجاته ، طال الصمت حول الثلاثي وساجد لا ينفك عن الارتجاف خوفا من أن تتركه بعدما أذاقته دفئها

لم يستطع الانتظار أكثر ليسرع محركا يدها لتنتبه له تنظر إليه فتحدث بلهفة:
- سديم إنتى سامحتينى وهترجى صح؟

كان تقريراً أكثر منه سؤالا ونبرته لا مزاح بها أو تمنحها الاختيار حتى فقد كان كمن يُعلمها أنها ستبقى رغم أنف الجميع

بللت شفيتها تتمنى لو تصرخ به أنها لن تتخلى عنه تصرخ بنعم أريد البقاء جوارك لكن من يمسك ذراعها الآخر يخيفها

تخاف أن يتركها بعدما وجدته لن تتحمل نظرة حزن أو عتاب منه

كانت لحظات صمت قاتلة شعر بروحه تخرج مرة أخرى منتظرا حديثها الذى لم يخرج منها وهى تزم شفيتها تحاول التحكم ببكائها

كل ذلك تحت نظرات تميم الثاقبة يراقبهما جيدا حتى تنهد عميقا يغمض عينيه لثوان قبل أن يبتسم بهدوء متمما بتعب من تلك الأحداث المتتالية:

- مبروك يا قلب أخوكى

جحظت أعين العاشقين ينظران لبعضهما صدمة من حديث تميم قبل أن تنفجر سديم بالبكاء فرحة تندفع لأحضان شقيقها تزيل يدها من يد عاشقها لتحاوط أياها ضاحكة بسعادة فبادلها شقيقها بحب

تحولت سعادته العارمة ودموعه الفرحة لعقدة حاجبين وشفيتين مزمومتين بضيق قبل أن يعاود إمساك ذراعها يجذبها ببطئ وخفية ناحيته!

ابتعدت رغما عنها من ذلك الذى يجذبها لينظر تميم لساجد رافعا حاجبه وقد لاحظ يده التى تجذب شقيقته يبعدها عنه رغم محاولاته بفعل ذلك بالخفاء

رأى ساجد نظرتة وعلم أنه كشف أمره لينزل يده تاركا إياها مبتسما بإحراج حتى تحدث تميم متسع العينين:

- وده إيه ده إن شاء الله

رفع كتفيه وأنزلهما ضاحكا بغباء ولكن داخله يتوعد لذلك التميم الذى لن يخبره بالطبع أنه يغار على معشوقته حتى من أخيها

فلينتظر أن تصبح ببيته ووقتها يفعل ما يشاء لكن الآن فلتتجنب غضبه ساجد!

ضحكت سديم بخفوت على تصرفه الطفولي ليشرّد ساجد بها لثوان معدودة قبل أن يحرك رأسه سريعا ليفيق وهو يهبط أرضا مستندا على ركبته يمسك يدها ويده الأخرى يضعها بجيب بنطاله مخرجا خاتما مزينا بماسات صغيرة يتوسطها ماسة كبيرة مبدعة للناظرين

تنفس عدة مرات قبل أن يرفع نظره مصوبا إياها تجاهها متحدثا بتوتر شديد لتلك المتطلعة له صدمة مما يفعله:

- وربي بعشقتك ومش عايز غيرك وندمان على كل لحظة قضيتها من غير ما أقولك بحبك وندمان على كل ثانية كنت فيها بعيد عنك

عايز أعوض اللحظات والثواني دي وإنتي فى بيتى وحلالى، تقبلى تتجوزينى من أول وجديد والمرة دي مش هتتجوزى ساجد لا هتتجوزى حبيبك اللى بيحبك أضعاف حبك ومستعد ينفذك كل حاجة تتمنيها حتى لو هتكون نهايتى، تتجوزينى

أنهى حديثه مخرجا زفرة حارقة ومال برأسه راجيا إياها عدم الصمت ولو لثوان لترحم إرتباكها الذى تحول لعرق غزير من جبينه حتى آخر رقبتة وكله أمل أنها ستوافق بلا شروط سوى شرط عشقه الذى سيقبله دون التفوه بأى حرف

أنصتوا جيدا لضربات قلبها تقرر على طبول أذنها التى لا تصدق ما سمعته من كلمات تلفظ بها لتطرب له أذنيها كما فعل سائر جسدها الذى يرقص فرحا كما يبدو لها لكن للناظرين يظهر جيدا مدى ارتعاشه

يضيق نفسها فهالته تأخذ كل مساحة حولها لترمقه بعدم فهم أحقا ما استمعت له يقصده بالمعنى الحرفى؟!

التفتت لأخيها المبتسم إعجابا بفعلة ساجد وقد أرضَ ما فعله حزنه على أخته وغضبه
من خيانتة

يشعر أنه سيصونها تلك المرة وسيرعاها خائفا أن تتركه مرة أخرى

عاودت عينيها بطريقها لعينيها منتظرة تأكيده لكلامه فقابلها بهزة رأس خفيفة عكس
ابتسامته المتسعة

صدرت ضحكات خافتة بحرية من سجن شفيتها المكتنزتين سرعان ما أومأت له
دامعة العينين

زفرة حارقة عميقة خرجت منه ونهض بلهفة ليحتضنها لكن تميم اللعين منعه بيده
التي دفعته ب صدره بعيدا عن محبوبته

نظر له حانقا متضايقا من فعلته ليرفع تميم حاجبه يحاوط أخته بذراعه متمتما:
- نكتب الكتاب الأول يا بابا مش هنستهبل إحنا

كز على أسنانه وعيناه تنتقل لليد المحاوطة معشوقته يريد كسرهما لكن صبرا ساجد

أوما له متجاهلا إياه يتطلع للخجولة بنظرات عاشقة فرحة وقد أشرق وجههما أخيرا

أفاقوا جميعا على صوت المأذون يضرب كفيه ببعضهما:

- يا أساتذة مين هيتجوز مين حد يفهمنى

ارتفعت ضحكاتهم وساجد يأكل الحديقة بقدميه يتجه للطاولة بلهفة طفل يجلس جواره
صارخا بحماس:
- أنا أنا هتجوز

مال على شقيقته هامسا يائسا:
- ملقيتيش غير الأهل ده تتجوزيه

ضربته سديم بكتفه ضاحكة غافلة عمن يرميهم بنظرات ثاقبة غيورة

تتحرك السيارة بأقصى سرعته رفم خوف السائق لكن ملامح معتز رئيسه المرعبة
أخافته فيكاد يطير بالسيارة ليوصله ويذهب لبيته يرتاح من نظراته المظلمة

يريح رأسه للخلف مغمض العينين ملامحه أظلمت وكأنها تحولت لرماد نار مشتعلة
داخله لتترك أثرها على وجهه العابس

انتهى خالد من تذوق الكريمة حول ثغره الصغير متقنا عمله ليعود بمظهر منمق فرفع
رأسه ينظر لوالده المخيف متوترا لا يعلم أيتحدث أم يحافظ على حياته
أكله الفضول ورغبته بإيجاد إجابة شافية لذلك فتحدث ونبرته خافتة مرتبكة:
- بابا

لم يبذ والده ردة فعل ولا بهمة حتى ليعاود الحديث مرة أخرى فلم يقابله سوى
الصمت كالعادة لتخرج الكلمة بصراخ بلا إرادة منه:

- باااااااااا

فتح عينيه على وسعهما وانتفض مصوبا نظرات حارقة تجاه ابنه الذى ابتلع ريقه
متوترا هامسا كجرو مبلل بالماء:

- إنت نسيت العروسة

عقد حاجبيه لثوان طويلة قبل أن ينفجر ضحكا على براءة ولده الذى أخرجه من
دوامة غرق بها طويلا دون أن يجد ولو عصا تنقذه تخرجه منها

مسح بكفيه وجهه محاولا الإفاقة ويده الأخرى تتجه لصغيره بنظراته البريئة
الفضولية يحتضنها متمتما بشرود:

- العروسة مكانها هناك يا حبيبى خلاص

لم يفهم كلمات والده ليتمتم محركا قدميه:

- يعنى هتتجوز ولا لا؟!

تنهد مجيبا يربت على رأسه يسأله بابتسامة شاحبة مماثلة لوجهه:

- إنت عايز إيه

حرك كتفيه ببساطة مبتسما له بحب:

- إنت قلت إنى هفضل معاك فمش مهم تتجوز ولا لا المهم تكون فرحان

كلمات بسيطة كانت بلسما على قلبه المكدوم لينشرح وعقله ينظر لما حدث بجانب
آخر

من يعلم قد يكون ما حدث ما هو إلا أمرا هينا أمام شيء أعظم أبعد الله عنه

زاد احتضانا لابنه الذى لم يبخل عليه بالمبادلة يبتلع آخر غصة برقبتة لينهى كل شيء بالماضى مقررًا عدم النظر لمن خذلوه فهم لا يستحقون تعكير حياته لأجلهم وسيعلم جيدا كيف ينهى الأقاويل ومنع تفوه أى حد بكلمة بحقه

يجلسان على الأريكة يتناولان الفاكهة مستمتعان بمشاهدة فيلما قديما حتى زفرت مقررًا الحديث تلتفت له:

- صلاح

همهم لها ونظراته عالقة على التلفاز بتركيز ليزداد توترها تفرك يديها:
- إنت عارف إنى حامل فى بنت وأكيد تحب إن يكون ليك ولد وكدة فيع...

أخيرا ترك التلفاز متطلعا لها لبرهة حتى تحدث بنباهة:

- قولى اللى عايزاه يا رحمة

صمتت لحظات قبل أن تتحدث بسرعة تخرج ما داخلها دفعة واحدة:

- أنا فى أواخر الثلاثينات وعلى ما أخلف وأرتاح من الخلفة والبنت تكبر شوية أكون خلاص مش هعرف أخلف تانى

أوما لها عاضا شفته السفلى قبل أن يريح ذراعه على ظهر الأريكة يلتفت بكامل جسده لها متحدثا ببساطة:

- قولى إن شاء الله

رمشت غير مصدقة متعجبة:

- إن شاء الله معرفش أخلف!

ضرب رأسها بخفة متمتما يائسا من غبائها:

- إن شاء الله تخلفى بنتنا وتكبر

- آه ... إن شاء الله

تمتت بها بخفوت منتظرة أن يتحدث وقد كان:

- أولا لو اكتفيننا ببنتنا بس فأنا معنديش مانع مش بفرق بين البنات والولاد كلهم من

دمى ولحمى وشايلين اسمى وفى النهاية الاتنين هيقولولى بابا

ده لو اعتبرنا إنك مش هتخلفى تانى

لكن وللحق مش قادر أناقشك فى الهبل ده لإنك بتتكلّمى ولا كان بكرة خلاص مش
هتخلفى

مش هتكلّم كلام حب وإنى بعشقتك ومش عايز غيرك لإنك محتاجة كلام عقلى أكثر من
قلبي فهقولك حاجة واحدة

تنهد مقتربا برأسه منها مبتسما بوجهها يطمئنها:

- إنتى لسنة قدامك بيجى ٧ سنين ويمكن ربنا يريد أكثر فتهدى يا حبيبتي لو عايزة

نخلف كل سنة تحت أمرك

أنهى حديثه ضاحكا بخفوت لتبتسم له مندفعة لأحضانها هامسة بحب:

- مش لدرجة كل سنة ههههه بس أكيد أحب يكون عندى بيبيها كثير

قَبْلَ رَأْسِهَا وَيَدِهِ تَلْعَبُ بِشَعْرِهَا النَّاعِمِ بَيْنَمَا رَأْسُهُ تَمِيلُ عَلَيْهَا لِيَلَامَسَ خَدَّهُ رَأْسُهَا
فَيَدَاعِبُ شَعْرَهَا اللَّامِعَ:

- تَوْمَرِي

أَغْمَضْتُ عَيْنَيْهَا وَلَفَرْتُ السَّكِينَةَ وَالْأَمَانَ وَالْحُبَّ حَاوِطُوهُمَا دَاعِمِينَ إِيَّاهُمَا يَحْمُونَهُمَا
مِنْ مَشْكَلاتِ الْحَيَاةِ

لَمْ يَكِدْ يَنْهَى دَعَائِهِ بِمَبَارَكَةِ اللَّهِ لَهَا حَتَّى انْتَفَضَ مَحَلُّهُ فَسَقَطَ الْمَقْعَدُ وَرَكَضَ تَجَاهَهَا
جَاذِبًا إِيَّاهَا مِنْ جَوَارِ شَقِيقَتِهَا الْعَابِسِ قَلْبَهُ يَبْكِي حَزْناً لِفِرَاقِ شَقِيقَتِهِ

انْتَشَلَهَا مَحْتَضِناً إِيَّاهَا دَامِعاً غَيْرَ مُصَدِّقٍ عَوْدَتِهَا إِلَيْهِ بِكَامِلِ رَغْبَتِهَا وَاخْتِيَارِهَا دُونَ
إِجْبَارِ أَحَدٍ لَهَا

ابْتَعَدَ بَبْطَى مُحَاوِطاً وَجَنَّتِيهَا غَيْرَ عَابِيٍّ بِمَنْ حَوْلَهُ وَالَّذِينَ قَلَّ عَدَدُهُمْ فَالْبَعْضُ رَفُضُ
الْبَقَاءِ بِتِلْكَ الْمَهْزَلَةِ وَتَرْكُ الزَّفَافِ!

ابْتَسَمَا لِبَعْضِهِمَا ذَاهِلِينَ مِنَ الْقَدْرِ الَّذِي جَمَعَهُمَا مَرَّةً أُخْرَى بَعْدَمَا ظَنَّا أَنَّهُمَا افْتَرَقَا
طَوَالَ السَّنِينَ الْقَادِمَةِ

دَمَعَتْ عَيْنُ تَمِيمٍ ضَاغِطاً عَلَى شَفَتَيْهِ لَا يَصْدُقُ أَنَّ صَغِيرَتَهُ تَرَكَتَهُ لِبَيْتِ زَوْجَتِهِ بَعْدَمَا
وَجَدَهَا مِنْذُ شُهُورٍ قَلِيلَةٍ فَقَطْ

لَوْ يَعْلَمُ أَنَّهَا سَتَتَرْكُهُ مَرَّةً أُخْرَى لَمَا سَعِدَ بِبَقَائِهَا مَعَهُ وَلَا تَعَلَّقَ بِهَا

شعر بيد على كتفه لينظر لصاحبه وزوجته الحبيبة التى عوضه الله بها ليلهيه عن
فراق أخته قليلا

وضع يده على يدها يزيلها يضعها على شفثيه مقبلا إياها يحاوطها بالأخرى مبتسما
لها يطمئننها أنه بخير

مشهدين يحملان العديد من المشاعر لا توصف ولو بآلاف الكلمات

يتحرك بخطوات بطيئة للداخل وابنه يسبقه ركضا مناديا إياها:

- ريرى ريبييرى إحنا جينا

كانت بوضعيتها جالسة على الأريكة شاردة منذ ساعات لتفق على صراخ الصغير
باسمها

تعجبت من عودتهما وانتهاء الزفاف بسرعة سرعان ما تنفست عدة مرات بعمق
طاردة الارتجاف والحزن خارجا

نهضت مستعدة لاستقبالهما لتجدهما دلفا للصالة بعدما قطعوا الممر الطويل وخالد
يندفع تجاهها حتى وقف بجانبها ممسكا يدها يحركها بكل الاتجاهات بمرح فابتسمت
له بحب وتطلعت إلى المراقب بهدوء لتعقد حاجبيها متعجبة
أين العروس؟!!

لاحظ التساؤل والفضول بنظرتها كما كان بنظرة صغيره ليبتسم بيأس على تشابههما

- أومال العروسة فين؟! -

تساءلت متعجبة لبيتسم بلا مرح وثغره مرتسم عليه الحزن كلوحة سوداء خالية من
الابداع أو ألوان تبهيتها:
- رجعت لجوزها

قالها ببساطة جانب فمه مال مبتسما ساخرا بينما هي جحظت عيناها لبرهة قبل أن
تصرخ ضاحكة:
- بجد

رفع حاجبه لضحكتها السعيدة فاستعادت نفسها لآعنة فعلتها متممة بحرج:
- آاا قصدى يا خسارة ... لا قصدى يعنى معلش ... احم كل شيء نصيب

رغما عنه ظهرت ابتسامة متعجبة بها بعض الخبث وهو يقترب منها هامسا:
- امممم يعنى مش فرحتى؟

نفث مسرعة تشير لنفسها بيدها الحرة فالأخرى يتلاعب بها الصغير:
- أنا؟ أفرح؟! لا طبعا ده انا زعلت جدا لولا خالد كنت عيط بس إنت عارف لازم نهىء
جو نفسى حلو للطفل

اندفعت ضحكات عالية يهز رأسه من أفعالها حتى هدا قليلا يتمعن بوجهها متمما:
- هو من ناحية حلو ... فهو حلو فعلا

ارتبكت ملامحا وقلبها يرتجف متوترا من همسه لتزداد ابتسامته وأشاح جسده بعيدا
عنها يصعد الدرج يريد النوم لساعات طويلة ينسى بها الأحداث المريرة

نظرت لأثره وما زالت بصدمتها لحديثه لكن داخلها تخطت تلك الصدمة لترقص
أعضاؤها فرحة خاصة ذلك القلب الأبله!

أفاقت على من يجذب يدها بشدة لتتنظر لأسفل حيث الصغير الذى همس ملتفتا حوله
حتى لا يسمعه أحد ويده الأخرى يضعها بجيبه يحاول انتشال شيء ما:
- بصى جبتلك إيه

هزت رأسها متسائلة وأزيل الإبهام عندما رفع يده أخيرا تاركا جيبه يفتحها لتجد قطع
من كعكة صغيرة مشوهة من كل جانب!

أعاد همسه مرة أخرى مبتسما بانتصار:

- خطفتها من البوفيه قبل ما يفتحوه ... كويس إنى عملت كدة وإلا كنت مأخذتش
حاجة لما بابا مشانى

انفجرت ضحكا عليه ويدها تحاول تجميع فتات الكعكة بيده هاتفة بصدمة:

- إنت بوظتها خالص وبوظت بنطلون البدلة كمان

نظر لبنتاله وكأنه أدرك تخريبه له لينظر لها بأسف حزينا على غبائه يتمم زاما
شفتيه:

- يا ريتنى حطيتها فى جيب بابا

ارتفعت ضحكاتها الهستيرية على براءته وهبطت محتضنة إياه بسعادة عارمة و طاقة
حضرت داخلها بعد استماعها لإلغاء زفافه!

كان على الدرج يراقبهما بنظرات غريبة وكأنه لأول مرة ينتبه لعلاقتهما الجميلة
وشغفها وكأن تلك الأحداث جعلته ينظر لمن حوله بجانب آخر وبطريقة أخرى!

- خلى بالك منها

قالها تميم بعدما ذهب الناس دامعا ينظر لشقيقته باشتياق فسيغيب عنها لشهر كامل
لسفره بالخارج يقضيه مع زوجته التى تكاد تطير فرحا من تلك المفاجأة الأخرى فكم
كان حلمها أن تسافر لدولة أجنبية تشاهد عالما آخر

تركت ساجد تندفع لأحضان أخيها باكية باشتياق له متممة:

- هتوحشنى أوى

- لو عايزانى أفضل هفضل

قالها مربتا على ظهرها بحنان لتصرخ مياسين غاضبة:

- لا أنا هسافر يعنى هسافر

انفجرا ضحكا عليها لتهمس سديم بخوف مصطنع:

- يا ساتر سافر يابنى لحسن تقتلنا

ضحك عليها بينما عادت لأحضانها مرة أخرى فلم يعطها من يشتغل غير لحظة أخرى لينتشلها مسرعا متحدثا بضيق:

- كفاية أحضان

نظرت له بملامح متكدرة ليبادلها كمن يرجوها أن تقدّر غيرته فابتسمت بأسف ليس أمامها سوى الموافقة

مصمص تمیم شفتیه کالنساء ونظر لمن تتطلع لأخته وزوجها بهیام هامسا لها:

- بیغیر علیها منی ... یاکشی البعیدۃ تحس وتغیر علیا منها

انتبهت لهمسه تعدد حاجيها متعجة حديثه الغبي:

- إنت أهيل أغير عليك من أختك

- یا اربی

صرخ بها بخفوت لتبتعد عنه مستكرة حديثه

قطع نظراتهم حديث ساجد الذي اقترب ليصافحه متحدًا بحب:

- متقلّش فی عینیا

قبل أن تتلامس يديهما صرخت مياسين به تمسك يد زوجها متممة:

- لا متسلمش عليه

تعجبوا من حديثها وتراجع ساجد للخلف بينما مالت مياسين على زوجها متممة بانتصار وفخر بهمس بالنسبة لها لكنه واضح للجميع:

- ها غرت عليك أهو ... عجبك؟!!

رفع جانب شفته العليا ناعيا إياها فزواجها أفقدها صوابها بينما سديم تكتم ضحكتها بصعوبة عليهما تعلم جيدا أن صدمة زواج مياسين من أخيها جعلتها بلهاء قليلا بينما ساجد ينتظر بفارغ الصبر للذهاب يختلى بمعشوقته فلم يقدر البقاء أكثر ليتحدث بلهفة:

- طيب ودّعنا بعض يلا بالسلامة بقى وهنتقابل الشهر الجاى إن شاء الله على اتصالات بقى

يتحدث دون إعطائهم الفرصة فقد جذب زوجته للخارج تتحرك بصعوبة من فستانها تهمس له ترجوه كالأطفال أن يدعها تذهب مع أخيها للمطار تودعه ليقطع وصلات همسها وهو يحملها يقبل جبينها متمتا:

- اهدى يا قلبى ومتحاوليش مش هيحصل

عقدت يديها حانقة ليضحك بدون صوت عليها حتى لا يزيد حنقها

نظر تميم لأثرهما متنهدا دامعا لتحتضنه مياسين مطمئنة إياه:

- متقلقش هو ندم ومش هيزعلها تانى أبدا

ابتسم لها وأزال دمة فرت من أغلال رموشه وقرر ترك كل شيء حتى لا يأخذ حق من تحتضنه بالسعادة ليبعدها ويحملها بمرح متمتا:

- يلا على المطار يا هبلتى

حركت قدميها لأعلى وأسفل بطفولة وفرحة لتزداد ضحكاته عليها وداخله زفاف لم ينتهى ولن ينتهى بقربها

آه كم تأكد عشقه لها عندما دعمته بذلك الموقف ولم تتخل عنه بل أرشدته للصواب
وها هي أخته سعيدة الآن تنعم بحياتها وهو أيضا سينعم بإذن الله بلا دموع أو حزن
بعد الآن

راقبت تعابير وجهه وداخلها تتذكر كل لحظة مرت عليها وكل دمة خرجت عليه وكل
دعوة تلفظت بها أن يكون من نصيبها

أغمضت عينيها تستمتع بتلك اللحظات ليميل عليها واضعا جبينه على خاصتها
مبتسمان بخفوت وحب غير مفكرين سوى بقربهما وتلك اللحظات الساحرة التي
يدعون دوامها ودوام ذلك الحال

أنزلها أرضا ليفتح الباب سرعان ما حملها مرة أخرى رافضا أن تسير ولو خطوة
واحدة

تحرك بها للداخل حتى أنزلها بمنتصف الغرفة ولم ينقطع الاتصال بين نظراتهما
الهائلة

حاوط وجنتيها يتمعن بها وبكل إنش اشتاق له
عينيهِ متلألئة فرحة بعودة روحه إليه
بلل شفثيه محاولا الحديث بينما سديم لا تقل مراقبة له

لم يستطع التفوه بأى شيء سوى بكلمة واحدة شغلته طوال الطريق يريد إجابة أكيدة
لها لا تحمل تشككا:

- سامحتينى؟!!

أومات له سريعا تزيل حزنه وخوفه ليحتضنها بلهفة مقبلا وجنتها هامسا:

- بعشّقك

- بعشّقك

وقد كانت بداية جديدة لعشق جديد لا نهاية له

استيقظ وعقله ينهره للنوم مرة اخرى أصبح كسولا منذ عودتها لسكناها داخل قلبه حتى لم يذهب للعمل سوى للضرورة القصوى ضاربا اعتراضها وتذمرات العاملين عرض الحائط فلا يريد سوى قربها والتنعم جوارها

مر أربعة أشهر وشوقه لم يترك درجته بل يعلو أكثر حتى ولو بجانبه كم يعشق سديمه ويسب نفسه كلما تذكر أنه منع نفسه عن النعيم الذي به بما كان يفكر عندما قرر الجفاء معها معتقدا أن المعاملة الحسنة ستعوض المشاعر حقا كان أحقا وها هو يزيج الحمق عنه باستغلال كل لحظة ليظل معها

رمش عينيه عدة مرات يضع الكسل جانبا ويده تتحرك جواره باحثة عنها لكن لم يقابله سوى الخواء وهواء بارد لفحه ليعتدل ناهضا معقود الحاجبين يتطلع حوله متعجبا حتى ابتسم يائسا فكم من مرة أكد ألا تنهض وتتركه سوى عندما يستيقظ فما إن يفيق ولا يجدها جواره يتذكر الليالي المظلمة الخالية من قربها فيعود ألم قلبه وخوف عقله من تكرار تلك الايام لكنه أقسم سيفعل قصارى جهده ويضع كل شيء تحت قدميه وبأمرها لترضى عنه ولا تفكر بالرحيل أبدا

نهض من الفراش متكاسلا عازما على تعنيفها قليلا حتى لا تكرر فعلتها فالحنان جعلها تتجاهل خوفه دون مراعاة لقلبه المكدوم الذى لم يشف تماما بعد

هبط الدرج مناديا إياها غير ناسيا إتباع اسمها بياء ملكيته أحيانا حتى استمع لصوت الباب يفتح

انتهى الدرج وتعجبه لم ينتهى وهو يقطع الممر الطويل نسبيا متجها للباب ليجدها تدلف تتطلع يمينا حتى لا يراها ليختبئ خلف الحائط قبل أن تتطلع يسارا

تفحصت كل اتجاه خلسة خائفة أن يكون قد استيقظ لتزفر براحة والسكون يحل على المكان

قبضت على الحقيبة الصغيرة بيدها بينما الأخرى تغلق الباب ببطئ وحرص

التفتت سديم تقطع الممر تسير على أطراف أصابعها لتصرخ فزعة تستشعر أحد يحتضنها من الخلف

أنهى أعماله ليرفع رأسه عاليا ينظر لسقف مكتبه يتذكر تركها له كما تركه الآخرون

كم حزن كثيرا حتى شعر بتقلصات ببطنه وألم استمر لأيام لا يتذكر سوى تلك اللحظة التى دلفت بها لمكتبه طالبة الاستقالة من عملها تاركة إياه وصغيره بعدما تعلقا بها وأصبحت جزءا لا يتجزأ عنهما

بعدما اختلطت بهما لتصبح كالدماغ تجرى بشرايينهما اقتلعت نفسها من داخلهما بلا
رحمة رافضة استكمال عملها

هاج وغضب وصرخ كثيرا وكان أغبى شيء فعله فقد أخافها غضبه وثورته لتصر
على الاستقالة أكثر وأكثر بحجة رفض والدها للعمل

انفجر صغيره خالد بالبكاء طويلا وامتنع عن الطعام كما امتنع والده واصبح منعزلا لا
يفعل شيء سوى النحيب ومهافتها يرجوها العودة لكن قلبها القاسى يرفض دائما

تنهد مبعدا تلك الأيام من ذاكرته لا يريد تذكر حالته وحال صغيره المبكية للعين وقد
أدركا أنها أهم أساس بقصرهما الضخم الذى لم يعوض شيء به فراقها

بلل شفتيه وبدأت ابتسامة خافتة واضحة عليها عندما تذكر ما وصل إليه يعيد بها أيام
قربها وقد تيقن من دقات قلبه المتتالية وعلم جيدا أنه لن يستطيع التخلي عنها يوما
فهي تجرى بدمه وكم قلبه ... يحبها!

نهض تاركا المقعد والراحة تسرى داخله وجسده البارد تدفأ من تخيله للمستقبل
ليسرع لغرفة ولده يزيح عنه هو الآخر غمته بمشاركته ذلك الخبر الذى سيكتمل بإذن
الله

تسير كالعجائز تضع يدها على بطنها والأخرى تسند بها ظهرها تتحرك ببطئ شديد
على الدرج لتهبط مجهزة الفطور بينما خلفها زوجها المشتغل من أفعالها المبالغ بها
يريد الوصول لأسفل لكنها تقطع عليه الطريق ولو ظلت هكذا سيزيل تلك الحواف على
الدرج ليهبطه بالقفز من الجانب حتى ولو كُسِر فعلى الأقل لن يكون تحت رحمتها!

مرت دقائق ومازالت لم تخطو سوى خمس درجات ليتبقى خمسة آخرين

كز على اسنانه صارخا بحنق:

- ما يلا يا ميا الكلب

توقفت عن السير كالسلفاء تلتفت له منفرجة الشفتين صدمة من وقاحته لتتصنع
البكاء كعادتها:

- الحق عليا خايفة على ابنك ولا الحق عليا عشان مش عارفة أمشى منه

رفع حاجبه من دراميتها المعتادة ضاحكا بيأس منها وأفعالها التي تضي على حياتهم
روح وألوان مبهجة خاصة بهما:

- مش عارفة تمشى إيه؟! ده إنتى لسة فى الشهر الأول ... ده انا كرشى باظظ عن
بطنك!

اشمنزت منه حانقة لثوان قبل أن تعقد حاجبيها مدركة صحة حديثه لتهز كتفيها
ببساطة مقلدة ممثلها المفضل:

- مش عاجبك طلقنى

منع ضحكة صاخبة من الخروج يدفعها للجانب ليهبط الدرج أولا يشيح بيده متمتما
وقد انفرجت شفتيه بمرح:

- ولما نطلقكم تشكونا فى محكمة الأسرة

- ها

قالتها بغباء قبل أن تهبط الدرج سريعا منافية لخطواتها البطيئة فأصبحت كأسد ينقض على فريسته تصرخ به متجهة خلفه للمطبخ:

- طلاق إيه يا راجل تعالى هنا ده انا متجوزاك بقلع الضرس قال طلاق قال

تعالى ضحكاته عليها يلتقط فاكهة يتناولها مصبرا نفسه بها حتى تبدأ تلك السلحفاة عملها بإعداد فطور مماثل ليديها الشهية وهو يحوم حولها يراقبها بعشق ويأتى لها بما تريد محاولا إراحته قدر الإمكان وينهيان عملهم سريعا فليدعم ضيافة عند شقيقته لتناول الغداء معهم

حمل رضيعته الجميلة تحمل معالم وجه والدتها يهددها حتى تنتهى رحمة من ارتداء ملابسها

ثوان وخرجت من الغرفة لتذهب ناحيته تقبل وجنته بحب:

- يلا يا حبيبى

بادلها القبلة بشغف متمتا بنبرة عاشق لن يزول عشقه يوما:

- يلا يا حبيبتى

أمسكها بيد والأخرى تحمل طفله بعدما أحكمت رحمة الغطاء عليها يسيران بالخارج براحة وسكينة تامة وحياة هادئة لا تخلو من الحب

كان يراقبها خلصة تسير كالسارقات الفاتنات ليقرر إفزاعها ليلقنها درسا لا تنساه
فتعلم جيدا مدى الرعب الذى يعيشه عندما لا يجدها

ما إن سارت أمامه غافلة عمن يختبئ بالخلف حتى اقترب مسرعا يحتضنها بعنف
وشوق لتصرخ فزعة

هوى قلبها أرضا والخوف تملكها قبل أن تلتفت له تضربه بخفة حانقة تلفظ أنفاسها
الثائرة:

- حرام عليك رعبتى

تعالى ضحكاته الصاخبة ويده تحتضن ذقتها الناعم متمتما بنصف عين يعاتبها:

- عشان تحسى بيا لما أصحى ومش الأفيكى جمبى ... كنتى فىن منبه عليكى
متقوميش حتى لو صحيتى قبلى

انتبهت حواسها جيدا انه أماما لتزداد قبضتها على الحقيبة تخفيها خلف ظهرها
معتذرة راجية إياه:

- معلش آخر مرة والله

لم ينتبه لكلماتها بقدر انتباهه لما تخفيه ليدرك جيدا لم خرجت بالتأكد لشاغلها الوحيد
وأمنيته الجميلة

تهد مبتسما بأسف يحيط وجنتيها يتحدث بنبرة حانية كأب يعاتب ابنته ولا يريد لها ان
تحزن منه فيغلب على حديثه الحنان والرفقة:

- برضو جبتي اختبارات تانى ... يا حبيبتي انا وافقت على طلبك وكشفنا والحمد لله
طلع مفيش مشاكل والموضوع شوية وقت مش أكثر ... يبقى ليه نستعجل ونوجع
دماغنا

ضغطت على شفتيها واحمرت عينيها مجيبة بنبرة مختنقة حزينة أهلكتها التفكير
والتمنى:

- الحمل عمره ما كان وجع دماغ ... أنا نفسى أبقي أم يا ساجد وأشوف بيبي بيلعب
حواليا ... احنا اتجوزنا ييجى لسنتين ودلوقتى ٣ شهور ومفيش حمل ومياسين ٣
شهور بس وما شاء الله حملت

زفر عميقا واقترب يقبل وجنتها عل الوجع يتركها وسيستقبله برحابة صدر لأجلها
فقط:

- صدقيني والله ربنا رايدلنا الخير ... طب فكرى كدة لو كنا خلفنا فى جوازنا الأولانى
... برأيك ابننا كان هيبقى مرتاح ... برأيك الفترة دى كانت تستحق نخلف فيها

صمتت مفكرة بحديثه ودمعة هبطت من أسر عينيها ليزيلها بلهفة مانعا إياها من
تلويث وجهها النقى

تذكرت تلك الأيام وكل لحظة بكت بها فبرغم حنانه إلا انه كان يلقيها الجفاء أحيانا
عندما تذكر عشقها وأنه لم يخبرها يوما بحبه حتى

تذكرت ركضها ورائه تلهث كالكلاب تنتظر ولو عظمة صغيرة يلقيها رافة

ما إن استحضرت الذكريات البائسة حتى أغمضت عينيها عنيها متألمة

لاحظ الإمارات البادية عليها ليسارع باحتضانها حتى لا تستشعر أنها تسرعت
بمسامحته فما فعله بالماضى لا يغتفر

اندست أكثر بأحضانها طاردة كل شيء وقد شعرت بمدى صحة كلامه وغفلتها عن ذلك
فمن سيتمنى أن ينبج بعائلة مفككة بلا روح عليها كانت حكمة ربها ألا تنجب إلا
عندما تستقر أوضاعهم

- عندك حق ... أنا بحبك أوى

قالتها تستند على صدره المتصلب من قربها ورائحتها الزكية ليبتسم بخفوت وحب
عليها مجيبا هو الآخر براحة:

- وأنا بعشقك ... ممكن بقى منعملش الاختبار انهاردة

مصممت شفتيها ورفعت رأسها متطلعة له بعمق تعلم خفايا طلبه:

- متقلقش مش هعكنن عليك بالذات أن تميم جاى يزورنا مع ميا

رفع حاجبيه وضغط على شفتيه فقد كشفت أمره فلا يريد أن تخضع للاختبار حتى
إذا قابلها الخبر البائس فلا ينقلب وجهها طوال الجلسة وتحزن أمام شقيقها الذى لن
ينفك عن تعنيفه وقد يصل الأمر للتطاول باليد فهو منتظر أى غلطة منه وحتى ولو لم
يكن الفاعل!

كالعادة وحيدة بفراشها والدموع تهبط عنيفا على وجنتها الناعمة تبكى ألما لفراقهما

ما إن أدركت أن مشاعرها ما هي إلا حبا له حتى سارعت بتقديم استقالتها رافضة أى لحظة أخرى جواره لتسلم من جاذبيته

تحطم قلبها من ذلك القرار لكنها تريد أن تحيا بعيدا عن المشكلات التى ستواجهها مستقبلا وهى تضع زهرة شبابها بجانب من تحبه والذى لن يحبها يوما

أزالت دموعها بوجع تتذكر خالد الصغير الذى تعلقت به بشدة فأصبح صغيرها تستشعر أنه ابنها وليس ابن غيرها ويشهد الله أنها عاملته كما تعامل الام وحيدها بل أفضل

ابتلعت غصة داخلها والاختناق يسيطر عليها منذ أن تركت العمل بحجة رفض والدها لكنها حاولت الحفاظ على نفسها

ظنت بابتعادها ستنساه وتحيا من جديد تحصل على وظيفة أخرى لكن لم تزد سوى سوءا وضافت عليها الأيام كما ضاق المنزل حولها لأول مرة تشعر أن ذلك ليس منزلها بل سكنها هناك جوارهما تشعرا أنهما عائلتها الحقيقية

جفلت ما إن فُتح الباب لتحاول إزالة دموعها سريعا لكن لاحظت والدتها فعلتها لتبتسم فى الخفاء فالفرج قريب!

- أخوكى جه مع مراته يا حبيبتي يلا البسى وتعالى

أومات لها تنهض من الفراش حتى توقف متممة ببحة باكية:

- ألبس ليه مش قادرة هقابلهم كدة عادى

توترت ملامح ثريا لا تعلم بما تجيب حتى تحدثت بلهفة:

- أصل زميل أبوكى جاى يتغدا معانا ولازم تلبسى حاجة كويسة لحسن ييجى فى أى وقت

أومات شريفة لها غير مهتمة بأى شيء فليفعلوا ما يريدون لتجيب ثريا بفرحة وضحكة سعيدة:

- هدومك مجهز هالك فى الحمام يا حبيبتي استحمى وتعالى

أنهت جملتها لتخرج من الغرفة مغلقة الباب تتبعها نظرات شريفة المتعجة من تصرفات والدتها الغريبة!

- وحشتنى أوى

قالتها سديم بفرحة عارمة تحتضن شقيقها تارة ومياسين تارة أخرى ضاحكة بسعادة برغم لقاءاتهم التى تكاد تكون يومية لكنها تشتاق كثيرا لهما

انتهت الأحضان بنظرات غيورة حانقة منه لكنه وعدّها أن يتحكم بغيرته ويتركها تفعل ما تشاء حتى أنه وافق بكل غياب تركها تذهب للجامعة بشرط أن يوصلها ذهابا وإيابا وتخبره بكل صغيرة وكبيرة

وكان ذلك يكفى!

يجلسون على الأريكة يتسامرون بألفة وحب حتى نهض ساجد من مكانه متحدثا:

- تعال يا تميم عايزك تقرألى كام عقد كدة قبل ما أمضى عليهم لحسن مش مطمئن
بصراحة لصاحبهم وحاسه بيلعب من ورايا فادينى رايك

أوما تميم له ناهضا متجهين للمكتب تاركين النساء يتمرون على كل من يذكر
بخلوتهم التى تحضرها الشياطين مستمتعين بها!

- يا لهوى مش قادرة أتخيل منظرها وهى بتقع

قالتها مياسين ضاحكة بصخب لأخبار سديم المفرحة عن فتاة متعجرفة معها بالجامعة
وقد سقطت اليوم أمام الجميع لينفجروا ضحكا عليها

شاركتها سديم الضحك لشوان حتى اختفت ابتسامتها رويدا تنتهد بخفوت وحلّ الوجوم
عليها

لاحظت صديقتها تعابير وجهها التى انقلبت لتقترب منها أكثر مربطة على يدها متممة
بقلق:

- مالك يا سديم

زفرت بوجع والتفتت لها مختنقة:

- نفسى أحمل أوى وخايفة عمرى يضيع من غير ما أخلف

ربت مياسين على يدها تنفى رأسها لكلمات صديقتها لتطمئنها:

- متقلقش يا قلبى بإذن الله خير وبكرة تحملى مرة واثنين وتجيبي بببيها كثير
تقرفنا

أنهت جملتها ضاحكة لتخرج صديقتها من دوامة ألمها لكن لم تتلق سوى الفشل لتزم شفتيها حزينة وعم الصمت دقائق حتى أردفت سديم مرة أخرى بألم ورجاء لا تعلم لمن:

- بس مش عارفة ليه حاسة ... حاسة فى روح جوايا ... حاسة إنى ... حامل

جحظت عيناها بلهفة وحماس متحدثه بخفوت:

- طب ما تحلى ولا تكشفى يمكن فعلا حامل

عضت شفتها مفكرة والخوف مرتسم عليها:

- ما هنا فى اختبارات حمل لكن خايفة يطلع مجرد إحساس وكل أملى يضيع

نفت مياسين لها وقد تملكها الحماس والطاقة ناهضة بعنف تجذب صديقتها معها متممة بكلمات لا تحمل نقاشا:

- لا هنقول للخوف باى باى دلوقتى ونطلع حالا تجربى ونشوف وإن شاء الله خير

انقادت تحت جذبها وداخلها تتمنى لو تتيقن من إحساسها وألما لا تلقيه كما ألقت غيره

كانوا منشغلين بالحديث والضحكات عالية وعاصم يحتضن حفيدته يلاعبها براحة وحب ظهرا بوجود حفيدته الأولى والمدللة طاردا فكرة رغبته بذكر ما إن شاهد تلك الملاك ببراعتها ومرحها وهى تضحك بوجهه مهمة بطفولة

قاطع حديثهم صوت جرس الباب لتتلفظ ثريا بلهفة متممة:

- ده جه روحوا استقبلوه ومعلش يا رحمة يا حبيبتي جهزى الضيافة على ما أشوف شريفة اتأخرت ليه ... آه ومتنسوش تدخلوه أوضة الجلوس وتطلعوا زى ما اتفقنا

أوما الجميع بلهفة كلّ يؤدى دوره بقدر استطاعته بينما ركضت ثريا للداخل لترى ابنتها

انتهت من ارتداء ملابسها ووضعت حجابها المنمق لتجد والدتها تدخل مندفعة هامة:

- الراجل جه يلا تعالى

عقدت حاجبها متعجبة:

- وأنا مالى ... على العموم خلاص خلصت

اقتربت ثريا منها

ثوان وكانت يدها تعبت بوجه ابنتها تقرص شفيتها تارة ووجنتيها تارة أخرى غير عابئة بتألم شريفة وصرخاتها الخافتة المتوجعة حتى ابتعدت بعدما احمر وجهها تماما مردفة بفخر:

- أيوة كدة خلى الحمار الطبيعى يظهر ويبان

تحسست شريفة وجهها بألم حانقة غاضبة:

- حمار طبيعى إيه ده شوية وكنتى هطلعى خدودى فوق وتنزلى عيونى تحت من كتر الفعص

أشاحت ثريا بيدها غير مهتمة تضيف بنبرة حازمة:
- بصى بقى الراجل جه أهو فى أوضة الجلوس ادخلى سلمى عليه وتعالى

زفرت بغیظ فما دخلها ولم تسلم عليه فليأخذ واجبه ويذهب لكن لا تنقصها محاضرات
من والدتها فلتفعل ما تريد ليحلوا عنها

- لا يا عم الورق تحسه مضروب نصيحة بلاش شغل معاه ولا تصممله حاجة

قالها تميم بعدما تفحص الورق أمامه بحرص ليومئ ساجد براحة لحديثه:
- أنا حسيت كدة برضو خلاص بلاها شغل معاه

هز تميم رأسه له وجاء يتحدث ليقاطعهم صوت صراخ زوجتيهما بالأعلى فانتفضا
بفرع عارم راكضين للخارج وقلبيهما يضرب قفصهما الصدرى من فرط الخوف فيتألم
جسدهما

فتحت الباب بهدوء بعدما طرقتة ثلاث مرات بخفة لتدلف منحنية الرأس:

- السلام عليكم

- رييبرى

صوت صراخ رفيع طفولي مزعج لكن أثره كبير على أذنيها التي اشتاقت لتلك النبرة
فرفعت رأسها بلهفة لتجد خالد الصغير ينهض تاركا والده يركض ناحيتها ليحتضنها
فقابلته برحابة صدر وهبطت لأسفل على ركبتيها محتضنة إياه بشدة وازداد احمرار
وجهها اختناقاً من غصتها واشتياقاً له

ابتعد مسرعا معاتبا إياها بطفولة:

- وحشتيني أوى كدة تسيبيني

تلمست وجهه وشعره بلهفة متممة باعتذار وحب:

- معلش يا حبيبي غصب عنى بس إنت كمان وحشتنى أوى

جاء الصغير ليتحدث فاعترض طريق كلماته كلمات والده الخبيثة كنظرته:

- طب وأبوه موحشكيش ولا كنت كيس بامية طول قعدتك معانا

رفعت وجهها سريعا تنظر له بلهفة

آه كم اشتاقت له ولعينيه اللامعة ووجهه الرجولي الجذاب

كم ارتفعت دقات قلبها مطربة لصوته الذى عشقته وتمنت سماعه مرة أخرى

توترت ملامحها من نظراته وهى تنهض بعدما تركها خالد يجلس جوار والده نافخا
صدره كالرجال محاولا جعل ملامحه صارمة بعض الشيء!

نظرت حولها مرتبكة خاصة من نظراته التي تقتحمها بلا خجل وتعجبت من كذب
والدتها عليها

- اقعدى ده البيت بيتك

قالها معتز بضحك ومرح لتهمهم له خجلة وهى تجلس بالأريكة المقابلة له وبدأ العرق الغزير يظهر عليها ومقلتيها تهتز بكل مكان

حل الصمت عليهم والصغير يتطلع لكل منهما بفضول منتظر حديث والده الذى كان يجمع شتات كلماته وشجاعته حتى أردف:

- أنا جاى عشان ... أطلب إيدك

- إيه

انتفضت كمن صعقت أو لدغها أفعى ناهضة والصدمة بادية عليها ويدها تتحسس جبهتها ودقات قلبها عالية تكاد شرايينها تنفجر من شدة ضخ الدماء بها لتتمتم بما يعارض قلبها ولا تعلم كيف تفوهت بذلك:

- عن إذنك طلبك مرفوض

انكمشت ملامح الصغير حزنا وخوفا وهو يراها تتجه للخارج قبل أن ينهض والده معترضا طريقها متمتما بهدوء:

- ممكن أعرف ليه

- من غير ليه

كانت جافية بردودها لكن لقلبه كالعسل الشهي يتقبل أى شيء برحابة صدر

- بحبك وعائزك حلالى

قالها دون أدنى تفكير لتجحّظ عيناها مما تفوه به صدمة وقد وصل بها الحال لوضع أسوأ لا تشعر بسائر جسدها ولم تجد مفرا سوى دفعه وفتح الباب لتفجع فالعائلة كلها تقف على الباب يتصنّتون لما يدور فتراجعوا محرجين ما إن كشفت فعلتهم

اخترقت صفوفهم بصعوبة تستكمل طريقها لغرفتها والنيران تخرج منها تحرقها حتى توقفت على كلمات معتز الخبيثة يظهر بها حزنا ولكن ما خفى كان أعظم:

- خلاص یا عمی الظاهر مفیش نصیب

- نانا اعم

صرخت بها صدمة من جملته الغبية أترجع عن قراره لمجرد جفائها؟!

كم هو معتوه جاهل بأفعال النساء!

انفجر الجميع ضحكا عليها خاصة هو الذي أشرق وجهه وقد تأكد أنها ترغبه كما
يرغبها لتشعر بفجاعة فعلتها وقلة حيائها فركضت لغرفتها مسرعة تغلق الباب عنيقا

وقفت خلفه تستند على الباب وقلبها يقرع بالطبول تضع يدها عليه تهديدات عميقة تصدر منها حتى دمعت عيناها تشهق بخفوت غير مصدقة ما حدث

أحقا طلب يدها ولأول مرة تشرق الشمس على حياتها فتيرها؟!

كان يتطلع لأثرها بحب قبل أن يردف بلهفة لوالدها:

- ها يا عمى اطمنت إنها موافقة يبقى على معادنا بكرة نيجي نتفق على كل حاجة

أوماً عاصم له الذى تعلم من خطأه سابقا وألا يأخذ بالمظاهر وقرر لن يزوجها سوى بإرادتها حتى لو لم تتزوج أبدا يكفى راحة بال ابنته الحبيبة

نادى ابنه واتجه للخارج بعدما ودع العائلة السعيدة بالفرح الذى سيعم عليهم وقبل أن يخرج من المنزل التفت ينظر لغرفتها ليجد بابها مفتوح قليلا وهى تنظر له خلسة!

غمز لها بابتسامة ساحرة ليرتجف جسدها وقد تصلب حتى لم تقدر على غلق الباب

قطع لحظتهما جذب صغيره ليده هامسا له:

- على فكرة إنت وعدتنى تلاقيلى عروسة لو سبتلك ريرى

ضحك بخفوت عليه يتذكر غضب صغيره عندما أخبره أنه سيتزوج شريفة وتسكن معهم ليصرخ به أنه من سيتزوجها وينتظر أن يكبر قليلا!

يحمد ربه أنه يحمل صور أطفال على هاتفه ليريه فتيات جميلات واعداء إياه أن يزوجه فائنة تناسبه ليقنع على مضض!

خرج من شروده يلقي نظرة أخيرة عليها قبل أن يخرج وداخله دقات ثائرة وحب عارم

اتسعت ابتسامتها وتلألأت عينيها حتى أغمضتها لتخرج اللآلى بحرية تتخيله داخلها أغلقت الباب واندفعت للفراش وقبل أن تجلس عليه وصلتها رسالة بتلك النعمة المخصصة له لتمسك الهاتف بلهفة تفتح الرسالة

(إنتى بنتى قبل ما تكونى حبيبتى ومراتى المستقبلية ... يعنى مش هاممنى أبدا

هتخلفى ولا لأ لإنك طفلتى الأولى واللى مستعد أكتفى بيها 

احتضنت الهاتف تجاه قلبها تبلل شفيتها ذاهلة من كل تلك الأحداث تحمد ربها تضحك
كالبلهاء سعادة
من حياتها القادمة التي ستعوضها عن كل ما فاتها

فتح باب غرفته يندفع للداخل وتميم خلفه ليستمع لصوت بكاء معشوقته بالمرحاض
فاندفع للداخل بلهفة وخوف

وقف على أعتاب الباب يشعر بأعصابه بُعْثرت وجسده يرتعش ليجدها على الأرض
تبكي بيدها اختبار حمل

أغمض عينيه لا عنا داخله يتنفس بعنف والارتجاف لا يتركه

حاول التحكم بأعصابه وعدم الغضب عليها لما فعلته بها ليتجه ناحيتها يجلس أمامها
مقدرا رغبتها وحزنها

حزن تميم وقد انتبه للاختبار بيدها فعلم أنها كالعادة لم تحمل نطفة داخلها بعد ليشير
لزوجته الجالسة جوار سديم دامعة مبتسمة!

نهضت مسرعة إليه تجذبه للخارج تاركة صديقته وزوجها تنظر لميم ضاحكة
بخفوت تومئ له

تعجب لثوان حتى اتسعت عيناه بعدما فهم مقصدها لترتفع ضحكاته محتضنا مياسين
يقبل رأسها عينيه دامعة من فرط سعادته

بالداخل حيث يجلس أمامها يربت على ظهرها ويحتضنها محاولا إمدادها بالهدوء
فتلك المرة منهارة بشدة وذلك يخيفه أن تؤذى نفسها

تمكنت أعصابها لتبتعد عنه شاهقة بكاء متممة ببحة وضحة:

- أنا ... حامل

توقف العالم حوله لا يشعر بشيء سوى همسها ليهز رأسه يمينا ويسارا والصدمة
حلت عليه جعلته غير واع لتعاود همسها بضحة عالية:

- ساجد انا حامل

ابتعد عنها مسرعا يضع يده على شفتيه غير مصدق متمما بخفوت واختناق:

- بجد

أومأت له سريعا ترفع الأداة أمامه لتتفحصها عيناه

يا الله ... لقد حقق حلمهما الذي حاول إبداء عدم الاهتمام به ليراعيهما لكن لطالما
تمنى ذلك وها هي الآن تحمل منه

بلل شفتيه والتصقت ملابسه به من فرط التعرق ليقترّب منها مستندا بجبهته على
جبهتها هامسا بفرحة عنيفة لا توصف:

- مبروك يا حبيبتي ... مبروك يا قلبى

لا يفعل شيء سوى التمتمة بذلك وهى لا تتفوه بأى حرف بل تستمتع بتلك اللحظات
التي انتظرتها بفارغ صبر ولامحها لا تنفك عن السعادة والضحك

وضع يديه على وجنتيها يحاوطها ببعض العنف وجسده خارت قواه ليتمتم بحب
وأنفاس مضطربة كمن يركض لساعات:

- بعشقتك وبعشق كل لحظة قضيتها وهقضيتها معاكى

أمسكت يده بحنان تضعها على بطنها الصغيرة متممة هى الأخرى:

- وأنا بعشقتك ومش هبطل أعشقتك

ولنغلق الستار عليهما بل على كل أبطالنا الذين أعطاهم الله حقهم ليعيشوا بسعادة
بعدما رأفت الأحزان بحالهم لتبتعد عنهم وتحلق على النفوس التى لا تحمل سوى
الضعينة كقصى ونيرة بينما استحق الآخرون بجدارة الفوز بمعركة عشقهم ليفوز كل
بما أراد ويحققون حلمهم فيجتمع العشاق وتتفرق الخيبات

النهاية